Understand the Scripture
Rightly Dividing Reconsidered

James W. Knox

فهم الكلمة
أعادة النظر في التقسيم

جيمس دبيلو نوكس

الفهرس

مقدمة 1
الفصل الأول :الناموس والنعمة 2
الفصل الثاني: اليهودي, الأممي والكنيسة..... 26
الفصل الثالث :إعادة النظر في التدابير..... 33
الفصل الرابع: ملكوت السماوات وملكوت الله..... 48
الفصل الخامس: المجيء الأول والثاني للمسيح..... 63
الفصل السادس: أنواع مختلفة من الناس..... 68
الفصل السابع: المكانة والحالة..... 74
الفصل الثامن :الخلاص في العهد القديم 80

مقدمة

يقول الكتاب المقدس في رسالة تيموثاوس الثانية (٢: ١٥) "ٱجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلهِ مُزَكًّى، عَامِلًا لَا يُخْزَى، مُفَصِّلًا كَلِمَةَ ٱلْحَقِّ بِٱلِٱسْتِقَامَةِ".

الوصية الأولى هي **الاجتهاد** (هذه الكلمة وصفة بالدراسة تحديدا من الكتاب المقدس "الملك جيمس" المخصص للغة الانجليزية). الدراسة هو عملٌ جاد، ويتطلب الأمر جهدًا لتكون طالبًا جيدًا. وهذا يتجاوز مجرد قراءة الكتاب المقدس، ولا مجرد الاستماع إلى عظاته. نحن مدعوون لبذل الجهد اللازم لإتقان نصوصه. في الواقع، شهد الرجل الذي أنعم الله عليه بحكمة استثنائية أن "وَٱلدَّرْسُ ٱلْكَثِيرُ تَعَبٌ لِلْجَسَدِ". (جامعة ١٢: ١٢).

أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ ...الدراسة ليست مسألة شخصية بحتة. فالأمر بالدراسة له غاية في حد ذاته. سيُقيّم أحدهم حياتنا وأعمالنا، سواء بالموافقة أو الرفض، وعلينا أن ندرس لننال هذه الموافقة.

لِلهِ ...الحكم النهائي لله. قد نُرضي الناس، لكننا نُغضب الله. قد ننال مديح البشر، لكننا نُقابل بذم الخالق. قد نُعاني من ازدراء البشر وسخريتهم، لكننا نسمع ثناء الله. ندرس كلام الله لننال رضاه.

عَامِلًا ...الدراسة الجيدة عملٌ جيد. الدراسة الجيدة تُثمر أعمالًا جيدة. الرب لا يبحث عن المتكاسلين والمتصوفين، بل عن الرجال والنساء المجتهدين.

لَا يُخْزَى ...ليس هناك أي مبرر للخجل لمجرد أن شخصًا ضالًا، أو كافرًا، أو من أتباع طائفة ضالة، يضعنا في موقف محرج، فلا نستطيع الدفاع عن معتقداتنا ولا نستطيع تقديم إجابة شافية. ليس هناك أي مبرر للخجل من الفشل في عيش حياة مقدسة، أو من تشويه شهادتنا، أو من إضاعة الفرص. هناك حياة مخزية، وستكون هناك نتائج مخزية أمام عرش المسيح. لكن مثل هذه الأمور غير ضرورية. الدراسة الصحيحة تُزيل احتمالية هذا الخجل.

مُفَصِّلًا ...تكشف هذه الكلمات عن حقائق كثيرة. أولًا، تحتوي الكلمة على تقسيمات. علينا تحديدها واحترامها. ثانيًا، هناك طريقة صحيحة لتقسيم الكلمة. الأمر لا يقتصر على إجراء التقسيمات، ولكن هناك تقسيمات صحيحة وواضحة المعالم. ثالثًا، يمكن تقسيم الكلمة بشكل غير صحيح، وهذا ما يجب على كل طالب جاد تجنبه.

كَلِمَةَ ٱلْحَقِّ بِٱلِٱسْتِقَامَةِ ....في صغري، درستُ واستفدتُ كثيرًا من مؤلفات كتّابٍ أحسنوا تفسير كلمة الله. مع الأسف، لم يؤمنوا بأن كلمة الله هي الحق. بل كانوا يُحرّفون ويُغيّرون نص الكتاب المقدس باستمرار، مُخضعين كلمة الله لأهوائهم. مع أن القارئ قد يجد الكثير مما ورد في هذا الكتاب في نصوص أخرى، إلا أن ما يُميّز هذا العمل هو رفضنا التشكيك في الكتاب المقدس. سنُفسّر كلمة الحق تفسيرًا صحيحًا.

تتوفر العديد من المؤلفات الممتازة حول حقائق التدبير الإلهي. وقد استمتع معظم دارسي الكتاب المقدس في القرن الماضي بكتاب "حقائق التدبير الإلهي" وكتب أخرى لكلارنس لاركين، واستفادوا منها. كما كان لتعليم إم آر ديهان القيّم في كتاب "الشريعة"، وكتاب دراسة الكتاب المقدس، ودورة المراسلة التي أشرف على تحريرها سي

آي سكوفيلد، أثرٌ بالغٌ على عدد لا يُحصى من المسيحيين على مرّ السنين. أما الدراسات التي نشرها غراهام سكروجي، فهي أقل شهرةً ولكنها ذات قيمة كبيرة. في الواقع، يستند الكثير مما سيجده القارئ في هذا العمل إلى ما وجدته أنا شخصيًا في صغري في المؤلفات المذكورة آنفًا.

فلماذا إذن مجلد آخر يغطي نفس المادة تقريباً؟ أولًا وقبل كل شيء، اعتبر هؤلاء الرجال أنفسهم متفوقين على نص الكتاب المقدس. وكان كل منهم يُغيّر كلام الله متى ما رأى فيه عيبًا. لذا، كانت هناك حاجة ماسة إلى تدوين المبادئ الصحيحة لتفسير كلمة الله في كتاب لا يُزعزع إيمان الطالب بالكتاب المقدس أثناء دراسته له. في هذا الكتاب، سنقبل الكتاب المقدس على أنه صحيح تمامًا ولن نحاول تغييره ليناسب أهواءنا.

ثانيًا، لا نستطيع توزيع كتب مؤلفين آخرين مجانًا على المؤمنين الفقراء حول العالم. حتى وقت طباعة هذا الكتاب، أرسلنا ما يقارب أربعة ملايين خطبة مسجلة وخمسمئة ألف كتاب إلى رجال ونساء في أكثر من مئة وثمانين دولة دون أي تكلفة عليهم. كما منحنا المبشرين والعاملين المحليين إذنًا بطباعة كتبنا دون أي التزام مالي. لم يكن بوسعنا فعل ذلك مع مؤلفات الآخرين.

ثالثًا، ثمة بعض المجالات التي يختلف فيها الرجال الصالحون. فبالرغم من الفائدة الكبيرة التي قدمتها ولا تزال تقدمها أعمال الكتاب الآخرين، إلا أن المجالات التي يبدو فيها أن المسألة تحتاج إلى شرح أفضل أو تفسير أدق تتطلب معالجة محدثة لهذه المواضيع.

نأمل وندعو أن تكون هذه الدروس واضحة وسهلة القراءة والفهم، وأن تُفيد الطالب الصادق لكلمة الله. لا تهدف هذه الدروس إلى تقديم كل هذه الأمور، بل إلى تزويد القارئ بأساس متين يبني عليه.

الفصل الأول :الناموس والنعمة:

مقدمة عن الناموس والنعمة.

إنّ أول وأهمّ تقسيم في كلمة الحق هو التقسيم بين الشريعة أو الناموس والنعمة. وقد أدّى خلط هذين الكشفين الرائعين عن شخص الله وقلبه وعقله إلى أخطاء لا حصر لها في العقيدة والممارسة.
الشريعة تَرجِم الزانية، والنعمة تغفر لها. في الشريعة، يموت الخروف فداءً للراعي، وفي النعمة، يموت الراعي فداءً للخروف. في الشريعة، تعمل ثم تستريح، وفي النعمة، تستريح ثم تعمل.
لنبدأ بآيةٍ استُخدمت مرارًا لتفسير كلمة الحق تفسيرًا خاطئًا. يقول يوحنا (١: ١٧) "لِأَنَّ ٱلنَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا ٱلنِّعْمَةُ وَٱلْحَقُّ فَبِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ صَارَا." من التبسيط المفرط القول، استنادًا إلى هذه الآية، إن الناس كانوا تحت الناموس، ثم جاء المسيح، ونتيجةً لذلك أصبحنا نتمتع بالنعمة والحق. ثمة إشكاليتان جوهريتان في هذا الرأي. أولًا، لدينا تسعة وثلاثون سفرًا من العهد القديم مليئة بالأدلة والمظاهر على نعمة الله. ثانيًا، لا يمكن الجزم بعدم وجود حق قبل مجيء يسوع المسيح. لذا، علينا أن نأخذ آياتٍ كهذه في سياقها.
إن الشريعة تسبق مجيء المسيح، لكن الشريعة لا تسبق النعمة والحق.
فعلى سبيل المثال، قال الله في سفر التكوين (٢) "لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" وفي سفر التكوين (٣) أكل آدم وأكلت المرأة، ولم يموتا. خرجا من الجنة أحياء، وعاش آدم ٩٣٠ سنة. لماذا؟ لأن رحمة الله غطت خطيئة آدم.
قال الله إنه سيرسل طوفانًا يُهلك البشرية جمعاء بسبب شرورهم. هذا حكمٌ قانوني. "وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ ٱلرَّبِّ." (تكوين ٦: ٨). إذن، النعمة والحق سابقان لمجيء يسوع المسيح.
وهذا يعني أنه يجب علينا إيجاد التعريف الكتابي للشريعة، ثم بناء فهمنا للمسألة على أساس معنى الله لهذا المصطلح.
نبدأ يوحنا (١: ١٧) "لِأَنَّ ٱلنَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ". إذن للناموس بداية. عندما يشير الله إلى الناموس، فإنه يشير إلى شيء أعطاه لموسى على جبل سيناء. وقد سُجِّلَ هذا النزول للشريعة في سفر الخروج.

لماذا أعطي الناموس؟

والآن دعونا نعود إلى سفر التكوين ١٥.
"بَعْدَ هَذِهِ ٱلْأُمُورِ صَارَ كَلَامُ ٱلرَّبِّ إِلَى أَبْرَامَ فِي ٱلرُّؤْيَا قَائِلًا: «لَا تَخَفْ يَا أَبْرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا»." (الآية ١).هذه هي النعمة. لم يستحق أبرام أي أجر.
"فَقَالَ أَبْرَامُ: «أَيُّهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ، مَاذَا تُعْطِينِي وَأَنَا مَاضٍ عَقِيمًا، وَمَالِكُ بَيْتِي هُوَ أَلِيعَازَرُ ٱلدِّمَشْقِيُّ؟» وَقَالَ أَبْرَامُ أَيْضًا: «إِنَّكَ لَمْ تُعْطِنِي نَسْلًا، وَهُوَذَا ٱبْنُ بَيْتِي وَارِثٌ لِي». فَإِذَا كَلَامُ ٱلرَّبِّ إِلَيْهِ قَائِلًا: «لَا يَرِثُكَ هَذَا، بَلِ ٱلَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ هُوَ يَرِثُكَ». ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: «ٱنْظُرْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَعُدَّ ٱلنُّجُومَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا». وَقَالَ لَهُ: «هَكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». فَآمَنَ بِٱلرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا". (الآيات ٢-٦).لم يطع أبرام أي شريعة، ولم يحفظ أي وصايا لينال هذه البركة. لقد حُسب البر لأبرام بنعمته على أساس إيمانه وحده، لا لأنه التزم بأي قواعد.
ثم أعقب ذلك وعدٌ غير مشروط بمنحة أرض. "وَقَالَ لَهُ: «أَنَا ٱلرَّبُّ ٱلَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ ٱلْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هَذِهِ ٱلْأَرْضَ لِتَرِثَهَا»." (الآية ٧).كان هذا كله منحة إلهية.
وقد وردت هذه الحقيقة في غلاطية (٣: ١٦-١٩).
"وَأَمَّا ٱلْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لَا يَقُولُ: «وَفِي ٱلْأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمَسِيحُ." (الآية ١٦). أبرم الله عهداً مع إبراهيم، ولا شيء مما حدث بعد ذلك يُمكن أن يُغيّره أو يُبطله، ولا شيء مما حدث بعد ذلك يُمكن أن يُبدّل شروط العهد. تلك الأرض ملكٌ لإبراهيم ولنسله الكثيرين بنعمته.
"وَإِنَّمَا أَقُولُ هَذَا: إِنَّ ٱلنَّامُوسَ ٱلَّذِي صَارَ بَعْدَ أَرْبَعِمِئَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، لَا يَنْسَخُ عَهْدًا قَدْ سَبَقَ فَتَمَكَّنَ مِنَ ٱللهِ نَحْوَ ٱلْمَسِيحِ حَتَّى يُبَطِّلَ ٱلْمَوْعِدَ." (الآية ١٧). فبعد أربعمائة وثلاثين سنة من عهد الله مع إبراهيم بشأن نسله والأرض، أُعطيت الشريعة لورثته لتنظيم حياتهم في تلك الأرض. وسواء حفظوا الشريعة أم لم يحفظوها، وسواء أطاعوها أم لم يطيعوا، فإن شروط ووعود عهد الله مع إبراهيم تبقى ثابتة لا تتغير. فالنعمة تسبق الشريعة.
"لِأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ ٱلْوِرَاثَةُ مِنَ ٱلنَّامُوسِ، فَلَمْ تَكُنْ أَيْضًا مِنْ مَوْعِدٍ. وَلَكِنَّ ٱللهَ وَهَبَهَا لِإِبْرَاهِيمَ بِمَوْعِدٍ. فَلِمَاذَا ٱلنَّامُوسُ؟" (الآية ١٨).هكذا يخدم الناموس الناس، لا الناس يخدمون الناموس.
تأمل في صياغة الآية ١٩."فَلِمَاذَا ٱلنَّامُوسُ؟ قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ ٱلتَّعَدِّيَاتِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ ٱلنَّسْلُ ٱلَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ، مُرَتَّبًا بِمَلَائِكَةٍ فِي يَدِ وَسِيطٍ." أعطى الله الشريعة ليرشد شعبه إلى كيفية تجنب ما يُدنس أمتهم ويضرها. على مر القرون من آدم إلى الطوفان، ومن الطوفان إلى الخروج، أثبت الإنسان عجزه عن حكم نفسه. لذلك اختار الرب أمةً ليُعطيها شرائعه، لكي تُصبح، بطاعتها، نورًا للأمم (اسم الله لجميع الأمم الأخرى.) سيتمكن الناس العالقون في عالم مليء بالقتل والسرقة والاغتصاب والخطف والزنا وانتهاك حقوق الملكية والديانات الباطلة والوثنية وعبادة الأصنام، من النظر إلى إسرائيل ورؤية عظمة الحياة على الأرض لو عاش الناس وفقًا لقواعد الله.

١ .أعطي الناموس لخدمة الناس، وحمايتهم، والحفاظ عليهم، ومباركتهم، حتى ينجذب جميع الناس إلى واضع القانون.
السبب الأول الذي دفع الله إلى إعطاء الشريعة هو خدمة الناس وحمايتهم والحفاظ عليهم ومباركتهم، حتى ينجذب جميع الناس إلى واضع الشريعة. يوضح سفر غلاطية "٣" بوضوح أن الشريعة **لم** تُعطَ لكي يسعى الناس إلى طاعتها طمعًا في دخول السماء. وسنتناول هذا الموضوع بتفصيل كبير لاحقًا.

---

٢ .لكي يستطيع العبرانيون أن يسكنوا بسلام مع بعضهم البعض في أرض الميعاد.
أما السبب الثاني الذي أدى إلى إعطاء الشريعة لأمة إسرائيل فهو أن يتمكنوا من العيش بسلام مع بعضهم البعض بمجرد استقرارهم في أرض الميعاد.
يقول سفر التثنية (٤: ١) "«فَٱلْآنَ يَا إِسْرَائِيلُ ٱسْمَعِ ٱلْفَرَائِضَ وَٱلْأَحْكَامَ ٱلَّتِي أَنَا أُعَلِّمُكُمْ لِتَعْمَلُوهَا، لِكَيْ تَحْيَوْا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِي ٱلرَّبُّ إِلَهُ آبَائِكُمْ يُعْطِيكُمْ." ومرة أخرى، لم يكن الغرض من الشريعة أن تُعلّم الفرد كيف يصل إلى السماء، بل أن تُنظّم شؤون الأمة المختارة في أرضها.
ويستمر النص: "لَا تَزِيدُوا عَلَى ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهِ وَلَا تُنَقِّصُوا مِنْهُ، لِكَيْ تَحْفَظُوا وَصَايَا ٱلرَّبِّ إِلَهِكُمُ ٱلَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا. أَعْيُنُكُمْ قَدْ أَبْصَرَتْ مَا فَعَلَهُ ٱلرَّبُّ بِبَعْلَ فَغُورَ. إِنَّ كُلَّ مَنْ ذَهَبَ وَرَاءَ بَعْلَ فَغُورَ أَبَادَهُ ٱلرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ وَسَطِكُمْ، وَأَمَّا أَنْتُمُ ٱلْمُلْتَصِقُونَ بِٱلرَّبِّ إِلَهِكُمْ فَجَمِيعُكُمْ أَحْيَاءٌ ٱلْيَوْمَ." (الآيات ٢-٤). لم تكن عقوبة مخالفة الشريعة هي فقدان الروح في الجحيم، بل فقدان الحياة أو فقدان الأرض مؤقتًا والتمتع بها. أما مكافأة حفظ الشريعة فكانت البقاء على قيد الحياة والتمتع بالسلام والصحة والأمان والرخاء في الأرض.
هذه هي الفكرة الواردة في سفر التثنية (٥: ٢٩)." يَا لَيْتَ قَلْبَهُمْ كَانَ هَكَذَا فِيهِمْ حَتَّى يَتَّقُونِي وَيَحْفَظُوا جَمِيعَ وَصَايَايَ كُلَّ ٱلْأَيَّامِ، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ وَلِأَوْلَادِهِمْ خَيْرٌ إِلَى ٱلْأَبَدِ." لقد كانت مشيئة الله أن يبارك شعبه.
يُظهر سفر القضاة (٢: ١٩-٢٣) ما يحدث عندما يبدأون بالانحراف عن الشريعة. "وَعِنْدَ مَوْتِ ٱلْقَاضِي كَانُوا يَرْجِعُونَ وَيَفْسُدُونَ

أَكْثَرَ مِنْ آبَائِهِمْ، بِٱلذَّهَابِ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لِيَعْبُدُوهَا وَيَسْجُدُوا لَهَا. لَمْ يَكُفُّوا عَنْ أَفْعَالِهِمْ وَطَرِيقِهِمْ ٱلْقَاسِيَةِ. فَحَمِيَ غَضَبُ ٱلرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَقَالَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ هَذَا ٱلشَّعْبَ قَدْ تَعَدَّوْا عَهْدِيَ ٱلَّذِي أَوْصَيْتُ بِهِ آبَاءَهُمْ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِي، فَأَنَا أَيْضًا لَا أَعُودُ أَطْرُدُ إِنْسَانًا مِنْ أَمَامِهِمْ مِنَ ٱلْأُمَمِ ٱلَّذِينَ تَرَكَهُمْ يَشُوعُ عِنْدَ مَوْتِهِ لِكَيْ أُمْتَحِنَ بِهِمْ إِسْرَائِيلَ: أَيَحْفَظُونَ طَرِيقَ ٱلرَّبِّ لِيَسْلُكُوا بِهَا كَمَا حَفِظَهَا آبَاؤُهُمْ، أَمْ لَا». فَتَرَكَ ٱلرَّبُّ أُولَئِكَ ٱلْأُمَمَ وَلَمْ يَطْرُدْهُمْ سَرِيعًا وَلَمْ يَدْفَعْهُمْ بِيَدِ يَشُوعَ".

لأنهم لم يلتزموا بالشريعة، لم ينعموا ببركة الأرض كاملةً ولا بالسلام الذي كان من الممكن أن ينعموا به فيها. كانت بركة الالتزام بالشريعة هي عيشهم في أمان في الأرض. أما عقاب مخالفة الشريعة فكان الموت أو الطرد من الأرض أو الأسر. يجب أن نتذكر دائمًا أن الشريعة أُضيفت إلى العهد، فلا يمكن فصل الشريعة عن العهد.

"فَلِمَاذَا ٱلنَّامُوسُ؟" غلاطية (٣: ١٩). ولتوضيح حقيقة أن الشريعة وُضعت لخدمة الإنسان لا العكس، فلنتأمل في الصراعات التي واجهها يسوع في حياته عندما كان يشفي مريضًا أو يُدبّر له احتياجاته في يوم السبت. ردًا على منتقديه، أوضح يسوع "ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «ٱلسَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لِأَجْلِ ٱلْإِنْسَانِ، لَا ٱلْإِنْسَانُ لِأَجْلِ ٱلسَّبْتِ." (مرقس ٢ : ٢٧).

---

٣ .لحماية الأشخاص الذين لم يتمكنوا من الاحتفاظ به من أشخاص آخرين لم يتمكنوا من الاحتفاظ به.

في رسالة رومية ٥، نتعلم أن الله أضاف الشريعة إلى عهد إبراهيم لسبب ثالث. لم يتوقع أن يلتزم أحد بالشريعة، لكنه أعطاها ليحمي من لا يستطيعون الالتزام بها من غيرهم ممن لا يستطيعون الالتزام بها. فبدون الشريعة، لا يمكن للإنسان الساقط أن ينال الحرية. لا بد من وجود ما يحكم الخطاة. إما أن تكون النعمة هي التي تحكم الإنسان المخلص، أو الشريعة هي التي تحكم الإنسان الضال. لا بد من ضبط الإنسان، فلا يمكن الوثوق به في حرية مطلقة.

يقول الكتاب المقدس في رسالة رومية (٥ : ١٢) "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ ٱلْخَطِيَّةُ إِلَى ٱلْعَالَمِ، وَبِٱلْخَطِيَّةِ ٱلْمَوْتُ، وَهَكَذَا ٱجْتَازَ ٱلْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ ٱلنَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ ٱلْجَمِيعُ." والآن، انتقل إلى الآيتين ١٩-٢٠ "لِأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ ٱلْإِنْسَانِ ٱلْوَاحِدِ جُعِلَ ٱلْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هَكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ ٱلْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ ٱلْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا. وَأَمَّا ٱلنَّامُوسُ فَدَخَلَ ...**إذن، لم تكن الشريعة هي الحالة الأصلية للأشياء. فقد كانت هناك فترة طويلة من الزمن ساد فيها الموت والخطيئة وعواقب السقوط قبل نزول الشريعة ....**وَأَمَّا ٱلنَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ ٱلْخَطِيَّةُ".

---

٤ .لإثبات ذنب الإنسان وحاجته إلى الرحمة.

وهذا سبب رابع للشريعة. بعد أكثر من أربعة قرون من إبراهيم، وضع الله تعريفات واضحة للذنوب والمعاصي. لا قيمة للآراء أو المشاعر أو الأديان؛ فقد كتب الله بوضوح: "لا تفعل هذا. لا تفعل ذاك. أطع هنا. أطع هناك." تشير الآيات المذكورة إلى أن هذه الأحكام لم تُمكّن الناس من عيش حياة أفضل، بل أثبتت لهم ذنبهم وحاجتهم إلى الرحمة.

لو أنزل الله عشر وصايا، لكان للإنسان الساقط عشر فرص للخطأ. ولو أنزل مئة وصية، لكان للإنسان الساقط مئة فرصة للخطأ. وبإنزاله سبعة وأربعين فصلًا من الشرائع في سفري الخروج واللاويين، جعل الله من المستحيل على أي إنسان أن يعيش يومه دون خطيئة. لم تُنزل الشريعة لإنقاذ الخطاة أو تبريرهم، بل لتُبين لنا كم نخطئ ونقصر عن بلوغ مجد الله. فالشريعة تُضخّم الذنب.

يقول الكتاب المقدس في رسالة رومية (٧:٧):"فَمَاذَا نَقُولُ؟ هَلِ ٱلنَّامُوسُ خَطِيَّةٌ؟ حَاشَا! بَلْ لَمْ أَعْرِفِ ٱلْخَطِيَّةَ إِلَّا بِٱلنَّامُوسِ. فَإِنَّنِي لَمْ أَعْرِفِ ٱلشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ ٱلنَّامُوسُ: «لَا تَشْتَهِ»."

يقول الكتاب المقدس في رسالة رومية (٣ : ١٩) "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ ٱلنَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّامُوسِ، لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ، وَيَصِيرَ كُلُّ ٱلْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ ٱللهِ".

يؤكد ما جاء في رسالة رومية "٥" أيضًا ما ذكرناه سابقًا من أن النعمة تسبق الشريعة. فحيث كثرت الخطيئة، فاضت النعمة أكثر (الآية ٢٠).وفي رسالة العبرانيين "١١" نجد قائمة بأسماء رجال ونساء عملوا بالإيمان فنالوا الحياة. ولو قرأنا قصص حياتهم في العهد القديم، لوجدنا العديد من الإخفاقات، بعضها مروع. ومع ذلك، فقد نالوا برًا من الله، مصدر كل نعمة. فنوح السكران، وإبراهيم الكاذب، وسارة الضاحكة، ويعقوب المخادع، وداود الغشاش، وغيرهم، دليل على أن النعمة كانت دائمًا هي سبيل الله المختار للتعامل مع من هم تحت الدينونة، قبل الشريعة وبعدها.

لا يعني هذا أن القانون كان به خلل، بل على العكس تماماً. فعندما نقارن الإنسان الساقط بالشريعة المقدسة، نرى عظمة الأخيرة.

انظر إلى رسالة تيموثاوس الأولى(١: ٨-١١) "وَلَكِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ ٱلنَّامُوسَ صَالِحٌ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْتَعْمِلُهُ نَامُوسِيًّا. عَالِمًا هَذَا: أَنَّ ٱلنَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ لِلْبَارِّ، بَلْ لِلْأَثَمَةِ وَٱلْمُتَمَرِّدِينَ، لِلْفُجَّارِ وَٱلْخُطَاةِ، لِلدَّنِسِينَ وَٱلْمُسْتَبِيحِينَ، لِقَاتِلِي ٱلْآبَاءِ وَقَاتِلِي ٱلْأُمَّهَاتِ، لِقَاتِلِي ٱلنَّاسِ، لِلزُّنَاةِ، لِمُضَاجِعِي ٱلذُّكُورِ، لِسَارِقِي ٱلنَّاسِ، لِلْكَذَّابِينَ، لِلْحَانِثِينَ، وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخَرُ يُقَاوِمُ ٱلتَّعْلِيمَ ٱلصَّحِيحَ، حَسَبَ إِنْجِيلِ مَجْدِ ٱللهِ ٱلْمُبَارَكِ ٱلَّذِي ٱؤْتُمِنْتُ أَنَا عَلَيْهِ." وهكذا تُحدد الشريعة وتُوضح وتُفسر ما ينبغي وما لا ينبغي فعله في محاولة لضبط الإنسان الخاطئ، ولكن دون أي توقع حقيقي بأنه سيحفظ جميع وصايا الله.

يقول يعقوب (١: ٢٢) "وَلَكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِٱلْكَلِمَةِ، لَا سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ." يخدع الإنسان نفسه بمجرد معرفته كلمة الله لأنه يضع لنفسه معيارًا يقارن نفسه به. فبعد أن يرى متطلبات الله في الشريعة، يمكنه أن يرفض حقيقتها، ويتواضع ويتوب، أو يتظاهر بأنه يرقى إلى مستوى هذه المتطلبات. لا خيار آخر أمامه.

يجب أن نفهم أيضاً أن الشريعة أُعطيت لأمة واحدة فقط، وهي إسرائيل. لم تُعطَ قط لأي أمة أو فرد من الأمم الأخرى. وبالتأكيد لم تُعطَ لكنيسة العهد الجديد.

يقول المزمور (١٤٧: ١٩-٢٠) "يُخْبِرُ يَعْقُوبَ بِكَلِمَتِهِ، وَإِسْرَائِيلَ بِفَرَائِضِهِ وَأَحْكَامِهِ. لَمْ يَصْنَعْ هَكَذَا بِإِحْدَى ٱلأُمَمِ، وَأَحْكَامُهُ لَمْ يَعْرِفُوهَا. هَلِّلُويَا." كانت الشريعة شأنًا قوميًا خاصًا بإسرائيل وحدها.

تكلم الله على لسان موسى في سفر التثنية (٤: ٥-٨) قائلًا: "أُنْظُرْ. قَدْ عَلَّمْتُكُمْ فَرَائِضَ وَأَحْكَامًا كَمَا أَمَرَنِي ٱلرَّبُّ إِلهِي، لِكَيْ تَعْمَلُوا هَكَذَا فِي ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي أَنْتُمْ دَاخِلُونَ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكُوهَا. فَٱحْفَظُوا وَٱعْمَلُوا. لأَنَّ ذٰلِكَ حِكْمَتُكُمْ وَفِطْنَتُكُمْ أَمَامَ أَعْيُنِ ٱلشُّعُوبِ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كُلَّ هٰذِهِ ٱلْفَرَائِضِ، فَيَقُولُونَ: هَذَا ٱلشَّعْبُ ٱلْعَظِيمُ إِنَّمَا هُوَ شَعْبٌ حَكِيمٌ وَفَطِنٌ. لأَنَّهُ أَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ آلِهَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْهُ كَٱلرَّبِّ إِلهِنَا فِي كُلِّ أَدْعِيَتِنَا إِلَيْهِ؟ وَأَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ عَادِلَةٌ مِثْلُ كُلِّ هٰذِهِ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلَّتِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ ٱلْيَوْمَ؟"

لذا كان الناموس ولا يزال خاصاً بإسرائيل، وتنظر الدول الأخرى وتقول: "مذهل! ليس لدينا شيء من هذا القبيل".

في رسالة رومية (٣: ١-٢) نجد: "إِذًا مَا هُوَ فَضْلُ ٱلْيَهُودِيِّ، أَوْ مَا هُوَ نَفْعُ ٱلْخِتَانِ؟ كَثِيرٌ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ! أَمَّا أَوَّلًا فَلأَنَّهُمُ ٱسْتُؤْمِنُوا عَلَى أَقْوَالِ ٱللهِ".

يقول الكتاب المقدس في أفسس (٢: ١١-١٢) "لِذٰلِكَ ٱذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ ٱلأُمَمُ قَبْلًا فِي ٱلْجَسَدِ، ٱلْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ ٱلْمَدْعُوِّ خِتَانًا مَصْنُوعًا بِٱلْيَدِ فِي ٱلْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ ٱلْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ، وَبِلاَ إِلٰهٍ فِي ٱلْعَالَمِ." فكما ترون، لا شيء مما أعطاه الله لإسرائيل ينطبق على غير الإسرائيليين.

"وَلٰكِنِ ٱلآنَ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ ٱلْمَسِيحِ. لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلاِثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ ٱلسِّيَاجِ ٱلْمُتَوَسِّطَ" (الآيات ١٣-١٤).كانت الشريعة تفصل بين اليهود والأمم.

"أَيِ ٱلْعَدَاوَةَ. مُبْطِلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ ٱلْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ ٱلاِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ ٱلاِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ ٱللهِ بِٱلصَّلِيبِ، قَاتِلًا ٱلْعَدَاوَةَ بِهِ." (الآيات ١٥-١٦).لم يكن بإمكان اليهود والأمم أن يكونوا جسدًا واحدًا لأن أحدهما كان لديه الشريعة والآخر لم يكن لديه.

تذكر كيف اضطر اليهود الذين أرادوا صلب يسوع إلى التلاعب بالقانون الروماني لأنه كان يتعارض مع شريعة موسى. تذكر كيف امتنعوا عن دخول قاعة محاكمة بيلاطس لاعتقادهم أن دخول مبنى غير يهودي ينجسهم. لم يستطع بيلاطس والفريسيون العمل معًا لوجود حاجز بينهم. لم يتمكنوا من التوحد لأن أحدهما كان يتبع شريعة البشر، والآخر شريعة الله (مع أن أياً منهم لم يلتزم بأي من الشريعتين.)

لكن الآن يمكن لليهودي والأممي أن يتوحدا من خلال عمل يسوع المسيح على الصليب، لأن كلاهما قد يكون لديه دمه الثمين في الصليب.

"فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ ٱلْبَعِيدِينَ وَٱلْقَرِيبِينَ. لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى ٱلآبِ. فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ ٱلْقِدِّيسِينَ وَأَهْلُ بَيْتِ ٱللهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ ٱلرُّسُلِ وَٱلأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ ٱلزَّاوِيَةِ" (الآيات ١٧-٢٠).اليهودي والأممي الآن متحدان تمامًا (الآية ٢١)ومبنيان معًا (الآية ٢٢)لا على الناموس، بل على شخص الرب يسوع.

إن حقيقة أن الشريعة كانت ولا تزال شأنًا إسرائيليًا تتجلى في رسالة رومية (٩: ٣-٥) "فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ ٱلْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ ٱلْجَسَدِ، ٱلَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلَهُمُ ٱلتَّبَنِّي وَٱلْمَجْدُ وَٱلْعُهُودُ وَٱلاِشْتِرَاعُ وَٱلْعِبَادَةُ وَٱلْمَوَاعِيدُ، وَلَهُمُ ٱلآبَاءُ، وَمِنْهُمُ ٱلْمَسِيحُ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ، ٱلْكَائِنُ عَلَى ٱلْكُلِّ إِلٰهًا مُبَارَكًا إِلَى ٱلأَبَدِ. آمِينَ." من أُعطيت له الشريعة؟ إسرائيل. من لم تُعطَ له الشريعة؟ جميع الناس. من كان عليه حفظ الشريعة؟ إسرائيل. من لم يكن عليه حفظ الشريعة؟ جميع الناس.

بالنسبة لأولئك الذين يؤمنون بالكتاب المقدس، فقد تم حسم هذه المسألة في عام ٤٥ ميلادي. اجتمع الرسل والشيوخ لتحديد أي جزء من شريعة العهد القديم، إن وجد، كان ملزمًا لكنيسة العهد الجديد.

يقول سفر أعمال الرسل (١٥: ١) "وَٱنْحَدَرَ قَوْمٌ مِنَ ٱلْيَهُودِيَّةِ، وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ ٱلإِخْوَةَ أَنَّهُ: «إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى، لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا»." وبالطبع، الختان جزء من عهد إبراهيم، وقد انتقل إلى شريعة موسى.

تأملوا في كلمات الآيات ٨-١٠"وَٱللهُ ٱلْعَارِفُ ٱلْقُلُوبَ، شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِيًا لَهُمُ ٱلرُّوحَ ٱلْقُدُسَ كَمَا لَنَا أَيْضًا. وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِشَيْءٍ، إِذْ طَهَّرَ بِٱلإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ. فَٱلآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ ٱللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ ٱلتَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟" كان هؤلاء الرجال يدركون أن الشريعة نير ثقيل لا يُطاق. قارنوا هذا بمتى (١١ : ٢٨) حيث قال يسوع: "لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ".

لقد قادهم الروح القدس إلى الاستنتاج، "لٰكِنْ بِنِعْمَةِ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أُولٰئِكَ أَيْضًا». " (الآية ١١).

أُرسلت هذه النتيجة برسالة إلى جميع الكنائس. أوضح الروح القدس أنه لا ينبغي إخضاع أي شخص في عهد العهد الجديد ممن اهتدى إلى الإيمان بيسوع المسيح للشريعة. لقد أدركوا أن خلاص النفس وتدبير شؤون أبناء إبراهيم في أرض الميعاد أمران مختلفان تمامًا.

من المحزن أنه بعد ألفي عام، يحاول الرجال استخدام القانون لأسباب لم يُمنح من أجلها مطلقاً لحكم شعب لم ينطبق عليه القانون قط.

---

٥ .لإظهار مجد الله وقداسته.

بعد أن رأينا أن الشريعة أُنزلت لخدمة الإنسان ولإظهار خطيئته، ننتقل إلى الغاية الخامسة للشريعة، وهي إظهار مجد الله وقداسته. القداسة هي الطهارة والانفصال عن كل ما هو نجس أو شرير. يقول سفر التثنية (5: 22-28) "هٰذِهِ ٱلْكَلِمَاتُ كَلَّمَ بِهَا ٱلرَّبُّ كُلَّ

جَمَاعَتِكُمْ فِي ٱلْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ ٱلنَّارِ وَٱلسَّحَابِ وَٱلضَّبَابِ، وَصَوْتٍ عَظِيمٍ وَلَمْ يَزِدْ. وَكَتَبَهَا عَلَى لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ وَأَعْطَانِي إِيَّاهَا. «فَلَمَّا سَمِعْتُمْ ٱلصَّوْتَ مِنْ وَسَطِ ٱلظَّلاَمِ، وَٱلْجَبَلُ يَشْتَعِلُ بِٱلنَّارِ، تَقَدَّمْتُمْ إِلَيَّ، جَمِيعُ رُؤَسَاءِ أَسْبَاطِكُمْ وَشُيُوخُكُمْ وَقُلْتُمْ: هُوَذَا ٱلرَّبُّ إِلَهُنَا قَدْ أَرَانَا مَجْدَهُ وَعَظَمَتَهُ، وَسَمِعْنَا صَوْتَهُ مِنْ وَسَطِ ٱلنَّارِ. هَذَا ٱلْيَوْمَ قَدْ رَأَيْنَا أَنَّ ٱللهَ يُكَلِّمُ ٱلإِنْسَانَ وَيَحْيَا. وَأَمَّا ٱلآنَ فَلِمَاذَا نَمُوتُ؟ لأَنَّ هَذِهِ ٱلنَّارَ ٱلْعَظِيمَةَ تَأْكُلُنَا. إِنْ عُدْنَا نَسْمَعُ صَوْتَ ٱلرَّبِّ إِلَهِنَا أَيْضًا نَمُوتُ. لأَنَّهُ مَنْ هُوَ مِنْ جَمِيعِ ٱلْبَشَرِ ٱلَّذِي سَمِعَ صَوْتَ ٱللهِ ٱلْحَيِّ يَتَكَلَّمُ مِنْ وَسَطِ ٱلنَّارِ مِثْلَنَا وَعَاشَ؟ تَقَدَّمْ أَنْتَ وَٱسْمَعْ كُلَّ مَا يَقُولُ لَكَ ٱلرَّبُّ إِلَهُنَا، وَكَلِّمْنَا بِكُلِّ مَا يُكَلِّمُكَ بِهِ ٱلرَّبُّ إِلَهُنَا، فَنَسْمَعَ وَنَعْمَلَ. فَسَمِعَ ٱلرَّبُّ صَوْتَ كَلاَمِكُمْ حِينَ كَلَّمْتُمُونِي وَقَالَ لِي ٱلرَّبُّ: سَمِعْتُ صَوْتَ كَلاَمِ هَؤُلاَءِ ٱلشَّعْبِ ٱلَّذِي كَلَّمُوكَ بِهِ. قَدْ أَحْسَنُوا فِي كُلِّ مَا تَكَلَّمُوا".

عندما سمع الناس كلام الله، انتابهم الرعب. كان الله عظيمًا جبارًا، وجلاله يهز الجبال، وأدركوا أن الشريعة تُنزل من جلالة العلي. الخالق القادر على زعزعة السماوات والأرض يتكلم، فخافوا. وأنت تقرأ القصة، يمكنك أن تتخيلهم يقولون: "مهما قال، أخبروه أننا سنفعله." لقد وافقوا على الشريعة من شدة الرعب.

لم يقرأ الشعب الإسرائيلي الشريعة ويدرسها قبل الموافقة عليها، تمامًا كما لا يقرأ الأمريكي المعاصر جميع بنود العقد قبل توقيعه. لقد قبل بنو إسرائيل الشريعة ووافقوا على العيش بموجبها خوفًا من قدرة من أنزلها.

عندما يقارن المرء مستوى المعيشة الرفيع الذي نصّت عليه الشريعة مع عادات وتقاليد الأمم في زمن موسى، لا يسعه إلا أن يستنتج أن الله قد تكلم. فالتفاصيل، والمحبة، والعدل، والرحمة، والحكمة، وبعد النظر التي احتوتها تلك الأحكام تفوق بكثير أي مجموعة قواعد عُرفت قبلها أو بعدها. من المستحيل أن تُغطّي جميع شؤون الإنسان بهذه الروعة وبهذا الإيجاز، ومع ذلك فهي ما زالت قائمة أمام الجميع. على ألواح الحجر كُتبت قواعد للحياة تفوق بكثير أي وثيقة قانونية جُمعت قبلها أو بعدها.

---

٦ .لإعداد الرجال للمسيح.

السبب السادس لإعطاء الشريعة هو إعداد الناس للمسيح. "إِذًا قَدْ كَانَ ٱلنَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى ٱلْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِٱلإِيمَانِ." (غلاطية ٣: ٢٤).

تأمل كيف يُعلّمنا الناموس. اليوم الأول: أحب الله من كل قلبك. تخوض الاختبار وتفشل. اليوم الثاني: أحب الله من كل نفسك وقوتك وعقلك. تخوض الاختبار وتفشل. اليوم الثالث: أحب جارك كنفسك. تخوض الاختبار وتفشل. وهكذا يستمر الأمر يومًا بعد يوم.

في يوم من الأيام، يأتي يسوع ويعرض عليك أن يمحو كل شهاداتك الدراسية القديمة ونتائج اختباراتك الفاشلة. إنه يمنح النجاح لمن يثق به. عندما تثق بالرب يسوع المسيح، يُمحى كل تقصير في حفظ الشريعة، ويُمنح لك بدلًا منه بر الله في المسيح يسوع.

إذن، فإن الشريعة موجودة لإعداد الرجال للمسيح من خلال إظهار مدى عجزهم بدون مخلص.

إذ ظنّ معظم اليهود أن الشريعة كافية، واكتفوا بوعد الأرض، لم يدركوا حاجتهم إلى مُخلّص من خطاياهم. فاستكبروا وتوهموا أنهم يستحقون الحياة الأبدية لأنهم أبناء إبراهيم. فأوحى الروح القدس إلى الرسول أن يكتب: "أَيُّهَا ٱلإِخْوَةُ، إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلْبَتِي إِلَى ٱللهِ لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلاَصِ. لأَنِّي أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ غَيْرَةً لِلهِ، وَلَكِنْ لَيْسَ حَسَبَ ٱلْمَعْرِفَةِ." (رومية ١٠: ١-٢). ما الذي غفلوا عنه وهم يخدمون الله بحماسة؟ "لأَنَّهُمْ إِذْ كَانُوا يَجْهَلُونَ بِرَّ ٱللهِ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يُثْبِتُوا بِرَّ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يُخْضَعُوا لِبِرِّ ٱللهِ." (الآية ٣).

قال لهم الناموس: "لا تستطيعون حفظ الشريعة، فأنتم لستم أبرارًا." ثم جاء يسوع وحفظ الشريعة وقال: "آمنوا بي، وسأمنحكم الحياة الأبدية." فقالوا: "لا، سنحاول هذه الشريعة مرة أخرى. إذا بذلنا جهدًا حقيقيًا هذه المرة، فسننجح".

هذه هي عقلية معظم غير المؤمنين اليوم. يتباهون بانتمائهم إلى المذهب المعمداني أو الكاريزمي، أو يدّعون أنهم يعيشون حياةً طيبة، أو يشرحون اعتقادهم بأن الإخلاص كافٍ. يتحدثون عن طقوسهم الدينية، ويقارنون أنفسهم بالخطاة الآخرين. كل هذه الادعاءات متشابهة، فهي صادرة عن رجال ونساء لم يستوعبوا الدرس الذي أُنزلت الشريعة لتعليمهم إياه، وهو أنك لست صالحًا بما يكفي لتنال الجنة.

٧.لتوضيح شخصية يسوع المسيح بالصور.

أما السبب السابع لإعطاء الشريعة فهو توضيح شخصية يسوع المسيح بالصور.

يقول العبرانيون (١٠: ١) "لأَنَّ ٱلنَّامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ ٱلْخَيْرَاتِ ٱلْعَتِيدَةِ لاَ نَفْسُ صُورَةِ ٱلأَشْيَاءِ، لاَ يَقْدِرُ أَبَدًا بِذَبَائِحَ كُلَّ سَنَةٍ، ٱلَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى ٱلدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ".

الشمس مشرقة في السماء. أرى ظلًا على الأرض. لا بد من وجود شيء ما بين الأرض والشمس ليُشكّل هذا الظل.

وقف يسوع المسيح بين عرش الله ومكانة الإنسان على الأرض. سقط عليه نور مجد السماء، وسقط ظله على الأرض في صفحات الشريعة.

إنّ مناقشة جميع رموز المسيح وصوره في العهد القديم ستملأ مجلداً طويلًا. فهو يُصوَّر في هابيل الراعي الصالح، وفي الفلك الذي نجا فيه البشر من عالمٍ محكوم عليه بالفناء، وفي ولادة إسحاق المعجزة، وفي تقديم إبراهيم ابنه قرباناً. نراه مُصوَّراً في خروف الفصح، والحية النحاسية، والمن المتساقط، والماء المتدفق من الصخرة. أثاث خيمة الاجتماع، والأعياد التي مُنحت للأمة، والبقرة الحمراء، والطائران، وكبش الفداء، ورئيس الكهنة -كل هذه تُعطينا لمحاتٍ خافتة عن الفادي القادم.

عندما جاء يسوع، قال: "أَنَا هُوَ نُورُ ٱلْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلَا يَمْشِي فِي ٱلظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ ٱلْحَيَاةِ" (يوحنا ٨: ١٢). وللأسف، اختار اليهود البقاء في الظل بدلًا من السعي نحو الحقيقة. تشبثوا بالصور ورفضوا الجوهر. احتضنوا الصورة ورفضوا الشخص.

صور من الناموس

ومن المثير للاهتمام أن العهد الجديد يستخدم لغة تصويرية لوصف الناموس، حيث تُقارن بستة أشياء في الرسائل.

أولًا، تُشَبه الشريعة بالمرآة. يقول يعقوب (١ : ٢٣ – ٢٥) "لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعًا لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلًا، فَذَاكَ يُشْبِهُ رَجُلًا نَاظِرًا وَجْهَ خِلْقَتِهِ فِي مِرْآةٍ، فَإِنَّهُ نَظَرَ ذَاتَهُ وَمَضَى، وَلِلْوَقْتِ نَسِيَ مَا هُوَ. وَلَكِنْ مَنِ اطَّلَعَ عَلَى النَّامُوسِ الْكَامِلِ -نَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ- وَثَبَتَ، وَصَارَ لَيْسَ سَامِعًا نَاسِيًا بَلْ عَامِلًا بِالْكَلِمَةِ، فَهَذَا يَكُونُ مَغْبُوطًا فِي عَمَلِهِ".
عندما ينظر المرء بصدق إلى الشريعة، تكشف له حقيقته. ولذلك لا يُحبّذ الظالمون قراءة الكتاب المقدس. ولذلك يرغب أصحاب الشهوات في كنيسة لا تُعلّم الكتاب المقدس. كلمة الله تُظهر لنا حقيقتنا، فهي مرآة.
ورد ذكر المرايا مرة أخرى في كلمة الله. في سفر الخروج (٣٨ : ١) نقرأ" **وَصَنَعَ مَذْبَحَ الْمُحْرَقَةِ** "...وفي الآية (٨)":**وَصَنَعَ الْمِرْحَضَةَ مِنْ نُحَاسٍ** ..."كان الرجال يأتون إلى المغسلة ليغتسلوا ويتطهروا، ثم يذهبون ليقدموا ذبيحة على المذبح. وتتابع الآية (٨):"وَقَاعِدَتَهَا مِنْ نُحَاسٍ. مِنْ مَرَايِي الْمُتَجَنِّدَاتِ اللَّوَاتِي تَجَنَّدْنَ عِنْدَ بَابِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ".
نعلم جميعًا كيف يستخدم الناس المرايا لتفقد مظهرهم قبل أن يراهم الآخرون. لقد لامس الله قلوب هؤلاء النساء، فقدمن مراياهن، التي استُخدمت لاحقًا لصنع قاعدة المغسلة. وهكذا، بينما كنّ يغتسلن ويستعدن للقاء الله، كنّ يتفحصن أنفسهن ليتأكدن من نظافتهن وحسن مظهرهن.
هكذا ينبغي أن تُستخدم الكلمة في حياتنا. قبل أن نندفع لعبادة الرب أو نسارع للتفاعل مع الناس، علينا أن نتفحص أنفسنا. هل نحن طاهرون؟ هل نحن لائقون؟ هل نحن على ما يُفترض أن نكون عليه؟

ثانيًا، يُشَبه الناموس **بنيرٍ**.
نقرأ في أعمال الرسل (١٥ : ١٠) "فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟"
يملك رجل ثورين. أحدهما يسير في اتجاه، والآخر في اتجاه آخر. لكن بإمكانه استخدام نير لربطهما معًا بحيث يضطر كل منهما إلى السير في الاتجاه الذي يسير فيه الآخر.
كان الناموس بمثابة نير. لم يكن بوسع الناموس أن يحرر الإنسان من طبيعته الخاطئة. ومع ذلك، كان بإمكانه أن يلزمه، إما بسلطة الدولة أو خوفًا من الله، بالسير في الطريق الصحيح، حتى لو لم تكن لديه رغبة في ذلك.
هذه هي الحقيقة الواردة في رسالة تيموثاوس الأولى (١ : ٨ – ١٠) "وَلَكِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ صَالِحٌ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْتَعْمِلُهُ نَامُوسِيًّا. عَالِمًا هَذَا: أَنَّ النَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ لِلْبَارِّ، بَلْ لِلأَثَمَةِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ، لِلْفُجَّارِ وَالْخُطَاةِ، لِلدَّنِسِينَ وَالْمُسْتَبِيحِينَ، لِقَاتِلِي الآبَاءِ وَقَاتِلِي الأُمَّهَاتِ، لِقَاتِلِي النَّاسِ، لِلزُّنَاةِ، لِمُضَاجِعِي الذُّكُورِ، لِسَارِقِي النَّاسِ، لِلْكَذَّابِينَ، لِلْحَانِثِينَ، وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخَرُ يُقَاوِمُ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ"
أجبرت الشريعة الصالحة الأشرار على السير في الطريق القويم. لم تستطع تغييرهم، لكنها كبحتهم. هذه الحقيقة نفسها مذكورة في رسالة رومية (٧: ١-٢٥).أجبرت الشريعة الناس على أن يكونوا أفضل مما كانوا سيكونون عليه لولاها. أجبرت الشريعة الناس على بذل المزيد من الجهد في سبيل البر مما كانوا سيبذلونه بدونها.
انظر من جهة إلى الشرطي والقاضي والحارس، ومن جهة أخرى إلى رجل يريد السرقة. إذا استطعتَ أن تُوَحِّد الاثنين، فلن تنزع السرقة من قلب الرجل، بل ستمنعه من إشباع رغبته. انظر إلى أي مكان في العالم حيث لا يخشى الرجال والنساء الله استنادًا إلى شريعته. راقب ما يحدث عندما يُرفع نير السلطة. لاحظ الانتهاك الصارخ لجميع القوانين. كان هذا في قلوبهم قبل أي حدث أزال النير. في ذلك المكان نفسه، ستجد رجالًا ونساءً يعرفون كلمة الله ويخشون الرب. ستظل أفعالهم لائقة ومنظمة، لأن النير الذي يحكمهم، وإن كان غير مرئي، أقوى من شهوات أجسادهم.
يقول الكتاب المقدس في غلاطية (٥ : ١) "وَلَا تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ". هذا هو الناموس. إنه نير عبودية. لا يمكن للمرء أن ينال الحياة الأبدية من خلال الناموس، ولكن يمكنه أن يحكم حياته الفانية به.

ثالثًا، الناموس **أشبه بالمعلم أو المرشد** .في غلاطية (٤ : ١) نقرأ: "وَإِنَّمَا أَقُولُ: مَا دَامَ الْوَارِثُ قَاصِرًا لَا يَفْرِقُ شَيْئًا عَنِ الْعَبْدِ، مَعَ كَوْنِهِ صَاحِبَ الْجَمِيعِ." قد يكون لك حقوق مستقبلية في مشروع العائلة بأكمله، ولكن ما دمت طفلًا، ستنهض وتذهب إلى المدرسة وتتعلم دروسك. ستعمل وتحفر، تمامًا مثل الخدم.
ويتابع في الآية الثاني: "بَلْ هُوَ تَحْتَ أَوْصِيَاءَ وَوُكَلاَءَ إِلَى الْوَقْتِ الْمُؤَجَّلِ مِنْ أَبِيهِ." فالشريعة إذًا هي مرشد، والفكرة هنا هي ضبط النفس. هدفها تعليم الناس الصواب، وبالتالي منعهم من فعل الخطأ.
لقد أوصل التخلي عن ضبط النفس والانضباط في منازل ومدارس أمريكا مجتمعنا إلى حافة الفوضى والخراب. اقتنع الآباء والأمهات بأنه لا ينبغي عليهم التمسك بالقواعد بحذافيرها، فلا قواعد ولا قيود ولا قوانين، حتى يكون أبناؤهم وبناتهم سعداء ويستمتعون (وكأن هذين الأمرين هما أهم شيئين في الحياة.) دعوهم يفعلون ما يشاؤون، ويشاهدون ما يشاؤون، ويتحدثون كما يشاؤون، ويرتدون ما يشاؤون. لا تقيدوهم، ولا تؤدبوهم، ولا تصححوا أخطاءهم، ولا تجبروهم على الالتزام بقواعدكم وأنظمتكم.
هذا في الواقع يُعتبر محبةً وذكاءً من قِبل أناسٍ يظنون أنفسهم كائناتٍ تطورية، لا مخلوقات الله.
لقد سيطرت هذه الفلسفة على معظم كنائس بلادنا. فالتذمر من التشدد الديني، والقواعد، وانعدام المحبة، وما إلى ذلك، ليس إلا ممارسة أشخاص في الأربعين من عمرهم نفس الضغط الذي مارسوه على أمهاتهم عندما كانوا في الرابعة من عمرهم. وللأسف،

فإنها تُلحق الضرر نفسه بالكنيسة كما ألحقته ببيوتهم.
قال الله إنه يجب كبح جماح الإنسان وأفعاله وقلبه وأفكاره.
في سفر صموئيل الأول (٣ : ١٣) نجد قصةً مُقززة عن عالي وأبنائه. فقد قال: "وَقَدْ أَخْبَرْتُهُ بِأَنِّي أَقْضِي عَلَى بَيْتِهِ إِلَى ٱلْأَبَدِ مِنْ أَجْلِ ٱلشَّرِّ ٱلَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ بَنِيهِ قَدْ أَوْجَبُوا بِهِ ٱللَّعْنَةَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَرْدَعْهُمْ." ليس لديك ضمان بأن أبناءك سينشؤون على فعل الخير، أو أن من ترعاهم سينشأون مسيحيين ناضجين. لكن عليك أن تمنعهم ما دمت قادرًا على ذلك، وأن تحميهم من الخطيئة التي تميل إليها طبيعتهم الساقطة. لم يفعل عالي ذلك، فدفع ثمن تقصيره ثمنًا باهظًا لمن لم يمنعهم.

نجد صورتينا الرابعة والخامسة للشريعة في رسالة كورنثوس الثانية "٣".فالشريعة تشبه حرفاً مكتوباً على حجر، وكحجاب يخفي المجد.
"ٱلَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لِأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لَا ٱلْحَرْفِ بَلِ ٱلرُّوحِ. لِأَنَّ ٱلْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلَكِنَّ ٱلرُّوحَ يُحْيِي.ثُمَّ إِنْ كَانَتْ خِدْمَةُ ٱلْمَوْتِ، ٱلْمَنْقُوشَةُ بِأَحْرُفٍ فِي حِجَارَةٍ، قَدْ حَصَلَتْ فِي مَجْدٍ، حَتَّى لَمْ يَقْدِرْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِ مُوسَى لِسَبَبِ مَجْدِ وَجْهِهِ ٱلزَّائِلِ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ بِٱلْأَوْلَى خِدْمَةُ ٱلرُّوحِ فِي مَجْدٍ؟" (الآيات ٦-٨).
لا يسعنا إلا أن نتذكر موسى على جبل سيناء. تلك الحجارة كانت تحمل كلام الله، لكنها كانت جامدة. كذلك الإنسان غير المؤمن قد يقرأ ويدرس ويتعلم ويحاول تطبيق الشريعة، لكنه بدون ولادة جديدة، يبقى بلا روح.
يمكنك معاقبة شخص أو إيذائه بحجر. يمكنك استخدامه كأساس للبناء. يمكنك الوقوف عليه أو الاختباء خلفه. لكن الشيء الوحيد الذي لا يمكنك فعله بالحجر هو إنتاج الحياة. لا يفكر في مثل هذه الفكرة السخيفة إلا يتبع دارون.
لذا فإن المقطع يقارن بين ألواح الحجر والعهد الجديد، لأنه يعطي الحياة (الآية ٦).

الصورة الخامسة "الحجاب أو البرقع" وفي وقت لاحق من الفصل نقرأ: "وَلَيْسَ كَمَا كَانَ مُوسَى يَضَعُ بُرْقُعًا عَلَى وَجْهِهِ لِكَيْ لَا يَنْظُرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى نِهَايَةِ ٱلزَّائِلِ. بَلْ أَغْلِظَتْ أَذْهَانُهُمْ، لِأَنَّهُ حَتَّى ٱلْيَوْمِ ذَلِكَ ٱلْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ ٱلْعَهْدِ ٱلْعَتِيقِ بَاقٍ غَيْرُ مُنْكَشِفٍ، ٱلَّذِي يُبْطَلُ فِي ٱلْمَسِيحِ." (الآيات ١٣-١٤).
قرأ رجال الماضي العهد القديم ورأوا شرائع الله، لكنهم لم يروا يسوع المسيح. رأوا الظل ولم يروا من يلقي الظل.
عندما جاء يسوع، بذل كل ما في وسعه ليكشف هذا الحجاب عن أعين بني إسرائيل. مرارًا وتكرارًا، كان يصنع المعجزات التي تُثبت ألوهيته. هدّأ البحر، دليلًا على ألوهيته كما ورد في المزامير. شفى رجلًا أعمى، دليلًا آخر على أن الله معهم. صرّح وأظهر أنه هو الكائن بكل الطرق الممكنة وبوضوح لا لبس فيه. ومع ذلك، لم يروا الحقيقة.
كانت ردود الفعل متنوعة، لكنها كانت متشابهة في جوهرها. "لدينا شريعة... قال موسى... مكتوبة في موسى... هذا الرجل يخالف موسى"... تشبثوا بالشريعة ولم يروا مخلصهم، مسيحهم.
تذكروا قصة الحبشي في سفر أعمال الرسل "٨".ذهب إلى أورشليم للعبادة، وفقًا للشريعة. أقام هناك وليمة، وفقًا للشريعة. كان يقرأ كلمة الرب، وينظر مباشرةً إلى إشعياء "٥٣" لكنه لم يستطع رؤية يسوع المسيح. كان هناك غشاوة على عينيه. عندما سمع فيلبس يعظ وآمن، اتضحت له الصورة.
طالما كان مجرد ملتزم بالشريعة، ظلّ المجد خفيًا. لكن ما إن آمن بالمسيح، حتى انكشف له السرّ. كان شاول الطرسوسي ينظر إلى يسوع كعدوٍ بسبب ولائه للشريعة، لكن بعد إيمانه بفترة وجيزة، لدينا أدلة وافرة على انكشاف السرّ. "وَلِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكْرِزُ فِي ٱلْمَجَامِعِ بِٱلْمَسِيحِ: «أَنْ هَذَا هُوَ ٱبْنُ ٱللهِ».(أعمال ٩ : ٢٠). "فَدَخَلَ بُولُسُ إِلَيْهِمْ حَسَبَ عَادَتِهِ، وَكَانَ يُحَاجُّهُمْ ثَلَاثَةَ سُبُوتٍ مِنَ ٱلْكُتُبِ" (أعمال ١٧: ٢) مُثبتًا لهم أن يسوع هو المسيح. لقد تحوّل من يهودي ملتزم بالشريعة لا يرى ألوهية يسوع إلى مؤمن يراه جليًا في صفحات العهد القديم.

في الصورة التالية، يُشبِّه الناموس بالزوج المتوفى.
استهلّ أحد الوعاظ رسالته إلى أهل رومية (٧: ١-٣) بالقول: "هل سمعتم عن المرأة التي تزوجت زوجها الثاني في اليوم نفسه الذي مات فيه زوجها الأول؟" هذا هو المثال السادس المستخدم لوصف القانون.
"أَمْ تَجْهَلُونَ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ -لِأَنِّي أُكَلِّمُ ٱلْعَارِفِينَ بِٱلنَّامُوسِ- أَنَّ ٱلنَّامُوسَ يَسُودُ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ مَا دَامَ حَيًّا؟ فَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ ٱلَّتِي تَحْتَ رَجُلٍ هِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِٱلنَّامُوسِ بِٱلرَّجُلِ ٱلْحَيِّ. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَ ٱلرَّجُلُ فَقَدْ تَحَرَّرَتْ مِنْ نَامُوسِ ٱلرَّجُلِ. فَإِذًا مَا دَامَ ٱلرَّجُلُ حَيًّا تُدْعَى زَانِيَةً إِنْ صَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَ ٱلرَّجُلُ فَهِيَ حُرَّةٌ مِنَ ٱلنَّامُوسِ، حَتَّى إِنَّهَا لَيْسَتْ زَانِيَةً إِنْ صَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ".
لم يُذكر في هذا النص أي شيء عن فترة زمنية بين وفاة الزوج وزواج الزوجة مرة أخرى. ورغم ما قد يبدو عليه الزواج السريع من حرج من الناحية العملية، إلا أن الحقيقة هي أنه بمجرد أن تصبح المرأة أرملة، فإنها تُصبح حرة من تبعات زواجها الأول، ويحق لها قانونًا الزواج من آخر.
تُستخدم هذه الفكرة لشرح علاقة المؤمن بشريعة الله ونعمته الخلاصية. ففي لحظة الولادة الجديدة، تنقطع كل صلة بشريعة موسى. قد تبقى ذكراها عالقة في الأذهان، لكنها تنتهي.
"إِذًا يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضًا قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ ٱلْمَسِيحِ، لِكَيْ تَصِيرُوا لِآخَرَ، لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ لِنُثْمِرَ للهِ."(الآية ٤).
لا يقتصر الأمر على انتهاء العلاقة القديمة وبدء علاقة جديدة، بل (كما سنرى بالتفصيل لاحقًا) على استحالة تعايش هاتين العلاقتين. يمكن للمرء أن يكون خاضعًا للشريعة أو أن يكون في المسيح، ولكن لا يمكنه الجمع بينهما.

تزوج بنو إسرائيل من الشريعة التي أُنزلت على جبل سيناء بعد خروجهم من عبودية مصر. تأملوا في شخصية هذا الزوج الأول. كان سيدًا قاسيًا ومتطلبًا، وقواعده صارمة. لم تستطع الزوجة المسكينة تلبية جميع متطلباته، فإذا قصّرت في أمر واحد، عُوملت في كل شيء. طالب هذا الزوج بالطاعة المطلقة، وإذا قصّرت، وقعت تحت طائلة العقاب فورًا. مهما حاولت، لم تستطع إرضاءه.
تذكروا أن الرومان قالوا إن الشريعة ليست مقدسة فحسب، بل عادلة أيضًا.
لكن الزوجة أُمرت بطاعة زوجها، رغم استحالة تلبية متطلباته. كانت تتعرض باستمرار للعقاب على عصيانها. لم تكن علاقة حب على الإطلاق.
نرى أيضًا أن هذا الزواج لم يُثمر أطفالًا. لم يكن هناك ثمر. لا يستطيع الناموس أن يُثمر ثمر البر في الخاطئ. الزوجة المسكينة الضعيفة تُجبر على العمل والكدح باستمرار، وهي تعلم أنها لن تستطيع أبدًا تلبية مطالب زوجها. مثل أبيجايل، عاشت في خضوع وكرامة، لكنها لا بد أنها كانت تتوق إلى رجل أفضل.
يؤكد هذا المثال بقية النص المقدس. فوجود زوجين على قيد الحياة يجعل المرأة زانية. وقبل أن تتزوج المرأة بالمسيح، يجب أن تكون حرة من زوجها الأول، أي من الناموس. وهكذا تأتي البشارة السارة: "إِذًا يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضًا قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ ٱلْمَسِيحِ" (الآية ٤).فبفضل عمل يسوع المسيح على الصليب، انتهى الاتحاد السابق، وأصبح المؤمنون أحراراً للدخول في اتحاد جديد.
أولئك الذين يزعمون أن المؤمن ملزم بطريقة أو بأخرى بالناموس، كلياً أو جزئياً، يظهرون أنهم لا يستطيعون فهم هذا التوضيح الواضح والجلي.

اذن الناموس يصور:
١ .مرآة.
٢ .نير.
٣ .معلم أو مرشد.
٤ .رسالة مكتوبة على الحجر.
٥ .حجاب.
٦ .زوج متوفى.

هل هناك خطأ ما في الناموس؟

بعد هذا القدر من الدراسة، بات من الواضح أن الشريعة لا تستطيع إنقاذ الإنسان أو جعله بارًا، بل تتركه مدانًا بتقصيره في بلوغ مجد الله. فهل يكمن الخلل في الشريعة نفسها، أم أن المشكلة تكمن في مكان آخر؟

المشكلة ليست في الناموس نفسه، بل في الشخص الذي يحاول الالتزام به. يقول الكتاب المقدس في رسالة رومية (٧ : ١٢)" **إِذًا ٱلنَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَٱلْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ "**.من الواضح أنه لا عيب في الأحكام التي أصدرها الرب.

"فَهَلْ صَارَ لِي ٱلصَّالِحُ مَوْتًا؟ حَاشَا! بَلِ ٱلْخَطِيَّةُ. لِكَيْ تَظْهَرَ خَطِيَّةً مُنْشِئَةً لِي بِٱلصَّالِحِ مَوْتًا، لِكَيْ تَصِيرَ ٱلْخَطِيَّةُ خَاطِئَةً جِدًّا بِٱلْوَصِيَّةِ." (الآية ١٣). الخطيئة هي التي تقتل الإنسان. الشريعة ليست خطيئة. الشريعة تُنير الخطيئة للإنسان حتى يرى ما يُهلكه.

سمعتُ ضجيجًا في الفناء. خرجتُ، وفجأةً! شعرتُ بألمٍ حادٍ في رأسي، وسقطتُ على الأرض. ترنّحتُ عائدًا إلى المنزل. سمعتُ الضجيج مرةً أخرى. خرجتُ، وفجأةً! شعرتُ بألمٍ حادٍ في الجانب الآخر من رأسي، وسقطتُ على الأرض. كنتُ أعلم أن شيئًا ما يضرب رأسي، لكنني لم أكن أعرف ما هو. صرختُ لزوجتي: "أضيئي النور." أضاءتْ الكشاف، فرأيتُ رجلًا يقف هناك وبيده مضرب بيسبول. لم يكن الكشاف هو ما يقتلني، بل الرجل الذي يحمل مضرب البيسبول هو من يقتلني. لقد مكّنني الكشاف من رؤية من يضربني.

وبالمثل، ليس الناموس هو الذي يقتل الإنسان، بل الخطيئة هي التي تقتله. الناموس يكشف ذلك للإنسان، ويُبين له ما يُسبب موته. **"لأننا نعلم أن الشريعة روحية، أما أنا فجسدي، مباع للخطيئة. لأني لا أسمح بما أفعله، فما أريده لا أفعله، وما أكرهه أفعله. فإن كنت أفعل ما لا أريده، فأنا أقرّ بأن الشريعة حسنة "**(الآيات ١٤-١٦). هذا إعلان إيجابي آخر عن الشريعة: إنها روحية. يكمن الخلل في الإنسان الجسدي. أما من ينظر إلى كلام الله ثم إلى نفسه بقلب صادق مخلص، فسيقرّ بصلاح الشريعة. وبذلك يشهد أنه هو سبب أي مشكلة روحية قد تكون في حياته.

فكّروا معي مجدداً في تجاربنا في الشهادة للضالين. أولئك الذين يسعون لتبرير أنفسهم يدينون كلمة الله، وهؤلاء لا ينالون الخلاص. أما الذين يبررون كلمة الله فيرون أنفسهم مدانين، وهؤلاء هم الذين يولدون من جديد.

"فَٱلْآنَ لَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُ ذٰلِكَ أَنَا، بَلِ ٱلْخَطِيَّةُ ٱلسَّاكِنَةُ فِيَّ. فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لِأَنَّ ٱلْإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ ٱلْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. لِأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ ٱلصَّالِحَ ٱلَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ ٱلشَّرَّ ٱلَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ إِيَّاهُ أَفْعَلُ، فَلَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُهُ أَنَا، بَلِ ٱلْخَطِيَّةُ ٱلسَّاكِنَةُ فِيَّ. إِذًا أَجِدُ ٱلنَّامُوسَ "(الآيات ١٧-٢١)هذه ليست شريعة موسى، بل مبدأ ثابت، **"لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ ٱلْحُسْنَى أَنَّ ٱلشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي. فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ ٱللهِ بِحَسَبِ ٱلْإِنْسَانِ ٱلْبَاطِنِ ".**)الآيات ٢١ -٢٢.(

مرة أخرى، نرى أن المشكلة تكمن في الإنسان الذي لا يستطيع الالتزام بشرائع الله، لا في شرائع الله نفسها. ونرى أيضاً أن حتى مجرد الشعور بالرضا الداخلي تجاه الرب وكلامه لا يكفي لجعل المرء مطيعاً طاعة كاملة ومستمرة. انظر مرة أخرى إلى رسالة تيموثاوس الأولى (١ : ٨) "وَلٰكِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ ٱلنَّامُوسَ صَالِحٌ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْتَعْمِلُهُ نَامُوسِيًّا." إن عجز الإنسان عن طاعة الرب لا يعني أن كلمة الله معيبة.

نرى من هذه الآية أن للشريعة استخدامًا مشروعًا. وقد رأينا أن الاستخدام الأمثل لها هو ردع الأشرار وهداية التائبين إلى المسيح. أما الاستخدام غير المشروع للشريعة فهو محاولة الوصول إلى الغفران أو نيل الحياة الأبدية من خلال الوصايا.

المسيح والناموس.

الأن سنتناول علاقة الرب يسوع المسيح بشريعة الله أو الناموس التي أعطيت لموسى.

١ .لقد كان المسيح تحت الناموس.

نعلم أن الله تجسد (١تيموثاوس ٣: ١٦), ونعلم أنه وُلد من نسل إبراهيم وداود (متى ١ ـــ لوقا ٣) وأنه كان يهوديًا من حيث ناسوته (رومية ١: ١-٣).

وبناءً على ذلك، كان خاضعاً للشريعة. يقول غلاطية (٤:٤) "وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ ٱلزَّمَانِ، أَرْسَلَ ٱللهُ ٱبْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ ٱمْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ"

مع أنه كان واضع الشريعة ووسيط العهد، فقد تواضع وتجسد إنسانًا. ولما تجسد، لم يكن منافقًا ولا مستغلًا لسلطانه، بل أخضع نفسه للأحكام التي فرضها على بني إسرائيل.

٢.لقد التزم بالناموس.

لم يكن خاضعًا للقانون فحسب، بل أصبح أول رجل يلتزم بكل حرف ونقطة فيه، في كل لحظة من كل يوم طوال حياته. وكان بإمكانه أن يقول لمن عرفوا "مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ ٱلْحَقَّ، فَلِمَاذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟" (يوحنا ٨: ٤٦).

كان بإمكانه أن يدعو الآب ليشهد على كماله الذي لا تشوبه شائبة. "وَٱلَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي ٱلآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ»." (يوحنا ٨: ٢٩). لقد عاش في كل الأحوال، وفي كل الأوقات، حياةً كاملةً من البر.

وشهد الآب على قداسته التي لا تزول." وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ، وَصَوْتٌ مِنَ ٱلسَّحَابَةِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ٱبْنِي ٱلْحَبِيبُ ٱلَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ ٱسْمَعُوا»." (متى ١٧: ٥).

٣.كان خادما للناموس.

كان يسوع خادمًا للناموس عند اليهود، يُعيد إليها حقيقتها. على مرّ القرون، غير الزعماء الدينيون في إسرائيل الشريعة وحرّفوها، وخفّفوا من حدّتها، وعدّلوها، وأضافوا إليها تقاليدهم، بل وجعلوا أحكامهم أسمى من أحكام الله.

عندما جاء يسوع أعاد الشريعة إلى مكانتها كسلطة على الأمة اليهودية.

واجه يسوع رجلًا كان يعرف ما يقوله الناموس، لكن رغبة هذا الرجل لم تكن في حفظ الناموس بل في تبرير نفسه. يخبرنا إنجيل لوقا (١٠: ٢٥-٢٩):

"وَإِذَا نَامُوسِيٌّ قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلًا: «يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ ٱلْحَيَاةَ ٱلأَبَدِيَّةَ؟». فَقَالَ لَهُ: «مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي ٱلنَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟». فَأَجَابَ وَقَالَ: «تُحِبُّ ٱلرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ». فَقَالَ لَهُ: «بِٱلصَّوَابِ أَجَبْتَ. ٱفْعَلْ هَذَا فَتَحْيَا». وَأَمَّا هُوَ فَإِذْ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّرَ نَفْسَهُ، قَالَ لِيَسُوعَ: «وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟".«

لم يعترف هذا الرجل بسلطة الوصايا التي استشهد بها، بل أراد أن يجادل. لم يتساهل معه يسوع، فالشريعة يجب الالتزام بها.

تُظهر الأناجيل كيف خالف الفريسيون والصدوقيون والكتبة والزعماء الدينيون الشريعة وعلموا الآخرين مخالفتها. لم يكونوا جريئين لدرجة إنكار صحة الشريعة، لكنهم جعلوا تقاليدهم ذات أهمية بالغة. وضع يسوع التأكيد مجدداً على كلام الله. "«لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ ٱلنَّامُوسَ أَوِ ٱلأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ ٱلنَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ ٱلْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ ٱلْوَصَايَا ٱلصُّغْرَى وَعَلَّمَ ٱلنَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ." (متى ٥: ١٧ – ١٩).

تأملوا كيف دافع يسوع عن الشريعة ضد تفسيراتهم المحرفة والتشويش الناتج عن تضارب السلطات. تأملوا كيف دعا الناس إلى الطاعة بكلمات الرب. "«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ ٱلْحُكْمِ." (متى ٥: ٢١). انظروا كيف خفف الناس من حدة الشريعة. لم يكونوا فقط عرضة للدينونة، بل كانوا سيُحاسبون.

"وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ ٱلْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ ٱلْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ. فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى ٱلْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَٱتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ ٱلْمَذْبَحِ، وَٱذْهَبْ أَوَّلًا ٱصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ." (متى ٥: ٢٢-٢٤). لقد أزال يسوع إساءة استخدام الشريعة من الفريسيين والكتبة، وأعاد السلطة المطلقة لكلمة الله. الكلمة وحدها هي التي تحكم قلوب الناس وحياتهم. لقد أعاد نقاء الشريعة.

لم يأتِ يسوع ليلغي الشريعة، بل أعاد إرساء التفسير الكامل والحرفي والملزم للشريعة للأمة اليهودية، وأدان كل مواطن وقائد لعدم التزامه بنص الشريعة كما أنزلها الله.

يقول الكتاب المقدس في رسالة رومية (١٥: ٨) "وَأَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ قَدْ صَارَ خَادِمَ ٱلْخِتَانِ، مِنْ أَجْلِ صِدْقِ ٱللهِ، حَتَّى يُثَبِّتَ مَوَاعِيدَ ٱلآبَاءِ." من وجهة نظر بشرية، رُفض يسوع وصُلب لأنه لم يُلب توقعات الناس. كانوا ينتظرون مسيحًا يُخلصهم، لا من خطاياهم، بل من عواقبها. وضعوا سعف النخيل في الطريق وهتفوا هوشعنا، ظنًا منهم أن يسوع سيستخدم قدراته على صنع المعجزات لإخراجهم من تحت حكم الرومان وكهنتهم الفاسدين.

لكن الوعود التي قُطعت للآباء سبقت الأمل النبوي في مسيح مُخلِّص. لم تكن وعود الأرض والحرية والأمان والراحة مُتحققة لأن الأمة عصت الشريعة طويلًا. علّم يسوع قولًا وفعلًا أنهم لا يستطيعون التمتع بوعود العهد وهم في حالة تمرد على الشريعة.
كانوا في عبودية الأمم لأنهم كانوا في عبودية خطاياهم. ولما أدركوا أن يسوع لن يُطيح بالرومان ولن يمنحهم المملكة المادية التي كانوا يتوقون إليها، تحولت هتافاتهم إلى: "اصلبه."
لو اضطروا للعيش تحت العبودية، لفضلوا الخضوع لحاكم روماني ظالم على الخضوع لحاكم يهودي بار. قال بيلاطس: "أَنَا لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً." (يوحنا ١٨: ٣٨ ـــ ١٩: ٤ ،٦)لكنهم صرخوا: "لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلَّا قَيْصَرَ." (يوحنا ١٩: ١٥).
خدم يسوع الشريعة. فعل ذلك كجزء من الأمة التي شهدت وعود العهد بعلامة الختان. لم يُبطل الوعود بل أكّدها. علّم وعاش حق الله. هذه هي أقوال رسالة رومية (١٥: ٨).

---

٤ .لقد أكمل رموز وضلال الناموس.
في عبرانيين (٩ : ١١ – ١٢) نرى أن يسوع قد أتمّ رموز الشريعة وظلالها بحياته وموته. "وَأَمَّا ٱلْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ ٱلْعَتِيدَةِ، فَبِٱلْمَسْكَنِ ٱلْأَعْظَمِ وَٱلْأَكْمَلِ، غَيْرِ ٱلْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ ٱلَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ ٱلْخَلِيقَةِ، وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا".
كل الماعز، وكل العجول، وكل الحيوانات، وكل الدماء التي سُفكت على مذبح تشير إلى تضحية يسوع المسيح على الصليب في الجلجثة.
"لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى ٱلْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ ٱلْجَسَدِ، فَكَمْ بِٱلْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلهِ بِلَا عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا ٱللهَ ٱلْحَيَّ!" (الآيات ١٣-١٤).كانت الثيران والماعز والعجلات والرماد والقرابين، إذا قدمها من يخشى الله ويعبده، تؤثر في بره الظاهر وأفعاله. لكن التطهير الداخلي وتنقية الضمير يتطلبان دم يسوع. لقد كان ولا يزال تحقيقًا لجميع رموز العهد القديم وإشاراته.
"لِأَنَّ ٱلْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ ٱلْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ ٱلْآنَ أَمَامَ وَجْهِ ٱللهِ لِأَجْلِنَا." (الآية ٢٤).وهذا أمرٌ لافتٌ للنظر، ليس فقط في عرضه الرائع لحقيقة صعود المسيح، ولا في كونه مع الآب لأجلنا، بل في تعليمه المتعلق بالشريعة.
من هذا النص نفهم أن المجيء إلى المكان الذي شرعه الله (خيمة الاجتماع)، بالطريقة التي شرعها (للعبادة)، مع الذبيحة التي شرعها، محاطًا بالأواني التي شرعها (الأنوار، وخبز التقدمة، والمائدة، إلخ) لا يرفع المرء قيد أنملة عن الأرض. فعندما انتهى بنو هارون من عملهم، لم يكن الكاهن ومن كان يعمل لديهم أقرب إلى السماء مما كانوا عليه في البداية.
لكن يسوع المسيح دخل إلى قدس الأقداس في السماء، وذلك بدمه. بالإيمان بتضحيته، يُمكن لأحقر الخطاة أن يرتفع إلى أعلى المراتب. جميع رموز الشريعة أشارت إلى التضحية الوحيدة التي تُنقل الإنسان من الأرض إلى السماء، ألا وهي دم يسوع.
تخيّل امرأةً تقع في الحب، لكن حبيبها يُستدعى إلى الحرب، فلا يبقى لها سوى صورته. لسنواتٍ طويلة، تنظر كل ليلة إلى صورته، متلهفةً لليوم الذي يعود فيه ويجعلها عروسه. وأخيرًا، تنتهي الحرب، ويعود إلى الوطن. تراه هناك في أبهى حلله، يبدو أجمل مما كان عليه حين رحل، وأكثر رجولةً مما كان عليه حين وقعت في حبه. ومع ذلك، تختار أن تُبقي على علاقتها بصورته وترفض الزواج منه. أمرٌ لا يُصدق.
هذا بالضبط ما فعلته أمة إسرائيل عندما اختارت التمسك برموز الشريعة وظلالها بدلًا من قبول شخص يسوع المسيح. لقد فضلوا دم الثيران والماعز على دم حمل الله.
تخيل الآن أن منزل هذه الفتاة يحترق، وتلتهم الصورة. لم يتبق لها شيء. لقد استبدلت الرجل بصورة الرجل، ثم اختفت الصورة.
بعد سنوات قليلة من قيامة يسوع من بين الأموات، فقد اليهود هيكلهم وكهنتهم ومدينتهم ومذبحهم – دُمر كل شيء، وتشتتوا في أرجاء الأرض. يروي سفر هوشع (٣ : ٤)هذه القصة: "لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَيَقْعُدُونَ أَيَّامًا كَثِيرَةً بِلَا مَلِكٍ، وَبِلَا رَئِيسٍ، وَبِلَا ذَبِيحَةٍ، وَبِلَا تِمْثَالٍ، وَبِلَا أَفُودٍ وَتَرَافِيمَ." لقد استبدلوا مسيحهم برموزه، ثم أُزيلت تلك الرموز.
تتوفر العديد من الكتب الرائعة التي تُظهر صور المسيح في خيمة الاجتماع، والهيكل، والأعياد، والذبائح. إنها ممتعة للقراءة والتأمل. ما أعظم أن الله الابن جاء ليُتِّمم كل ما بشَّرت به كلمة الله بشأن معاناته من أجل الخطايا والخطاة، لكي تُخلَّص النفوس الضالة!

---

٥ .لقد تحمل لعنة الناموس.
لقد أثبتنا أن كل من لم يلتزم بالشريعة كاملةً طوال حياته كان مُدانًا. ونحن نحب الرب يسوع لأنه حمل عنا تلك اللعنة ودفع ثمنها كاملًا بموته على الصليب.
يقول غلاطية (٣ : ١٣ – ١٤) "ٱلْمَسِيحُ ٱفْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ ٱلنَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ». لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلْأُمَمِ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِٱلْإِيمَانِ مَوْعِدَ ٱلرُّوحِ".

ليس فقط أننا مغفور لنا، وليس فقط أننا مفدى، بل إننا ننال مجاناً بركات لا حصر لها لم نكن نستحقها من قبل.
أولًا، لا يمكن لأي خاطئ أن يدعي الحصول على بركة كاملة، لكن يسوع أخذ مكان الخاطئ تحت اللعنة حتى يتمكن من أن يمنحنا كمال نعمته ورحمته، بعد أن أتمّ كل بر نيابة عنا.
ثانياً، من خلال عمل يسوع المسيح المنجز، فإن الأمميين الذين يثقون به يحصلون على المشاركة في جميع البركات المستقبلية التي ستتمتع بها إسرائيل المستعادة في عصر الملكوت.
ثالثًا، على الرغم من أننا لا نستطيع أبدًا الالتزام بالشريعة بسبب حالتنا الساقطة، إلا أننا قادرون على عيش الحياة المسيحية من خلال هبة الروح القدس الساكن فينا.

٦.أخرج الذين كانوا عبيداً تحت الشريعة وجعلهم أبناءً.
بعد أن أتمّ الربّ الشريعة، ودفع ثمن من لم يحفظها، وفدى من آمنوا به، يأخذ الربّ أولئك الذين كانوا عبيدًا للشريعة ويجعلهم أبناءً لله. من ذا الذي لا يتعجب من هذا التغيير في علاقتنا ومكانتنا في المسيح؟
كلمة "العبد" توحي بالعبودية والقسوة والظلم. فمعظم من يسمعها يتبادر إلى ذهنه العبودية كشيء يتوق الإنسان إلى التخلص منه. أما كلمة "ابن" فتوحي بالحب والحياة والرفقة وأوثق الروابط التي يتوق إليها قلب الإنسان.
يقول غلاطية (٤ : ١ – ٧) "وَإِنَّمَا أَقُولُ: مَا دَامَ ٱلْوَارِثُ قَاصِرًا لَا يَفْرِقُ شَيْئًا عَنِ ٱلْعَبْدِ، مَعَ كَوْنِهِ صَاحِبَ ٱلْجَمِيعِ. بَلْ هُوَ تَحْتَ أَوْصِيَاءَ وَوُكَلَاءَ إِلَى ٱلْوَقْتِ ٱلْمُؤَجَّلِ مِنْ أَبِيهِ." (الآيات ١-٢).ربما كان لإسرائيل وعود عظيمة في عهد إبراهيم، لكنهم لم ينعموا بها لقرون قبل المسيح، وفي الألفي عام التي تلت الجلجثة عاشوا كما لو لم يُعطَ لهم أي وعد قط.
"هَكَذَا نَحْنُ أَيْضًا: لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ، كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ ٱلْعَالَمِ." (الآية ٣).يروي سفر أفسس، الإصحاحان ٢و٤، قصة الأمم الذين ظلوا عبيدًا لأهواء الشيطان ورغباته وأنظمة عالمه.
"وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ ٱلزَّمَانِ، أَرْسَلَ ٱللهُ ٱبْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ ٱمْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ ٱلَّذِينَ تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ، لِنَنَالَ ٱلتَّبَنِّيَ."(الآيات ٤-٥).ليس الأمر مجرد حياة أبدية، ولا مجرد مسكن في السماء، ولا مجرد غفران للخطايا، بل منحنا الله مكانًا في عائلته، ومقعدًا على مائدته.
"ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ ٱللهُ رُوحَ ٱبْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا ٱلْآبُ». إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ٱبْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ٱبْنًا فَوَارِثٌ بِٱللهِ بِٱلْمَسِيحِ." (الآيات ٦-٧).هذا يفوق بكثير التحرر من القواعد والأنظمة والمطالب والعقوبات التي فُرضت عند جبل سيناء. إنه إعلان عظيم بأننا أصبحنا أعضاءً في عائلة الله، وأننا، بصفتنا كذلك، نرث كل ما صنعه مخلصنا ولأجله.

---

٧ .لقد استبدل الناموس بعهد جديد.
سيظل العهد القديم ساريًا دائمًا. وعد الله إبراهيم بالأرض، وسيسكن شعبه تلك الأرض من المجيء الثاني للمسيح فصاعدًا.
وسيعيشون في ظل ناموس العهد القديم بعد استعادتها. أما الذين وُلدوا من جديد بنعمة الله من خلال الإيمان بالرب يسوع، فقد منحهم الله ما هو أفضل من العهد القديم. فالمعمودية في جسد المسيح تجلب هباتٍ أغنى، وتُمكّن كل فرد من إقامة علاقة أبدية مع الرب.
لقد وهب الله كل إنسان ضميرًا (رومية ٢)وفهمًا لقدرته، وإدراكًا لمسؤوليته أمامه (رومية ١)ونورًا (يوحنا ١).وفوق كل ذلك، أُعطيت أمة إسرائيل شريعة مكتوبة بيّن الله فيها بالتفصيل كيف يمكن للمرء أن يعيش ويحب وينال البركة. وفوق كل ذلك، العلاقة التي تربط المسيح بالكنيسة. فنحن نُوضع في المسيح، ويُمنحنا الله الروح القدس ليسكن فينا. لذا، فبينما يُعدّ كون المرء عبرانيًا، لا أمميًا، ميزة، إلا أن الأفضل هو أن يكون مولودًا من جديد من أبناء الله.
بالإضافة إلى هذه الحقائق، وعد الرب بأن نتيجة أخرى لموت يسوع من أجل الخطايا هي عهد جديد بين يهوه وذرية إبراهيم.
يخبرنا العبرانيون (٨: ٦-١٣) "وَلٰكِنَّهُ ٱلْآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ. فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذٰلِكَ ٱلْأَوَّلُ بِلَا عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لِثَانٍ. لِأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ لَائِمًا: «هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ ٱلرَّبُّ، حِينَ أُكَمِّلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَا كَٱلْعَهْدِ ٱلَّذِي عَمِلْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُ بِيَدِهِمْ لِأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَهْدِي، وَأَنَا أَهْمَلْتُهُمْ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ. لِأَنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْعَهْدُ ٱلَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ: أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلٰهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. وَلَا يُعَلِّمُونَ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ قَائِلًا: ٱعْرِفِ ٱلرَّبَّ، لِأَنَّ ٱلْجَمِيعَ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ. لِأَنِّي أَكُونُ صَفُوحًا عَنْ آثَامِهِمْ، وَلَا أَذْكُرُ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ». فَإِذْ قَالَ: «جَدِيدًا»، عَتَّقَ ٱلْأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْاَضْمِحْلَالِ".
يجب أن نتأمل في هذا المقطع الكبير والهام.
من الواضح أن هذا العهد أسمى من سابقه. ومن الجليّ أيضاً أن العهد السابق ربما يكون قد شهد انحلالًا وبدا وكأنه على وشك الزوال، ولكنه لا يزال قائماً. ومما لا شك فيه أيضاً أن العهد الجديد ليس بين المسيح والكنيسة، بل بين الآب وأمته المختارة.
تذكروا ما تعلمناه عن الشريعة. لقد أُنزلت لتنظيم حياة بني إسرائيل في أرض الميعاد. وكانت هناك عواقب للعصيان، وكثيراً ما عانت الأمة من تلك العقوبات لأن أحداً منهم لم يلتزم بالشريعة.
في عصر الملكوت، سيحظى المؤمنون الباقون من بني إسرائيل بمزايا عديدة لم يحظَ بها أسلافهم. لن يقتصر

الأمر على حضور يسوع، حاكمًا على عرش داود في أورشليم، بل سيُكشف النقاب عن قلوبهم ليروا حقيقته ويفهموا كلمة الله. يحمل هذا النص وعدًا عظيمًا. فهو يُبشّر بشيء لم ينعم به أي إنسان من قبل، حتى أولئك الذين كانوا في كنيسة العهد الجديد. قال الله إنه سيكتب شرائعه في أذهانهم ويضعها في قلوبهم بطريقة خارقة. وهذا سيمكّنهم من طاعة لم تكن ممكنة من قبل، مما سيؤدي إلى التمتع الكامل بالبركات المنصوص عليها في الشريعة. سيكون هذا شيئًا لم يُشهد له مثيل في أي عصر سابق.

---

٨ .لقد وضع قانوناً أعلى.

يقول الكتاب المقدس في غلاطية (٦ : ٢) "اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ، وَهَكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ ٱلْمَسِيحِ." وقد رأينا سابقًا أن يسوع لم يأتِ لينقض الناموس بل ليتممه. والآن سنرى كيف أخذ الرب كلمات الناموس ووسعه ليشمل الروح أيضًا.

بعد أن علمنا أن شريعة موسى مقدسة وعادلة وصالحة، وأن عيبها الوحيد يكمن في اعتمادها على طاعة الإنسان الساقط، فإننا لا نشكك في أي آية من تعاليم الله. إن قراءة ممتعة للمزمور ١١٩ستُقنع القارئ بفضائل الشريعة وكمالها. وقد خصص الروح القدس أطول فصل في الكتاب المقدس لتمجيد الوصايا والأحكام.

أقرّ يسوع الوصايا العشر. انظر إلى الأمثلة التالية.

"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «تُحِبُّ ٱلرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ." (متى ٢٢: ٣٧). "ٱللهُ رُوحٌ. وَٱلَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَٱلْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا»." (يوحنا ٤: ٢٤). إذن، لا يوجد الا اله واحد، ولا يجوز عبادة غيره.

"وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَحْلِفُوا ٱلْبَتَّةَ، لَا بِٱلسَّمَاءِ لِأَنَّهَا كُرْسِيُّ ٱللهِ، وَلَا بِٱلْأَرْضِ لِأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلَا بِأُورُشَلِيمَ لِأَنَّهَا مَدِينَةُ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَظِيمِ." (متى ٥: ٣٤-٣٥). لا يُنطق باسم الله عبثًا. إن أردتم التحدث إليه، فادعوه باسمه. وإن لم ترغبوا في التحدث إليه، فلا تستهزئوا باسمه. إن كنتُ قد سئمتُ من سماع الحمقى يقولون: "يا إلهي" مئة مرة في اليوم، فتخيلوا كم سئم الرب من هذا التجديف.

"فَإِنَّ ٱللهَ أَوْصَى قَائِلًا: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتِمْ أَبًا أَوْ أُمًّا فَلْيَمُتْ مَوْتًا." (متى ١٥ : ٤)."أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ»." (متى ١٩: ١٩). "لِأَنَّ مُوسَى قَالَ: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتُمْ أَبًا أَوْ أُمًّا فَلْيَمُتْ مَوْتًا." (مرقس ٧: ١٠). "«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ ٱلْحُكْمِ." (متى ٥ : ٢١).

"وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ إِلَّا بِسَبَبِ ٱلزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَٱلَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي»..... قَالَ لَهُ: «أَيَّةَ ٱلْوَصَايَا؟». فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِٱلزُّورِ." (متى ١٩: ٩, ١٨).

لا ينبغي أن نستغرب أن نجد يسوع المسيح، واضع الشريعة، يستشهد بسلطة أحكامه. ومع ذلك، نجد في العهد الجديد أن الرب يسوع قد وضع شريعة أسمى من تلك التي أُنزلت على جبل سيناء. فقد أخرج الشريعة من نطاق العمل الظاهر وجعلها مسألة تتعلق بحالة القلب. ودعا الناس مرارًا وتكرارًا إلى السير في الميل الأول من الطاعة التامة، ثم الميل الثاني من التعبد الباطني.

في متى (١٥ : ١٩) يقول الرب إن مخالفة الشريعة مسألة قلبية. "لِأَنْ مِنَ ٱلْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ: قَتْلٌ، زِنًى، فِسْقٌ، سِرْقَةٌ، شَهَادَةُ زُورٍ، تَجْدِيفٌ".

في متى (١٢: ٣٤-٣٧) نقرأ: "يَا أَوْلَادَ ٱلْأَفَاعِي! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِٱلصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ ٱلْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ ٱلْفَمُ. اَلْإِنْسَانُ ٱلصَّالِحُ مِنَ ٱلْكَنْزِ ٱلصَّالِحِ فِي ٱلْقَلْبِ يُخْرِجُ ٱلصَّالِحَاتِ، وَٱلْإِنْسَانُ ٱلشِّرِّيرُ مِنَ ٱلْكَنْزِ ٱلشِّرِّيرِ يُخْرِجُ ٱلشُّرُورَ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا ٱلنَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ ٱلدِّينِ. لِأَنَّكَ بِكَلَامِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلَامِكَ تُدَانُ".«

لم يكتفِ يسوع بالتأكيد على صحة الوصايا العشر، بل أكد أيضًا على ضرورة امتلاك قلبٍ سليمٍ تجاه الله. وأوضح أن الالتزام بالوصايا ينبع تلقائيًا من هذا القلب الطيب. كان يسوع أكثر اهتمامًا بمن يخدم الله طواعيةً بقلبٍ مُحب له، من أن يُجبر على خدمته رغماً عنه.

ويتضح هذا من خلال اللقاء المذكور في إنجيل لوقا (١٣: ١٤ – ١٦) "فَأَجَابَ رَئِيسُ ٱلْمَجْمَعِ، وَهُوَ مُغْتَاظٌ لِأَنَّ يَسُوعَ أَبْرَأَ فِي ٱلسَّبْتِ، وَقَالَ لِلْجَمْعِ: «هِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ يَنْبَغِي فِيهَا ٱلْعَمَلُ، فَفِي هَذِهِ ٱئْتُوا وَٱسْتَشْفُوا، وَلَيْسَ فِي يَوْمِ ٱلسَّبْتِ!». فَأَجَابَهُ ٱلرَّبُّ وَقَالَ: «يَا مُرَائِي! أَلَا يَحُلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ ثَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِنَ ٱلْمِذْوَدِ وَيَمْضِي بِهِ وَيَسْقِيهِ؟ وَهَذِهِ، وَهِيَ ٱبْنَةُ إِبْرَاهِيمَ، قَدْ رَبَطَهَا ٱلشَّيْطَانُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ مِنْ هَذَا ٱلرِّبَاطِ فِي يَوْمِ ٱلسَّبْتِ؟".«

ربما كان صحيحًا أنهم لم يرتكبوا أي خطأ في اليوم السابع (وهذا أمر مستبعد جدًا)، لكنهم لم يفعلوا كل شيء في ذلك اليوم ولا في الأيام الستة الأخرى. أراد الرب أن يذكّرهم بأن الوصية لم تكن مجرد تذكر يوم السبت، بل شملت أيضًا طلب تقديسه (خروج ٢٠: ٨).

انظر إلى الأمثلة الأربعة الواردة في متى ٥.يبدأ كل منها بعبارة: "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ"

في الأولى، يتوسع الرب في شرح "لا تقتل" ويجعل من المحرمات الغضب على الأخ بدون سبب أو وصفه بالغباء بغضب (الآيات ٢١-٢٢).

في الآية الثانية، يوضح يسوع أن فعل الزنا خطيئة، وكذلك الرغبة فيه. يقول: "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى ٱمْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ." (الآية ٢٨).هذا أحد المواضع العديدة التي يُبين فيها يسوع أن الخوف من العقاب قد يمنع الإنسان، لكن قلبه يميل إلى ارتكاب الخطيئة. لقد تجاوز المسيح الفعل إلى الرغبة، فجعل الإنسان مذنبًا ليس فقط بسبب الفعل الظاهر، بل أيضًا بسبب الشوق الباطني.

في الثالث، يزيد الله حدود شريعة الحلف. "«أَيْضًا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَحْنَثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا

تَحْلِفُوا ٱلْبَتَّةَ، لَا بِٱلسَّمَاءِ لِأَنَّهَا كُرْسِيُّ ٱللهِ، وَلَا بِٱلْأَرْضِ لِأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلَا بِأُورُشَلِيمَ لِأَنَّهَا مَدِينَةُ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَظِيمِ."(الآيات ٣٣-٣٥).
في الآية الرابعة، يقول المسيح إنه لا يكفي أن نكون خاليين من الكراهية وأن نمتنع عن إيذاء الآخرين. بل يقول إنه يجب علينا أن نحبهم ونحسن إليهم، وإلا نكون مذنبين." «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ ٱلَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ"(الآيات ٤٣-٤٤).
تذكروا الآية التي تقول إن الشريعة كانت قائمة حتى يوحنا، وأن النعمة والحق جاءا بيسوع المسيح (يوحنا ١: ١٧). لم يكن الرب يُلغي الشريعة، بل كان يقول إنه إن غابت عنكم النعمة والحق، فلن يبقى لكم إلا الشريعة. الشريعة بدون النعمة والحق لا تنفعكم شيئًا. لم يُبدّل يسوع الشريعة أو يُلغيها، بل أظهر حقيقتها وجوهرها.
إن فكرة أن حفظ الشريعة مسألة قلبية لها نظير في طاعة العهد الجديد. إذ يقول الكتاب المقدس: "فَإِنَّ هَذِهِ هِيَ مَحَبَّةُ ٱللهِ: أَنْ نَحْفَظَ وَصَايَاهُ. وَوَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً" (١يوحنا ٥: ٣). فعندما يسيطر حب الله على القلب، يقول الناس: «بالتأكيد يا رب، أرشدني إلى ما يجب عليّ فعله.» أما عندما لا يسيطر حب الله على القلب، فيقول الناس: «ماذا تعني بقولك إنني لا أستطيع فعل ذلك؟.» أحد المناهج يقول: «الى أي مدى يريد الله مني أن أذهب؟» والآخر يقول: «لماذا عليّ أن أذهب إلى هذا الحد؟» فالأمر كله مسألة قلبية.

المؤمنون والناموس.

قلما توجد مواضيع تثير جدلًا حاداً وغير ضروري أكثر من علاقة المؤمنين المولودين من جديد في كنيسة العهد الجديد بشريعة موسى.
من جهة، لدينا الكنائس الليبرالية والتقليدية التي لا تُميّز بين إسرائيل والكنيسة، وبالتالي لا تستطيع الفصل بين العهد القديم والعهد الجديد. ينتهي المطاف بهذه الجماعات دائمًا إلى تعليم شكلٍ من أشكال الخلاص بالأعمال، قائم على طاعةٍ ناقصة لأجزاءٍ غير مُحدّدة من الشريعة. ومن جهة أخرى، لدينا الجماعات الأصولية التي كان من المفترض أن تكون أكثر درايةً بتعليمها الأحكام والتقسيمات الصحيحة، لكنها تسعى بعد ذلك إلى استخدام الشريعة كسلاحٍ لتهديد أعضاء الكنيسة الاسمية، أو كدليلٍ لإدارة كنيسةٍ محلية، أو كمبررٍ لمساواة القس بالملك بدلًا من كونه وكيلًا.
هناك مشكلة عقائدية متكررة تتجلى في عقلية القساوسة المتغطرسين وغير الواثقين بأنفسهم. سواء أكانوا يعلّمون أن المؤمنين سيذهبون إلى الجحيم خلال الألفية (وهذا أمر لا يُصدق)، أو أن الكنيسة ستمر بأحكام الضيق (وهم يقصدون بالكنيسة جزءًا منها فقط)، أو أن جميع الذين دُفعت ذنوبهم على جبل الجلجلة سيُجلد بالعصا أمام عرش المسيح (يا للسخرية)!، أو سيفقد خلاصه (مع أن كيفية ووقت حدوث ذلك أمرٌ لا يُمكن الجزم به)، أو أن جزءًا من الشريعة ينطبق على الكنيسة (كالعُشر والنظام الغذائي، إلخ)، فالعقلية واحدةٌ دائمًا. تنشأ هذه العقائد الباطلة من إحباط الوعاظ الذين يفشلون في حثّ الناس على العيش في سبيل الرب. ولأن أعضاء كنائسهم ومن يدّعون المسيحية لا يعيشون حياةً مُكرّسةً ومُخلصةً ليسوع (كما يُعرّفها الواعظ)، يبدأ هؤلاء الرجال بتحريف الكتاب المقدس أو اختلاق عقائد لإجبار المسيحيين أو تخويفهم على خدمة الرب.
هذا جهدٌ عبثي. لا فائدة تُرجى من تعليم العقائد الباطلة. لكنّ الاعتقاد بأنّ الباطل سيُثمر ثمارًا روحيةً حيث فشل الحقّ، لهو محض حماقة. لا يهمني ما تستخدمونه لتهديد رجل؛ إن أراد أن يُذنب، فسيُذنب. إن أراد أن يبتعد عن الكنيسة، فسيعود إلى العالم. إن لم يُرد أن يشهد، فلن يُبشّر أحدًا بالإنجيل.
من جهة أخرى، إذا واظبتَ على عرض حقائق كلمة الله، ومجّدتَ يسوع، وقدّمتَ أفضل مثالٍ ممكن، فإنّ الناس الذين يُحبّون الله سيخدمونه. هدفنا هو أن نُوجّه الرجال والنساء إلى فعل الصواب. لكن محاولة دفعهم إلى ذلك عن طريق تعاليم خاطئة أو عقوبات مُضلّلة أمرٌ خاطئ. يقول الكتاب المقدس: "لَعْنَةٌ بِلَا سَبَبٍ لَا تَأْتِي." (أمثال ٢٦: ٢).
بإمكانكم تهديدي بالجحيم، لكنني لن أذهب. بإمكانكم تهديدي بالعصا أمام عرش المسيح، لكن ذنوبي قد غُفرت جميعها، ومحاميّ جالس على عرش السماء. بإمكانكم تهديدي بفقدان خلاصي، لكن لي الحياة الأبدية بيسوع المسيح ربي. بإمكانكم إخباري بضرورة الالتزام بهذا الجزء من الشريعة أو ذاك، لكنني لم أكن خاضعًا للشريعة قبل انضمامي إلى جسد المسيح، وبالتأكيد لست خاضعًا لها الآن.
بالطبع، هناك من يدّعون الالتزام بالشريعة وهم في الحقيقة يرددون عقيدة خاطئة تلقّنوها. هم صادقون لكنهم ضالون. ليس كل من يدّعي الجهل يحمل نوايا خبيثة، لكن اتباعهم جميعاً غير آمن.
يبدو من غير المعقول تقريبًا، مع أن هذا الموضوع نوقش وحُسم في زمن الرسل، وأن سجل المسألة ونتيجتها مُبينان بوضوح في الكتاب المقدس، أن يخطئ أحد في هذا الشأن. ومع ذلك، نجد مرة أخرى أن معظم الناس يستخدمون الكتاب المقدس كمصدر لاستخلاص الكلمات أو الآيات لدعم أفكارهم. وقلة منهم من يؤمن بالكتاب المقدس إيمانًا راسخًا لدرجة أن كلماتهم هي مرجعهم النهائي.
إن كلمات سفر أعمال الرسل "١٥" واضحة للغاية لدرجة أن التعليق عليها لا يعدو كونه تكراراً لما ورد في النص.
"وَٱنْحَدَرَ قَوْمٌ مِنَ ٱلْيَهُودِيَّةِ، وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ ٱلْإِخْوَةَ أَنَّهُ: «إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى، لَا يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا». فَلَمَّا حَصَلَ لِبُولُسَ وَبَرْنَابَا مُنَازَعَةٌ وَمُبَاحَثَةٌ لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ مَعَهُمْ، رَتَّبُوا أَنْ يَصْعَدَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَأُنَاسٌ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى ٱلرُّسُلِ وَٱلْمَشَايِخِ إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ ٱلْمَسْأَلَةِ. فَهَؤُلَاءِ بَعْدَ مَا شَيَّعَتْهُمُ ٱلْكَنِيسَةُ ٱجْتَازُوا فِي فِينِيقِيَةَ وَٱلسَّامِرَةِ يُخْبِرُونَهُمْ بِرُجُوعِ ٱلْأُمَمِ، وَكَانُوا يُسَبِّبُونَ سُرُورًا عَظِيمًا لِجَمِيعِ ٱلْإِخْوَةِ. وَلَمَّا حَضَرُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلَتْهُمُ ٱلْكَنِيسَةُ وَٱلرُّسُلُ وَٱلْمَشَايِخُ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِكُلِّ مَا صَنَعَ ٱللهُ مَعَهُمْ."
(الآيات ١-٤).لم يكن اليهود الذين نالوا الخلاص في أورشليم راضين عن خلاص الأمم إن كان هذا الخلاص بالإيمان بالمسيح وحده. فلو لم تكن الشريعة مُلزمة لأعضاء الكنيسة من الأمم، لما كان لليهود مكانةٌ مُهيمنة. كان هذا هو الدافع وراء اعتراضهم على الكشف عن العقائد المتعلقة بالكنيسة.
"وَلَكِنْ قَامَ أُنَاسٌ مِنَ ٱلَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا مِنْ مَذْهَبِ ٱلْفَرِّيسِيِّينَ، وَقَالُوا: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَنُوا، وَيُوصَوْا بِأَنْ يَحْفَظُوا نَامُوسَ مُوسَى».فَٱجْتَمَعَ ٱلرُّسُلُ وَٱلْمَشَايِخُ لِيَنْظُرُوا فِي هَذَا ٱلْأَمْرِ." (الآيات ٥-٦).ولا يمكن لأي قارئ أن يغفل عن المسألة المطروحة.
"فَبَعْدَ مَا حَصَلَتْ مُبَاحَثَةٌ كَثِيرَةٌ قَامَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ ٱلْإِخْوَةُ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ ٱخْتَارَ ٱللهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ ٱلْأُمَمُ كَلِمَةَ ٱلْإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ. وَٱللهُ ٱلْعَارِفُ ٱلْقُلُوبَ، شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِيًا لَهُمُ ٱلرُّوحَ ٱلْقُدُسَ كَمَا لَنَا أَيْضًا. وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِشَيْءٍ، إِذْ طَهَّرَ بِٱلْإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ." (الآيات ٧-٩).كان بطرس حاضرًا في سفر أعمال الرسل "٢"عندما نال اليهود الخلاص ظاهريًا دون الالتزام بأي شريعة، وكان حاضرًا في سفر أعمال الرسل "١٠" عندما نال الأمم الخلاص ظاهريًا دون الالتزام بأي شريعة. من المؤكد أن هذه العقيدة لم تكن من ابتكار بطرس، إذ احتاج إلى آية ليقتنع بها.
"فَٱلْآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ ٱللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ ٱلتَّلَامِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلَا نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟ لَكِنْ بِنِعْمَةِ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أُولَئِكَ أَيْضًا»." (الآيات ١٠-١١).كيف يُعقل أن يدور هذا الجدل بعد عشرين قرنًا حول أمرٍ حُسم بيقينٍ تام من خلال ملاحظة عمل الله في حياة المؤمنين من اليهود والأمم؟ إن عبارة "تُجرِّبون الله" عبارةٌ بليغةٌ، انظروا استخدامها في رسالة كورنثوس

الأولى "١٠".لم يستطع أحدٌ قبل المسيح أن يتحمل متطلبات الشريعة، ولم يستطع أحدٌ بعده. وقد رُفضت هذه المحاولة لفرض مثل هذا القيد على الكنيسة من قِبَل أولئك الذين منحهم المسيح سلطة الحل والربط.

"فَسَكَتَ ٱلْجُمْهُورُ كُلُّهُ. وَكَانُوا يَسْمَعُونَ بَرْنَابَا وَبُولُسَ يُحَدِّثَانِ بِجَمِيعِ مَا صَنَعَ ٱللهُ مِنَ ٱلْآيَاتِ وَٱلْعَجَائِبِ فِي ٱلْأُمَمِ بِوَاسِطَتِهِمْ. وَبَعْدَمَا سَكَتَا أَجَابَ يَعْقُوبُ قَائِلًا: «أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ ٱلْإِخْوَةُ، ٱسْمَعُونِي.... لِذَلِكَ أَنَا أَرَى أَنْ لَا يُثَقَّلَ عَلَى ٱلرَّاجِعِينَ إِلَى ٱللهِ مِنَ ٱلْأُمَمِ." (الآيات ١٢، ١٣-١٩ و ١٩).وافق يعقوب، ووافق بطرس، ووافق الجميع، إذ كان هذا الأمر يتعلق بشيء على الأرض، وأصبح قرارهم المُستنير بالروح القدس أساسًا لكنيسة العهد الجديد. الإيمان بعمل المسيح المُنجز دون أعمال الناموس يُساوي التبرير.

"بَلْ يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَاتِ ٱلْأَصْنَامِ، وَٱلزِّنَا، وَٱلْمَخْنُوقِ، وَٱلدَّمِ. لِأَنَّ مُوسَى مُنْذُ أَجْيَالٍ قَدِيمَةٍ، لَهُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مَنْ يَكْرِزُ بِهِ، إِذْ يُقْرَأُ فِي ٱلْمَجَامِعِ كُلَّ سَبْتٍ»." (الآيات ٢٠-٢١).طُلب من الكنيسة الالتزام ببعض الوصايا، لا كقانون، بل لتجنب إيذاء الضمائر الضعيفة لمن سيشهد لهم أعضاؤها. طُلب منهم أن يعيشوا بما يتجاوز ما طلبه الله وأن يتأملوا في توقعات العالم من حولهم، حتى لا يتم إعاقة التبشير.

"حِينَئِذٍ رَأَى ٱلرُّسُلُ وَٱلْمَشَايِخُ مَعَ كُلِّ ٱلْكَنِيسَةِ أَنْ يَخْتَارُوا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، فَيُرْسِلُوهُمَا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ مَعَ بُولُسَ وَبَرْنَابَا: يَهُوذَا ٱلْمُلَقَّبَ بَرْسَابَا، وَسِيلَا، رَجُلَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي ٱلْإِخْوَةِ. وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ هَكَذَا: «اَلرُّسُلُ وَٱلْمَشَايِخُ وَٱلْإِخْوَةُ يُهْدُونَ سَلَامًا إِلَى ٱلْإِخْوَةِ ٱلَّذِينَ مِنَ ٱلْأُمَمِ فِي أَنْطَاكِيَةَ وَسُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ: إِذْ قَدْ سَمِعْنَا أَنَّ أُنَاسًا خَارِجِينَ مِنْ عِنْدِنَا أَزْعَجُوكُمْ بِأَقْوَالٍ، مُقَلِّبِينَ أَنْفُسَكُمْ، وَقَائِلِينَ أَنْ تَخْتَتِنُوا وَتَحْفَظُوا ٱلنَّامُوسَ، ٱلَّذِينَ نَحْنُ لَمْ نَأْمُرْهُمْ. رَأَيْنَا وَقَدْ صِرْنَا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَنْ نَخْتَارَ رَجُلَيْنِ وَنُرْسِلَهُمَا إِلَيْكُمْ مَعَ حَبِيبَيْنَا بَرْنَابَا وَبُولُسَ، رَجُلَيْنِ قَدْ بَذَلَا نَفْسَيْهِمَا لِأَجْلِ ٱسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ. فَقَدْ أَرْسَلْنَا يَهُوذَا وَسِيلَا، وَهُمَا يُخْبِرَانِكُمْ بِنَفْسِ ٱلْأُمُورِ شِفَاهًا. لِأَنَّهُ قَدْ رَأَى ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ وَنَحْنُ، أَنْ لَا نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلًا أَكْثَرَ، غَيْرَ هَذِهِ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلْوَاجِبَةِ: أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ لِلْأَصْنَامِ، وَعَنِ ٱلدَّمِ، وَٱلْمَخْنُوقِ، وَٱلزِّنَا، ٱلَّتِي إِنْ حَفِظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْهَا فَنِعِمًّا تَفْعَلُونَ. كُونُوا مُعَافَيْنَ»." (الآيات ٢٢-٢٩).لا حاجة لشرح أيٍّ من هذا. أولًا، رأى الروح القدس أنه من الصواب ألا تعيش الكنيسة تحت الناموس. لم يفعل الرسل سوى الموافقة على إرادة الله. ثانيًا، يُتهم من يُريدون إخضاع المؤمنين للناموس بإزعاجهم وإفساد نفوسهم. وهذا أمرٌ جوهري. فإذا كانت النعمة بالإيمان دون أعمال الناموس هي قاعدة كنيسة العهد الجديد، فإن أي محاولة لجعل الالتزام بالناموس جزءًا من المسيحية تُقوض هذا الأساس وتُضعفه.

تأمل جيدًا في تحذير رسالة تيموثاوس الأولى (١: ٤-٦) "وَلَا يُصْغُوا إِلَى خُرَافَاتٍ وَأَنْسَابٍ لَا حَدَّ لَهَا، تُسَبِّبُ مُبَاحَثَاتٍ دُونَ بُنْيَانِ ٱللهِ ٱلَّذِي فِي ٱلْإِيمَانِ. وَأَمَّا غَايَةُ ٱلْوَصِيَّةِ فَهِيَ ٱلْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلَا رِيَاءٍ. ٱلْأُمُورُ ٱلَّتِي إِذْ زَاغَ قَوْمٌ عَنْهَا، ٱنْحَرَفُوا إِلَى كَلَامٍ بَاطِلٍ".

إنّ غاية وصايا الله هي أن تُنمّي فينا حياةً مليئةً بالإحسان. وخلاصة هذه الوصايا هي أن نحب الله ونحب جارنا. وعندما نتأمل في هذه الوصايا، نرى كيف يتحقق ذلك. لم يكن ظاهر الشريعة غايةً في حد ذاته، بل وسيلةً يوصل بها الإنسان إلى الغاية التي أرادها الله له.

وكما كان حال الفريسيين القدماء، عندما يضع الناس اليوم الناموس مكان الإحسان، فإن النتيجة ستكون مجرد كَلَامٍ باطل.

يحذر العدد ٧ الكنيسة من معلمين سيستغلون الأفراد والجماعات ويحرمونهم من المحبة. هؤلاء رجال يرغبون في أن يكونوا معلمين للشريعة. لاحظ أن المشكلة ليست في سوء فهم الشريعة، ولا في عدم استيعابها، ولا في نقص فهم تفاصيلها الدقيقة. تكمن المشكلة الأساسية في أن أحدهم أراد تعليم الشريعة في كنيسة العهد الجديد للمسيحيين المولودين من جديد. لماذا قد يرغب رجل في الكنيسة أن يكون معلمًا للشريعة في حين أنه لا ينبغي لأحد ممن يعلمهم أن يكون خاضعًا لها؟ رغبته خاطئة. إن مجرد الرغبة في إخضاع المؤمنين لشريعة موسى التي أُنزلت على بني إسرائيل ولأجلهم، يُعد بداية انحراف عن عقيدة العهد الجديد الصحيحة، ويمثل تحريفًا لها.

ويستمر النص "يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا مُعَلِّمِي ٱلنَّامُوسِ، **وَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ، وَلَا مَا يُقَرِّرُونَهُ** ."إن الروح القدس واضحٌ جليّ. فالرجل الذي يُعلّم أن كل أو جزء من شريعة العهد القديم ينطبق على مسيحي العهد الجديد أو يُلزمه، لا يعلم ما يقول. ولا يُمكن توضيح أكثر من ذلك. يدّعي المسيحيون أنهم مسيانيون، ويجتمعون للاحتفال بالأعياد اليهودية، لأنهم يجهلون حقيقة ما يقولون. ويكتبون كتبًا ومنشوراتٍ يشرحون فيها ضرورة اتباع شريعة الأطعمة الواردة في سفر اللاويين، لأنهم يجهلون حقيقة ما يقولون. ويجتمعون يوم السبت، أو يسمون يوم الأحد سبتًا، لأنهم يجهلون حقيقة ما يقولون. ويعلّمون، أو يسمحون لأنفسهم بتلقين، أن شريعة العهد القديم، كليًا أو جزئيًا، ملزمةٌ لأعضاء جسد المسيح الذين غُسِلوا بدم المسيح، ووُلِدوا من جديد، وفُديوا، لأنهم يجهلون حقيقة ما يقولون. هذا ما جاء في رسالة تيموثاوس الأولى (١: ٤-٧).

يستمر النص في الآيتين (٨-٩) "وَلَكِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ ٱلنَّامُوسَ صَالِحٌ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْتَعْمِلُهُ نَامُوسِيًّا. عَالِمًا هَذَا: أَنَّ ٱلنَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ لِلْبَارِّ". وهذا يستبعد المؤمنين، بحسب ما جاء في ١كورنثوس (١: ٣٠) و٢ كورنثوس (٥: ٢١). "وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ، ٱلَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ ٱللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً."... "لِأَنَّهُ جَعَلَ ٱلَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لِأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ ٱللهِ فِيهِ".

ينبغي على ابن الله أن يدرك أن البرّ الوحيد المقبول الذي يملكه هو بر الرب يسوع، الذي يُنسب إليه بالنعمة من خلال الإيمان. لقد أخطأ اليهود في فهم المسيح لأنهم سعوا لإثبات برّهم أمام الله والناس بالالتزام بالشريعة. وكثيرون اليوم يقعون في نفس الخطأ، سواءً في منابرنا أو في مقاعد كنائسنا.

يروي رومية (١٠: ٣-٤) "لِأَنَّهُمْ إِذْ كَانُوا يَجْهَلُونَ بِرَّ ٱللهِ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يُثْبِتُوا بِرَّ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يُخْضَعُوا لِبِرِّ ٱللهِ. لِأَنَّ غَايَةَ ٱلنَّامُوسِ هِيَ: ٱلْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ".

أؤمن بالرب يسوع المسيح، ولذلك نلتُ بر الله. فأين يضعني هذا في علاقتي بالشريعة؟ هذا كل ما في الأمر. رجالٌ بعد ألفي عام من

حسم الروح القدس للمسألة يحاولون فرض الشريعة على الكنيسة لأنهم لا يعلمون ما يقولون. يذهب المسيحيون الصالحون والمخلصون إلى كنائس تبشر بالإنجيل، وتبدو في ظاهرها سليمة، ويجلسون تحت إشراف رجال يخبرونهم أن عليهم الالتزام بالشريعة وإلا فإن الله سيضع أطفالهم في المستشفى أو يتسبب في تعطل سيارتهم.
ادفع العشور وإلا ستُلعن! هذا هو القانون.
إذا شككت في القس، فسيقتلك الله كما قتل قورح! هذه هي الشريعة.
تناول الزَعَانِفُ، وستموت شاباً! هذا هو القانون.
بارك هذه العطايا لتعزيز ملكوتك. هذا هو القانون.
أتمّ المسيح الناموس، ونسب إلينا برّه، وهذا هو ختام الأمر. لن أسمح بالتلاعب بي ولا لسيطرة رجال يسيئون استخدام كلمة الله ليضعوني في عبودية لشيء حررني منه يسوع المسيح.
لقد ناقشنا سابقًا أن الشريعة كانت بمثابة مُعلِّم. ومع ذلك، فإن النص الذي يُعلِّم هذه الحقيقة يتحدث بوضوح عن يوم يتخرج فيه المرء ويغادر هذه المدرسة. يقول غلاطية (٣: ٢٣-٢٥)" **:وَلَكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ ٱلْإِيمَانُ** ...لا يمكن أن يكون هذا إنسانًا مُخلَّصًا .**كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ** ...هذه العبارة بصيغة الماضي. لا أحد ممن آمن بيسوع المسيح لا يزال تحت الشريعة .**مُغْلَقًا عَلَيْنَا إِلَى ٱلْإِيمَانِ ٱلْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ** ....أولئك الذين قبلوا إعلان الخلاص بالنعمة من خلال الإيمان لم يعودوا محبوسين في المدرسة .**إِذًا قَدْ كَانَ**)بصيغة الماضي (**ٱلنَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى ٱلْمَسِيحِ لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِٱلْإِيمَانِ. وَلَكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ ٱلْإِيمَانُ** ...لذلك يمكن لمن جاءوا إلى المسيح أن يقولوا :**لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ".**
كيف يُمكن لأحد أن يغفل عن مثل هذا التوجيه الواضح؟ هناك بعض الأمور في الكتاب المقدس يصعب فهمها، لكن هذا ليس من بينها.
انظر إلى رومية (٢: ١٢-١٤) "لِأَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ بِدُونِ ٱلنَّامُوسِ فَبِدُونِ ٱلنَّامُوسِ يَهْلِكُ. وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ فِي ٱلنَّامُوسِ فَبِٱلنَّامُوسِ يُدَانُ. لِأَنْ لَيْسَ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ٱلنَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ ٱللهِ، بَلِ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِٱلنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ. لِأَنَّهُ ٱلْأُمَمُ ٱلَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ ٱلنَّامُوسُ، مَتَى فَعَلُوا بِٱلطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي ٱلنَّامُوسِ، فَهَؤُلَاءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ ٱلنَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لِأَنْفُسِهِمِ،" النص هنا هو الأمم قبل قيامة المسيح توضح الآية أنهم لم يكونوا خاضعين للشريعة قط. فكون كل ثقافة وكل مجتمع لديه قوانين مبنية على الحق الذي أوحى به الله إلى قلوبهم، وأن المبادئ الأساسية لتلك القوانين تتفق مع الشرائع التي أنزلها الله على موسى، لا يعني أنهم كانوا خاضعين للشريعة.
من المحزن للغاية أن نرى غير اليهود (الأمم) الذين لم يكونوا تحت الشريعة قط، يصبحون مسيحيين، والذين لا ينبغي أن يكونوا تحت الشريعة، ويحاولون العيش كلياً أو جزئياً مثل اليهود الذين كانوا تحت الشريعة.
انظر الآن إلى رومية (٣: ١٩)" **وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ ٱلنَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّامُوسِ ...**"مع أن البعض يحاول الفصل بين الشريعة الطقسية (وهي ليست مصطلحًا أو عقيدة من الكتاب المقدس) والشريعة الأخلاقية (وهي ليست مصطلحًا أو عقيدة من الكتاب المقدس) فإن هذه الآية تُنهي كل فكرة مفادها إمكانية تقسيم الشريعة إلى أقسام (انظر أدناه). يقول الروح القدس هنا، بوضوح لا لبس فيه، إن الشريعة وحدة واحدة لا تتجزأ. وتخبرنا الآية أن ما قالته الشريعة كان موجهاً فقط إلى الذين كانوا خاضعين لها.
لا ينطبق عليّ شيءٌ من الشريعة. لا أُقدّم ذبائح. لا أحفظ السبت. لا أرجم منتهكي السبت. ليس لديّ قواعد تُملي عليّ ما آكله ومقدار ما يجب أن أُقدّمه لله من دخلي. لا أحتفل بعيد الفصح. أُسبّح الرب يسوع، لا يهوه، وأعبد الله، لا جاه. أدرس الشريعة، لأنها كلمة الله. أتعلم من الشريعة، لأنها مليئة برموز المسيح، وتكشف عن فكر الرب. لا أسعى إلى طاعتها، ولا يُمكن إجباري على ذلك بأيّ قدرٍ من التعاليم الباطلة.
"فَإِنَّ ٱلْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ، لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ ٱلنِّعْمَةِ.فَمَاذَا إِذًا؟ أَنُخْطِئُ لِأَنَّنَا لَسْنَا تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ ٱلنِّعْمَةِ؟ حَاشَا**!**" (رومية ٦: ١٤-١٥). يزعم معظم معلمي الشريعة أنه إذا لم يخضع الناس للشريعة، فسوف يخطئون. كل من يخضع للشريعة يخطئ. لم تمنع الشريعة أحدًا من الخطيئة. يعلمنا رومية ٦ أن أفضل طريقة لتجنب الخطيئة هي الخضوع لسيطرة الروح القدس. ويُقال إن النعمة أقوى تأثيرًا من يستمر هذا المبدأ في رسالة رومية ٧ "فَمَاذَا نَقُولُ؟ هَلِ ٱلنَّامُوسُ خَطِيَّةٌ؟ حَاشَا**!** بَلْ لَمْ أَعْرِفِ ٱلْخَطِيَّةَ إِلَّا بِٱلنَّامُوسِ. فَإِنَّنِي لَمْ أَعْرِفِ ٱلشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ ٱلنَّامُوسُ: «لَا تَشْتَهِ»." (الآية ٧).فالناموس قاموس، يشرح الخطيئة ويحددها. "وَلَكِنَّ ٱلْخَطِيَّةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِٱلْوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِيَّ كُلَّ شَهْوَةٍ." (الآية ٨أ).يشهد بولس الموحى به أنه كلما ازداد علمه بالشريعة، ازداد إدراكه لخطاياه. لم يُحسّن ذلك من حاله، بل زاد من إدراكه لخطاياه. إن تعلم الشريعة ودراستها وقراءتها لا يُخلّصك من الخطيئة، بل يُظهر لك مدى خطيئتك.
"لِأَنْ بِدُونِ ٱلنَّامُوسِ ٱلْخَطِيَّةُ مَيِّتَةٌ. أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ بِدُونِ ٱلنَّامُوسِ عَائِشًا قَبْلًا. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَتِ ٱلْوَصِيَّةُ عَاشَتِ ٱلْخَطِيَّةُ، فَمُتُّ أَنَا، فَوُجِدَتِ ٱلْوَصِيَّةُ ٱلَّتِي لِلْحَيَاةِ هِيَ نَفْسُهَا لِي لِلْمَوْتِ. لِأَنَّ ٱلْخَطِيَّةَ، وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِٱلْوَصِيَّةِ، خَدَعَتْنِي بِهَا وَقَتَلَتْنِي. إِذًا ٱلنَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَٱلْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ. فَهَلْ صَارَ لِي ٱلصَّالِحُ مَوْتًا؟ حَاشَا**!** بَلِ ٱلْخَطِيَّةُ. لِكَيْ تَظْهَرَ خَطِيَّةً مُنْشِئَةً لِي بِٱلصَّالِحِ مَوْتًا، لِكَيْ تَصِيرَ ٱلْخَطِيَّةُ خَاطِئَةً جِدًّا بِٱلْوَصِيَّةِ." (الآيات ٨ب -١٣).لقد تعلمنا بالفعل عن غاية الشريعة، فلا داعي لإعادة شرح ذلك .**السؤال الذي يجب طرحه** عند إعادة النظر في الآيات هو: لماذا قد يظن أحد أن الشريعة هي القاعدة الصحيحة لحياة أبناء الله؟ كانت الغاية الأساسية هي أن تقودنا إلى الموت لنؤمن بالقيامة والحياة، وننتقل من الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة. بعد أن تحقق ذلك، لا داعي للعودة إلى سبب إدانتنا. بل فلنسلك في الحرية التي أتاحها لنا إيماننا بيسوع المسيح.
تأمل في رسالة كورنثوس الأولى (١٥: ٥٦-٥٧) "أَمَّا شَوْكَةُ ٱلْمَوْتِ فَهِيَ ٱلْخَطِيَّةُ، وَقُوَّةُ ٱلْخَطِيَّةِ هِيَ ٱلنَّامُوسُ. وَلَكِنْ شُكْرًا لِلهِ ٱلَّذِي

يُعْطِينَا ٱلْغَلَبَةَ برَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ." إن ذنب مخالفة الناموس كافٍ لقتلك. يسوع المسيح قادر على إقامتك من بين الأموات ومنحك الحياة الأبدية. بعد أن قُتلتُ بالناموس وأُقمتُ بيسوع، لماذا أرغب في أي علاقة بالناموس؟ فلنُنبذ هذه التعاليم الباطلة التي تُقلل من شأن عمل المسيح المُنجز وتُعلي من شأن رغبة الإنسان في التباهي بأعماله.

يقارن الإصحاح الثالث من رسالة كورنثوس الثانية بين العهد القديم والعهد الجديد. في الآية التاسعة نقرأ: "لِأَنَّهُ إِنْ كَانَتْ خِدْمَةُ ٱلدَّيْنُونَةِ مَجْدًا، فَبِٱلْأَوْلَى كَثِيرًا تَزِيدُ خِدْمَةُ ٱلْبِرِّ فِي مَجْدٍ**!**" ها هو ذا مرة أخرى. لم يمنح الناموس البر بل الموت. احتاج الأمر إلى المسيح القائم من بين الأموات وسكنى الروح القدس فينا من خلال تعاليم العهد الجديد ليتحقق البر الحقيقي.

يقول العدد ١١": **لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ ٱلزَّائِلُ فِي مَجْدٍ**)الشريعة التي تم إبطالها (**فَبِٱلْأَوْلَى كَثِيرًا يَكُونُ ٱلدَّائِمُ**)بر الله المنسوب (**فِي مَجْدٍ**"**!**

وتضيف الآية ١٤"بَلْ أُغْلِظَتْ أَذْهَانُهُمْ، لِأَنَّهُ حَتَّى ٱلْيَوْمِ ذَلِكَ ٱلْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ ٱلْعَهْدِ ٱلْعَتِيقِ بَاقٍ غَيْرُ مُنْكَشِفٍ، ٱلَّذِي يُبْطَلُ فِي ٱلْمَسِيحِ." وكما ذكرنا سابقًا، ما دمتَ تنظر إلى الشريعة، فلن ترى فاعلية نعمة المسيح. وما دمتَ تنظر إلى الوصايا، فلن ترى كمال المسيح. لا أريد أن أكون في كنيسة يكون محورها الرئيسي هو قواعد وأنظمة الشريعة الموسوية أو تلك التي وضعها أي إنسان منذ ذلك الحين.

سنرى الرب يسوع. هو وحده القادر على منح البر اللازم للحياة الأبدية، وهو وحده القادر على تحقيق البر اللازم للحياة هنا على الأرض.

ينبغي أن يكون كولوسي ٢ هو الفيصل. وأنتم، "وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي ٱلْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ ٱلْخَطَايَا، إِذْ مَحَا ٱلصَّكَّ ٱلَّذِي عَلَيْنَا فِي ٱلْفَرَائِضِ، ٱلَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ ٱلْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِٱلصَّلِيبِ" (الآيات ١٣-١٤).لم يكتفِ بمغفرة كل تقصيري في الالتزام بالشريعة، بل بعد أن فعل ذلك، أزال الشريعة من الطريق حتى لا تقف أبدًا بيني وبين مخلصي.

وتضيف الآية ١٦:"فَلَا يَحْكُمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ فِي أَكْلٍ (أحكام الطعام) أَوْ شُرْبٍ، أَوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ (أعياد يهودية شرعية) أَوْ هِلَالٍ (أعياد يهودية رسمية) أَوْ سَبْتٍ (ليس فقط السبت الأسبوعي ولكن السبت السنوي وسبت السنوات السبع).

وتختتم الآية ١٧بالقول: "ٱلَّتِي هِيَ ظِلُّ ٱلْأُمُورِ ٱلْعَتِيدَةِ، وَأَمَّا ٱلْجَسَدُ فَلِلْمَسِيحِ." وقد أُمرنا ألا ندع أحداً يحكم علينا في أي من هذه الأمور. كما رأينا سابقاً في دراستنا، إذا كنت مولوداً من جديد، ومفدياً، ومشترياً بالدم، ومخلصاً، وابناً لله، فإن الشريعة تُزال من الطريق.

نختتم هذا القسم برسالة العبرانيين (٧: ١٩) "إِذِ ٱلنَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا. وَلَكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى ٱللهِ." لا نتقرب إلى الله بحفظ الناموس، بل نتقرب إليه بيسوع المسيح.

بشّر بيسوع، لا بالشريعة. بشّر بحرية النعمة، لا بعبودية قواعد وأنظمة موسى.

الناموس كوحدة واحدة

في محاولة يائسة للتمسك بالناموس، سعى العديد من رجال الدين وبعض الطوائف إلى تقسيمه إلى بنود أو أقسام. ورغم أننا لا نستطيع حصر جميع الطرق التي صاغوا بها حججهم، إلا أن مثالًا واحداً يكفي.

قيل لنا إن **شريعة او ناموس الرب** هي الوصايا العشر فقط، وأن **شريعة موسى** تشمل الفرائض والقرابين وأيام الأعياد وقوانين الطعام، وما إلى ذلك. ويقولون إن عمل يسوع الكامل لم يشمل الوصايا العشر، بل إن شريعة موسى فقط هي التي تحققت على الصليب.

أسهل طريقة لتصحيح هذا الخطأ هي إظهار أن الروح القدس يستخدم المصطلحين بشكل متبادل. يقول لوقا (٢: ٢٢-٢٤): "وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ **شَرِيعَةِ مُوسَى**، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ ٱلرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ. وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي **نَامُوسِ ٱلرَّبِّ** :زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ".

لاحظ في هذا المقطع أن مريم قيل إنها أخذت الطفل يسوع إلى الهيكل لتقديمه للرب، **طاعةً لشريعة الرب**، ولتقديم ذبيحة وفقًا **لشريعة الرب** .هذا الشرط غير موجود في الوصايا العشر، بل في **شريعة موسى** (كما يُزعم.) نقرأ أيضًا: "وَلَمَّا أَكْمَلُوا كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ **نَامُوسِ ٱلرَّبِّ**، رَجَعُوا إِلَى ٱلْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمُ ٱلنَّاصِرَةِ." (لوقا ٢: ٣٩).

قد يجد المرء هذه الحجة نفسها مطروحة على النحو التالي: "مات يسوع ليخلصنا من الشريعة الطقسية، لكننا ما زلنا خاضعين للشريعة الأخلاقية." تُظهر النصوص المقدسة التي دُرست في هذا القسم أن مثل هذا الموقف لا يمكن أن يدعمه كلام الله.

ليس المؤمن خاضعًا للناموس بل للنعمة (رومية ٦: ١٤). لقد تحررنا من الناموس (رومية ٧: ٦) وأصبحنا أحرارًا منه (رومية ٨: ٢) ومتنا عنه (غلاطية ٢: ١٩). المجد للرب.

ماذا عجز الناموس عن فعله؟

سنتناول لاحقًا في هذه الدراسات جميع المسائل المتعلقة بالخلاص في العهد القديم، لكن هذه النظرة العامة على النصوص الكتابية حول ما لم تستطع الشريعة تحقيقه ستُظهر لأي دارس جاد أنه لم يخلص أحد قط، ولن يخلص أبدًا، بحفظ الشريعة. علاوة على ذلك، لم يكن قصد الله أبدًا أن يسعى المرء لنيل الحياة الأبدية من خلال حفظ الوصايا.

نبدأ برسالة غلاطية (٣: ١٠-١٢) "لِأَنَّ جَمِيعَ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ ٱلنَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ». وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِٱلنَّامُوسِ عِنْدَ ٱللهِ فَظَاهِرٌ، لِأَنَّ «ٱلْبَارَّ بِٱلْإِيمَانِ يَحْيَا». وَلَكِنَّ ٱلنَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ، بَلِ «ٱلْإِنْسَانُ ٱلَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا".«

وحده الرب، بكلمته، هو من يستطيع الحكم على نوايا ودوافع قلوب البشر، ولكن لا بد من التساؤل كيف يُمكن لأحد أن يُعلّم أن التبرير يتحقق من خلال حفظ الشريعة بعد قراءة هذه الكلمات الواضحة. الشرط المذكور هنا هو الالتزام الدائم بكل ما كُتب في شريعة الله. لم يبلغ أحد هذا المعيار إلا الرب يسوع. وعاقبة التقصير في بلوغه هي لعنة الله. لذلك، يُعلن الكتاب المقدس أنه لا أحد يُبرَّر أمام الله بالشريعة.

على النقيض من ذلك، يقول الكتاب المقدس في أفسس (٢: ٨-٩) "لِأَنَّكُمْ بِٱلنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِٱلْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ ٱللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ." من غير المعقول أن يسبح بعض في السماء المخلص على نعمته، بينما يتباهى آخرون بأنفسهم لنيلهم الحياة الأبدية.

رجلٌ واحدٌ يُطيع خمسة قوانين من أصل ألف، فيُدان. امرأةٌ واحدةٌ تُطيع خمسمئة قانون من أصل ألف، فتُدان. رجلٌ آخر يُطيع تسعمئة وسبعة وثمانين قانونًا من أصل ألف، فيُدان. يقول الكتاب المقدس: إن لم تُطبّق الشريعة كاملةً في كل حين، فأنت ملعون. السبيل الوحيد للخلاص من هذه اللعنة هو يسوع المسيح، الذي طبّق الشريعة ألف مرة من أصل ألف. سيُضيف إلى حسابك برّه إن آمنت به إيمانًا كاملًا. لا سبيل للخلاص سواه.

١.لا يمكن للناموس أن يوصلك إلى الله.

إن الآيات من ١١ إلى ١٩ من الإصحاح السابع من رسالة العبرانيين هي فقرة بالغة الأهمية.

فَلَوْ كَانَ بِٱلْكَهَنُوتِ ٱللَّاوِيِّ كَمَالٌ -إِذِ ٱلشَّعْبُ أَخَذَ ٱلنَّامُوسَ عَلَيْهِ- مَاذَا كَانَتِ ٱلْحَاجَةُ بَعْدُ إِلَى أَنْ يَقُومَ كَاهِنٌ آخَرُ .... لا شك في ذلك. لو كان بإمكاننا الوصول إلى الله بالشريعة، لاكتفى باللاويين، ولما كانت هناك حاجة لمجيء يسوع المسيح.

مَاذَا كَانَتِ ٱلْحَاجَةُ بَعْدُ إِلَى أَنْ يَقُومَ كَاهِنٌ آخَرُ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ؟ وَلَا يُقَالُ عَلَى رُتْبَةِ هَارُونَ.... إن حقيقة أن الإنسان احتاج إلى رتبة كهنوت أخرى، منحها الله له، تشهد على أن الذبائح التي قدمتها الرتبة السابقة والحقائق التي علمتها لم تكن كافية.

لِأَنَّهُ إِنْ تَغَيَّرَ ٱلْكَهَنُوتُ، فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضًا. 13لِأَنَّ ٱلَّذِي يُقَالُ عَنْهُ هَذَا كَانَ شَرِيكًا فِي سِبْطٍ آخَرَ لَمْ يُلَازِمْ أَحَدٌ مِنْهُ ٱلْمَذْبَحَ. فَإِنَّهُ وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا... لذا، من البديهي أن الخلاص لا يتحقق بالشريعة بالإضافة إلى يسوع. فهو ليس امتدادًا للنظام اللاوي أو إضافة إليه، بل هو من نسل سبط يهوذا.

ٱلَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئًا مِنْ جِهَةِ ٱلْكَهَنُوتِ. وَذَلِكَ أَكْثَرُ وُضُوحًا أَيْضًا إِنْ كَانَ عَلَى شِبْهِ مَلْكِي صَادَقَ يَقُومُ كَاهِنٌ آخَرُ، قَدْ صَارَ لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسِ وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، بَلْ بِحَسَبِ قُوَّةِ حَيَاةٍ لَا تَزُولُ.... وهذا يُؤكد كل ما تعلمناه حتى الآن في دراستنا. فالشريعة تتعلق بالوصايا الجسدية، وتخصّص ضبط الجسد لا إنقاذ الروح. لا تغفلوا عن التباين: فمن جهة، توجد وصايا تُنظّم البشر الجسديين (البشر في أجساد من لحم ودم)، ومن جهة أخرى، توجد الحياة الأبدية بقوة يسوع المسيح. لا يمكنك الخلط بينهما. لا يمكنك التظاهر بأنهما متطابقان.

"لِأَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّكَ: «كَاهِنٌ إِلَى ٱلْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ».فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ ٱلْوَصِيَّةِ ٱلسَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا، إِذِ ٱلنَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا. وَلَكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى ٱللهِ".

كان اللاويون والشريعة والوصايا كلها جسدية، إذ كانت تتعلق بالحياة الجسدية. لم يكن بوسعهم أن يوصلوا نفساً إلى الله. كان هذا ضعفهم. ومن هذا المنطلق، لم يكونوا نافعين.

الرب يسوع المسيح هو الطريق. ليس هو الطريق الآن، وليس الطريق لفترة، بل هو الطريق. أولئك الذين يعلّمون أن الناس قبل المسيح كانوا يُخلَّصون بحفظ الشريعة، وأن الناس بعد زوال الكنيسة سيُخلَّصون مرة أخرى بحفظ الشريعة، يتجاهلون ما يقوله الكتاب المقدس عن الشريعة. لم تكن الشريعة تُكمِّل شيئًا. لا يقول هذا النص إنها كانت تُكمل الناس قبل مجيء يسوع، لكنها لم تعد تفعل ذلك. يقول كلام الله إنها لم تُبرِّر قط رجلًا أو امرأة أو صبيًا أو فتاةً واحدًا، ولم تجعله كاملًا في نظر الله.

نتقرب إلى الله من خلال رجاء أفضل، يسوع المسيح. رأينا سابقًا أن الله أبرم عهدًا مع إبراهيم بشأن الأرض. وبحسب رسالة غلاطية، أُضيفت الشريعة إلى العهد ولم تُبطله. أما في رسالة العبرانيين، فنحن لا نتحدث عن الأرض بل عن النفس. ولذلك نقرأ هنا أن النعمة تُبطل الشريعة.

عندما أُنزلت الشريعة، كان اليهود لا يزالون خاضعين للعهد. أما عندما تُمنح النعمة، فلا يعود الإنسان خاضعًا للشريعة. بالنسبة للعبرانيين المخلصين، هذه نعمة مضاعفة.

٢.لا يمكن للناموس أن يجعلك كاملًا.

يقول العبرانيون (١٠: ١-٤) "لِأَنَّ ٱلنَّامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ ٱلْخَيْرَاتِ ٱلْعَتِيدَةِ لَا نَفْسُ صُورَةِ ٱلْأَشْيَاءِ، لَا يَقْدِرُ أَبَدًا بِنَفْسِ ٱلذَّبَائِحِ كُلَّ سَنَةٍ،

ٱلَّتِي يُقَرِّمُونَهَا عَلَى ٱلدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ. وَإِلَّا، أَفَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ٱلْخَادِمِينَ، وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، لَا يَكُونُ لَهُمْ أَيْضًا ضَمِيرُ خَطَايَا. لَكِنْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا. لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا".
لم يكن بإمكان الشريعة أن تجعل الإنسان كاملًا، لأنها لم تكن قادرة على محو الخطايا. يبقى لغزاً محيراً لماذا علّم الناس، ولماذا ما لا زالوا يعلّمون، أن الذبائح الحيوانية التي كانت تُقدّم بموجب الشريعة هي وسيلة الخلاص لمن يقدمونها. قد يجادل البعض في الآيات المذكورة، لكن لا يمكن لأحد أن يغفل عن جوهرها. فمن المستحيل وسيظل مستحيلًا، أن تُغفر الخطايا بذبائح الحيوانات في العهد القديم. لو أن تلك القرابين كفّرت عن ذنوب الإنسان، لما اضطر إلى العودة مرارًا وتكرارًا لتقديم حيوانات أخرى. ولو أنها لبّت حاجة روحه، لما استمر ضميره في حثّه على التضرع إلى إله الرحمة والنعمة. كل من قدّم قربانًا حيوانيًا، متوكلًا عليه، جاء آثمًا مذنبًا وخرج آثمًا مذنبًا. وكل من قدّم قربانًا حيوانيًا عبادةً أو شكرًا لله الذي يتوكل عليه، جاء بأمل وخرج بأمل. لم يكن هناك سبيل آخر.

٣.لم يستطع الناموس أن يبرر من الخطيئة.
الأمر الثالث الذي نلاحظه أن الشريعة لم تستطع فعله هو التبرير من الخطيئة. التبرير يعني إعلان البر. قد يُبرر الإنسان نفسه، وقد يُبرر من قِبل الآخرين. لكن الحياة الأبدية أو الهلاك الأبدي يتوقفان على ما إذا كان الإنسان قد تبرر من الله أم لا.
يوضح الكتاب المقدس أنه لا يمكن لأحد أن يتبرر أمام الله، ولن يتبرر، بناءً على حفظ الشريعة. يقول سفر أعمال الرسل (١٣: ٣٨-٣٩) "فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ ٱلْإِخْوَةُ، أَنَّهُ بِهَذَا يُنَادَى لَكُمْ بِغُفْرَانِ ٱلْخَطَايَا، وَبِهَذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بِنَامُوسِ مُوسَى".
من الواضح أن الغفران يأتي من خلال يسوع المسيح، لا من خلال الشريعة. وقد ذُكر أنه لا يوجد مبرر في الشريعة.
تأمل سياق هذه الآيات. يتحدث بولس إلى رجال إسرائيل (الآية ١٦)عن تاريخهم (الآية ١٧)ويأخذهم من شاول إلى داود، وصولًا إلى المخلص يسوع (الآية ٢٣) لجميع شعب إسرائيل (الآية ٢٤)لأنهم لم يكونوا ليُبرَّروا بشريعة موسى (الآية ٣٩).هذا واضحٌ جليّ. لم تُعطَ الشريعة للتبرير، ولم تكن لتُؤدي إلى مكانةٍ صالحةٍ أمام يهوه.

٤.لم يستطع الناموس أن يمنح البر.
تُبيّن رسالتا رومية وغلاطية جوهر العقائد المتعلقة بالخلاص. لو كنا نعيش في زمن ما قبل المسيح، لكان فهمنا للحقيقة محدودًا لعدم وجود العهد الجديد. ولو كنا نعيش في زمن الرسل، لكان هذا القيد نفسه. يا له من فرح أن نعيش في زمنٍ تتجلى فيه أمامنا كامل وحي الله للإنسان! وبذلك، نستطيع أن ننظر إلى سفر الجامعة أو اللاويين أو إشعياء في ضوء الرسائل.
انطلاقاً من هذا، لا نلجأ إلى سفر التثنية لنحدد كيف أصبح الناس أبراراً في العهد القديم أو الجديد، بل نلجأ إلى الرسائل العقائدية التي أُنزلت على الكنيسة، لأنها تُقدّم شرحاً وافياً للحقيقة.
نستخلص من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (٣: ٢٠-٢٨) ما يلي:
"لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لَا يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ"... لا يوجد تعليق يمكن أن يجعل هذا البيان أكثر وضوحًا.
أَمَامَهُ... كما ذكر أعلاه، فإن طاعة القانون يمكن أن تمنح المرء مكانة عادلة في نظر الآخرين، ولكنها لا تمنحه الكمال اللازم للوقوف أمام الله.
لِأَنَّ بِٱلنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ ٱلْخَطِيَّةِ.... كما سبق ذكره.
وَأَمَّا ٱلْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ ٱللهِ بِدُونِ ٱلنَّامُوسِ... قد يُنسب بر الله إلى المرء، ولا تلعب الشريعة أي دور في هذه المعاملة.
مَشْهُودًا لَهُ مِنَ ٱلنَّامُوسِ وَٱلْأَنْبِيَاءِ.... أخبرتك الشريعة أنه لا يمكنك أن تُبرَّر بالالتزام بها. أوضحت الشريعة للإنسان حالته الخاطئة، لكنها لم تستطع انتشاله من تلك الهاوية. نذّد الأنبياء بمن عصوا الشريعة بل دعاهم إلى التوبة، لا إلى الشريعة، بل إلى الله طلباً للمغفرة. انظر على سبيل المثال حزقيال (١٨: ٢٠-٢٣) وإرميا (٣٦: ١-٣).
بِرُّ ٱللهِ بِٱلْإِيمَانِ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ. إِذِ ٱلْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ ٱللهِ. يظهر مجد الرب في نقاء أحكامه. كل من يسعى للوصول إلى الله من خلال شرائعه سيُجبر على إدراك تقصيره الشديد.
إِذًا نَحْسِبُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِٱلْإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ. وقد حسمت هذه الآية الأمر لكل من يؤمن بالكلمة منذ نحو ألفي عام.
يقول غلاطية (٢ : ٢١) إنه لو كان بالإمكان الخلاص بالناموس، لكان موت يسوع المسيح عبثًا. "لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ ٱللهِ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِٱلنَّامُوسِ بِرٌّ، فَٱلْمَسِيحُ إِذًا مَاتَ بِلَا سَبَبٍ!". لم يكن لموت يسوع أي غاية لو كان بالإمكان الخلاص بدونه. إن ضرورة موته في إتمام خطة خلاصه العظيمة دليل قاطع على أن الناموس لا يُخلص ولا يُعطي البر. لم يُبشر يسوع قائلًا: "احفظوا الناموس لتولدوا من جديد"، بل دعا الناس إلى الإيمان به.

٥.لم يستطع الناموس أن يمنح الحياة.
يطرح غلاطية (٣ : ٢١) سؤالًا، ثم يجيب عنه. "فَهَلِ ٱلنَّامُوسُ ضِدُّ مَوَاعِيدِ ٱللهِ؟ حَاشَا! لِأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ، لَكَانَ بِٱلْحَقِيقَةِ ٱلْبِرُّ بِٱلنَّامُوسِ".
إذا قرأت كل كلمة أوحى بها الله إلى موسى على الجبل، فسترى قواعد مذهلة للحياة والحب والموت وخوض الحروب وحفظ السلام والأعمال والتجارة والسلامة والمياه والزراعة، وما إلى ذلك. ستندهش من أن الله استطاع في صفحات قليلة أن يعطي الإنسان توجيهات تمكنه من إدارة كل جانب من جوانب الحياة على الأرض بشكل صحيح.

لكن أثناء قراءتك، إذا كنت تبحث عن وصية تقول: "افعل هذا، فتُغفر جميع ذنوبك"، أو "تجنَّب هذا، فتنال الحياة الأبدية"، فستُصاب بخيبة أمل، إذ لا وجود لمثل هذه الوصية. ليس في الشريعة ما يُمكّن الإنسان من إنقاذ نفسه بالالتزام بقاعدة واحدة أو ألف قاعدة. يمكن للقانون أن يحكم الحياة، لكنه لا يستطيع أن يمنح الحياة.

٦.لم يستطع الناموس أن يحقق السلام.
يتحدث العبرانيون ٩:٩ عن قدس الأقداس في خيمة الاجتماع، "ٱلَّذِي هُوَ رَمْزٌ لِلْوَقْتِ ٱلْحَاضِرِ، ٱلَّذِي فِيهِ تُقَدَّمُ قَرَابِينُ وَذَبَائِحُ، لَا يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ ٱلضَّمِيرِ أَنْ تُكَمِّلَ ٱلَّذِي يَخْدِمُ"
انظر إلى ذلك الكاهن الأعظم بثيابه البهية. راقبه وهو يؤدي جميع واجبات منصبه. شاهده وهو يقدم الذبيحة التي أمر بها الله. تأمله بدهشة وهو يدخل لمقابلته السنوية في أقدس مكان. انتظر بصبر ثم ابتهج عندما يخرج من حضرة الرب. انظر إلى الجواهر على صدرة الكاهن وهي تتلألأ في ضوء الشمس. يا له من مشهد! يا له من يوم! ومع ذلك، في تلك الليلة وأنت مستيقظ تفكر في كل ما رأيت، يذكرك ضميرك أن لا شيء مما حدث في ذلك اليوم قد غفر ذنوبك.
بموجب القانون، لا يستطيع الرجل الأعلى في أفضل يوم، وهو يقدم القربان المناسب في المكان المختار، أن يفعل شيئاً لإضفاء السلام على قلب الخاطئ.
لا يمكن أن يكون هناك سلام لأن الله لا يُقيّم الناس بمعايير مُنخفضة. "لِأَنَّ جَمِيعَ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ ٱلنَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»." (غلاطية ٣: ١٠). وللخروج من تحت اللعنة، يجب عليك العمل بكل ما في كتاب الناموس. لا أحد يستطيع بلوغ هذا المعيار، لذلك لا ينعم أحد تحت الناموس بالسلام.
يقول يعقوب (٢ : ١٠) "لِأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ ٱلنَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي ٱلْكُلِّ." في المجتمع أو الأسرة، بعض الخطايا أشدّ فظاعة من غيرها. وفي الحياة الكنسية أو العلاقات الشخصية، بعض الخطايا أشدّ وطأة من غيرها. أما أمام الله القدوس، فإنّ ذنباً واحداً يُدين المرء في كل شيء، لأنّ الناموس وحدة متكاملة. ولذلك لا رجاء للخلاص في الناموس.
لذلك يقول غلاطية (٢ : ١٦) "إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ. لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ لَا يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا".
ويضيف غلاطية (٣ : ١١) "وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِٱلنَّامُوسِ عِنْدَ ٱللهِ فَظَاهِرٌ، لِأَنَّ «ٱلْبَارَّ بِٱلْإِيمَانِ يَحْيَا".«
إذا كنت ستعيش، فعليك أن تعيش بالإيمان.

الغفران مقابل التبرير.

بما أن العديد من دارسي الكتاب المقدس قد تبنوا وجهة النظر القائلة بأن الإنسان قد بُرِّر أو سيُبرَّر بالالتزام بالشريعة، فلا بد من وجود أساس في الكتاب المقدس يُبنى عليه هذا الاستنتاج الخاطئ. قد يُوحي النظر السريع إلى شريعة ذبيحة الخطيئة بأن الإنسان يُمكن أن يُغفر له ذنبه عندما يُكفّر عنه الكاهن بتقديم الذبيحة الموصوفة للخطيئة. إلا أن قراءة متأنية للكتاب المقدس تُظهر أنه بينما يُمكن أن يُغفر للإنسان ذنوب معينة في ظروف محددة من خلال ذبيحة الخطيئة، فإن هذا يختلف عن التبرير الذي يناله المؤمن عندما يضع ثقته في رحمة الله ونعمته لإنقاذ نفسه.

وردت شريعة ذبيحة الخطيئة في سفر اللاويين (٤ : ١ – ٦: ٧). نقرأ هناك عن المتطلبات الطقسية للذبيحة للكاهن (٤: ١ – ١٢) وللجماعة بأكملها (٤: ١٣ – ٢١) وللحاكم (٤: ٢٢ – ٢٦) ولأحد عامة الشعب (٤: ٢٧ – ٣٥).

"وَيَفْعَلُ بِٱلثَّوْرِ كَمَا فَعَلَ بِثَوْرِ ٱلْخَطِيَّةِ. كَذَٰلِكَ يَفْعَلُ بِهِ. وَيُكَفِّرُ عَنْهُمُ ٱلْكَاهِنُ، فَيُصْفَحُ عَنْهُمْ. " (لاويين ٤ : ٢٠).

"وَيُكَفِّرُ ٱلْكَاهِنُ عَنْهُ مِنْ خَطِيَّتِهِ فَيُصْفَحُ عَنْهُ." (لاويين ٤: ٢٦). "وَيُكَفِّرُ عَنْهُ ٱلْكَاهِنُ فَيُصْفَحُ عَنْهُ." (لاويين ٤: ٣١).

"وَيُكَفِّرُ عَنْهُ ٱلْكَاهِنُ مِنْ خَطِيَّتِهِ ٱلَّتِي أَخْطَأَ فَيُصْفَحُ عَنْهُ." (لاويين ٤: ٣٥).

من الواضح أن ما كان يُغفر هو الذنب المحدد الذي قُدِّمَت القربانة من أجله. لم يكن مُقدِّم القربان يسعى إلى الحصول على غفران لجميع الذنوب، ولم يكن يناله، بل كان يُقدِّم ما يُبطل العواقب الدنيوية المترتبة على ذلك من فعلٍ مُحدد. انظر أيضًا سفر اللاويين ٥: ١٠ ؛٥: ١٣ ؛٥: ١٦؛ ٥: ١٨ ؛٦: ٧.هذه هي جميع الحالات التي يقول فيها الكتاب المقدس إن المرء يُغفر له عند إتمام ذبيحة الخطيئة.

كما ورد في سفر اللاويين (١٩: ٢٢) قربانٌ يُقدّم للتكفير عن الذنوب، ويُمكن من خلاله الحصول على الغفران. وهذا القربان يُقدّم لخطيئةٍ مُحدّدة، وهي في هذه الحالة، الزنا بجاريةٍ مخطوبةٍ لزوج.

في جميع الحالات المذكورة في سفر اللاويين ٤ و ٥ حيث يُجيز تقديم ذبيحة الخطيئة، يكون الشخص قد أخطأ عن جهل، أو أن ذنبه كان مخفيًا عنه في البداية. وعندما يعلم بخطيئته، يصبح مذنبًا، وتكون الذبيحة واجبة.

في سفر اللاويين ٦ نجد أنه عندما يستولي رجلٌ على ملكية غيره ظلماً، يُلزَم بردها مع إضافة ٢٠% إلى مالكها الشرعي، وتقديم قربانه إلى الكاهن. ويُكفِّر الكاهن عنه أمام الرب، فيُغفر له كل ما فعله من تعدٍّ فيها (الآية ٧).

من الواضح أن هناك عددًا هائلًا من الخطايا التي لا تشملها الظروف المحدودة جدًا التي يُجيز فيها تقديم ذبيحة الخطيئة. فلو كان من الممكن أن يزيل دم الثيران والماعز الخطايا (عبرانيين ١٠: ٤) لكانت تلك الذبائح قد طهرت فقط الخطايا المذكورة آنفًا، ولتركت الخاطئ دون سبيل للتكفير عن غالبية الخطايا التي قد يكون قد ارتكبها.

بما أن الكتاب المقدس واضح في أن الإنسان لم يكن يُبرَّر بالذبائح، فما معنى الكفارة والمغفرة الموصوفتين في ذبيحة الخطيئة؟ يجب التذكير بأن الشريعة أُنزلت كناموس مدني يحكم أمة إسرائيل، ويميزها عن الأمم الأخرى، ويمنح اليهود والأمم من حولهم إحساسًا بقدسية الله وجلاله. تضمنت الشريعة عقوبات على المخالفات، تُفرض إما من قِبل الأمة أو حكامها أو من قِبل الله نفسه. عندما يُغفر لأحدهم بموجب شريعة العهد القديم، يُعفى من العقاب الذي كان سيُفرض عليه لولا ذلك .**من أجل** ضمير الأمة وسمعة الرب، لا يمكن التغاضي عن الخطيئة، حتى لو ارتُكبت دون قصد.

انظر مجددًا إلى سفر اللاويين (٥: ١٧-١٩) "«وَإِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَعَمِلَ وَاحِدَةً مِنْ جَمِيعِ مَنَاهِي ٱلرَّبِّ ٱلَّتِي لَا يَنْبَغِي عَمَلُهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ، كَانَ مُذْنِبًا وَحَمَلَ ذَنْبَهُ. فَيَأْتِي بِكَبْشٍ صَحِيحٍ مِنَ ٱلْغَنَمِ بِتَقْوِيمِكَ، ذَبِيحَةَ إِثْمٍ، إِلَى ٱلْكَاهِنِ، فَيُكَفِّرُ عَنْهُ ٱلْكَاهِنُ مِنْ سَهْوِهِ ٱلَّذِي سَهَا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَيُصْفَحُ عَنْهُ. إِنَّهُ ذَبِيحَةُ إِثْمٍ. قَدْ أَثِمَ إِثْمًا إِلَى ٱلرَّبِّ".«

وهكذا، هيأ الله سبيلًا للإنسان لكي يندمج في المجتمع. لا يُبرَّر الإنسان، ولا يُعلن صلاحه بتقديم قربانه، ولكنه يُغفر له بمعنى أنه يعود إلى الجماعة، ولا يُعاقب. فيستطيع أن يستمر في المشاركة في حياة الأمة وعبادة الله بدلًا من أن يُعزل.

هذا هو المعنى نفسه الذي استُخدمت به كلمة "مغفور" عندما صلى موسى في سفر العدد (١٤: ١٩) "ٱصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ هَذَا ٱلشَّعْبِ كَعَظَمَةِ نِعْمَتِكَ، وَكَمَا غَفَرْتَ لِهَذَا ٱلشَّعْبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى هَهُنَا»." بالتأكيد لم يكن كل فرد من بني إسرائيل مُبرَّرًا أمام الله. لقد كَفَّ الله عن إنزال العقاب بهم، وأعفاهم مرارًا من العقوبة المستحقة لبعض ذنوبهم، لكنه لم يُشر إلى أنه يُعلنهم أبرارًا. إن المغفرة أو الصفح التي طلبه موسى للشعب في هذه المناسبة لم تكن بحسب عظمة ذبيحتهم (لم يُقدِّموا شيئًا)، ولا بحسب عظمة برّهم (لم يكن لديهم برّ)، بل بحسب عَظَمَةِ نِعْمَتِكَ.

غفر الله لهم (العدد ١٤: ٢٠) وأنقذهم من العقاب الذي يستحقونه. "إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِٱلْوَبَإِ وَأُبِيدُهُمْ، وَأُصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ" (العدد ١٤: ١٢). لكنه في الوقت نفسه أعلن أن الجيل المتمرد الخائن لن يدخل أرض الميعاد (العدد ١٤: ٢١-٢٣). وهكذا غُفر لهم ذنبهم، لكنهم لم يُبرَّروا.

لاحظ أن الله يذكر أنهم قد جربوه عشر مرات (الآية ٢٢). في المقابل، نحن كمؤمنين مولودين من جديد مُبرَّرون. لا يوجد سجل يُبيّن عدد المرات التي جربنا فيها الرب.

وردت كلمة "يبرر"، أو ما شابهها، ثلاثًا وعشرين مرة في العهد القديم. ولم تُستخدم قط بمعنى غفران الخطاة وإعلانهم أبرارًا. في العهد الجديد، نتعلم أن إبراهيم تبرر بالإيمان (رومية ٤ \\غلاطية ٣) لا بالذبائح أو الختان أو أي أعمال أخرى.

المزمور ٥١ هو صلاة داود للتوبة والإيمان. لقد توكل على رحمة الله، لا على أي شيء يستطيع فعله أو أي ذبيحة يقدمها: "لِأَنَّكَ لَا

تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلَّا فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لَا تَرْضَى. ذَبَائِحُ ٱللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. ٱلْقَلْبُ ٱلْمُنْكَسِرُ وَٱلْمُنْسَحِقُ يَا ٱللهُ لَا تَحْتَقِرُهُ." (مزمور ٥١: ١٦-١٧). كان الخلاص متاحًا للخاطئ في العهد القديم لا بأعمال الناموس، بل بنعمة الله من خلال الإيمان.

ماذا عن يوم الكفارة؟ في ذلك اليوم، "وَيُقَدِّمُ هَارُونُ ثَوْرَ ٱلْخَطِيَّةِ ٱلَّذِي لَهُ وَيُكَفِّرُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ بَيْتِهِ، وَيَذْبَحُ ثَوْرَ ٱلْخَطِيَّةِ ٱلَّذِي لَهُ "(لاويين ١٦: ١١). ثم يذبح تيسًا ذبيحة خطيئة عن الشعب، ويرش دمه في القدس "فَيُكَفِّرُ عَنِ ٱلْقُدْسِ مِنْ نَجَاسَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ. وَهَكَذَا يَفْعَلُ لِخَيْمَةِ ٱلِٱجْتِمَاعِ ٱلْقَائِمَةِ بَيْنَهُمْ فِي وَسَطِ نَجَاسَاتِهِمْ." (الآية ١٦). ثم يخرج الكاهن إلى المذبح ويرش دم الثور والتيس عليه ليطهره وَيُقَدِّسُهُ مِنْ نَجَاسَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. (الآية ١٩)."«وَمَتَى فَرَغَ مِنَ ٱلتَّكْفِيرِ عَنِ ٱلْقُدْسِ وَعَنْ خَيْمَةِ ٱلِٱجْتِمَاعِ وَعَنِ ٱلْمَذْبَحِ، يُقَرِّبُ ٱلتَّيْسَ ٱلْحَيَّ. وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ ٱلتَّيْسِ ٱلْحَيِّ وَيُقِرُّ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ، وَيَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِ ٱلتَّيْسِ، وَيُرْسِلُهُ بِيَدِ مَنْ يُلَاقِيهِ إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ، لِيَحْمِلَ ٱلتَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ، فَيُطْلِقُ ٱلتَّيْسَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ." (الآيات ٢٠-٢٢).

في الآية ٢٤ قدّم هارون محرقة نفسه ومحرقة الشعب. وكان قربان واحد من كبش واحد يُقدّم كمحرقة (الآية ٥)للتكفير عن نفسه وعن الشعب. ويحرق شحم ذبيحة الخطيئة على المذبح (الآيات ٢٤-٢٥).

أُقرَّ يوم الكفارة فريضةً أبديةً لأمة إسرائيل، إذ يقول "لِأَنَّهُ فِي هَذَا ٱلْيَوْمِ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ لِتَطْهِيرِكُمْ. مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاكُمْ أَمَامَ ٱلرَّبِّ تَطْهُرُونَ." (اللاويون ١٦: ٣٠)"وَيُكَفِّرُ عَنْ مَقْدِسِ ٱلْقُدْسِ. وَعَنْ خَيْمَةِ ٱلِٱجْتِمَاعِ وَٱلْمَذْبَحِ يُكَفِّرُ. وَعَنِ ٱلْكَهَنَةِ وَكُلِّ شَعْبِ ٱلْجَمَاعَةِ يُكَفِّرُ. وَتَكُونُ هَذِهِ لَكُمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً لِلتَّكْفِيرِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُمْ مَرَّةً فِي ٱلسَّنَةِ». فَفَعَلَ كَمَا أَمَرَ ٱلرَّبُّ مُوسَى." (الآيات ٣٣-٣٤).

يتضح لنا أن الكفارة التي قدمتها هذه الذبائح ورش الدم كانت للتطهير والمصالحة. لكن المشكلة كانت أن خطايا الناس وآثامهم دنستهم هم وأماكنهم المقدسة. وبينما كانوا يعيشون حياتهم الفانية في أرض الميعاد، كانوا بحاجة إلى العودة إلى مكانة عبادة مقبولة.

لم يكن هذا تبريرًا لأنفسهم، بل تطهيرًا لمصلحة علاقتهم بالله، تمامًا كما وُعد المؤمنون المولودون من جديد، الذين تبرروا بدم يسوع من كل شيء، "إِنِ ٱعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ." (١ يوحنا ١: ٩).

ليس هدفي هنا الخوض في مئات النصوص التي تتناول موضوعي الغفران والتبرير. مع ذلك، أودّ أن أشجعكم على التفكير في هذه الحقيقة أثناء دراستكم لأسفار العهد الجديد:

١.عندما نتبرر، فإن هذا يحمل معه غفران جميع خطايانا فيما يتعلق بمكانتنا في المسيح (انظر الفصل ٧).

٢.من الواضح أننا نستطيع أن نغفر للآخرين، وكثيراً ما نكون كذلك. أُمرنا بذلك، لكن لا يمكننا تبرير غيرنا. أي أنه بإمكاننا اختيار عدم الجزاء المناسب الذي يستحقه المرء لذنب معين، لكن لا يمكننا إعلان أحدٍ باراً في نظر الله.

الفصل الثاني: اليهودي, الأممي والكنيسة.

ينبع معظم التعاليم الخاطئة التي تُدَّرس في الكنائس اليوم من عدم فهم الفرق بين اليهودي والأممي والكنيسة. يجب على دارس كلمة الله أن يمتلك فهمًا راسخًا للاختلافات الجوهرية بين هذه الفئات الثلاث من الناس لكي يُحسن فهم كلمة الحق.
يقول الكتاب المقدس في رسالة كورنثوس الأولى (١٠: ٣١-٣٢) "فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا، فَٱفْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ ٱللهِ. كُونُوا بِلَا عَثْرَةٍ لِلْيَهُودِ وَلِلْيُونَانِيِّينَ وَلِكَنِيسَةِ ٱللهِ." من الواضح أن هذه ثلاث مجموعات بشرية منفصلة ومتميزة. ولا مجال للنقاش حول وجود وحي لاحق يُلغي هذا الحكم، لأن هذا يُثبت أن اليهودي لم يندمج في الكنيسة، وأن الكنيسة ليست فرعًا من الفكر الديني الوثني. هذه المجموعات الثلاث منفصلة تمامًا عن بعضها البعض.
تعريف هذه الجماعات بسيط. اليهود هم نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب من لحم ودم. يُعتبر المرء يهوديًا بالولادة الجسدية. أما الأمميون فهم نسل كل من سائر البشر من لحم ودم. يُعتبر المرء أمميًا بالولادة الجسدية. إن لم تكن يهوديًا، فأنت أممي. تتكون الكنيسة من يهود وأمميين نالوا ولادة جديدة، أو ولادة ثانية، أو ولادة روحية. يصبح اليهودي المولود من جديد عضوًا في الكنيسة، وكذلك الأممي المولود من جديد. يستبدلون هويتهم القومية بهويتهم الجديدة في يسوع المسيح. ينشأ الكثير من الجدل والمشاكل والعقائد الخاطئة لأن الناس يميلون إلى التمسك بهويتهم الأولى أكثر من تمسكهم بهويتهم الثانية.
في سفر التثنية (٢٨: ٦٤) نقرأ: "وَيُبَدِّدُكَ ٱلرَّبُّ فِي جَمِيعِ ٱلشُّعُوبِ مِنْ أَقْصَاءِ ٱلْأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا، وَتَعْبُدُ هُنَاكَ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلَا آبَاؤُكَ، مِنْ خَشَبٍ وَحَجَرٍ".
انظر في سفر العدد (٢٣: ٩) "إِنِّي مِنْ رَأْسِ ٱلصُّخُورِ أَرَاهُ، وَمِنَ ٱلْآكَامِ أُبْصِرُهُ. هُوَذَا شَعْبٌ يَسْكُنُ وَحْدَهُ، وَبَيْنَ ٱلشُّعُوبِ لَا يُحْسَبُ".
عندما قسم الله البشرية إلى كيانات قومية، لم يكن اليهود من ضمن تلك المجموعات. فمنذ دعوة إبراهيم، ظل شعبه منفصلًا ومتميزاً عن جميع الشعوب الأخرى.
انظر إلى سفر التثنية (٣٣: ٢٨) "فَيَسْكُنَ إِسْرَائِيلُ آمِنًا وَحْدَهُ." فهم ليسوا جزءًا من أي جماعة قومية أخرى. اليهود شعب مستقل.
انظر أيضًا خروج (٣٣: ١٦) "فَإِنَّهُ بِمَاذَا يُعْلَمُ أَنِّي وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَنَا وَشَعْبُكَ؟ أَلَيْسَ بِمَسِيرِكَ مَعَنَا؟ فَنَمْتَازَ أَنَا وَشَعْبُكَ عَنْ جَمِيعِ ٱلشُّعُوبِ ٱلَّذِينَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ".«
لا يُعتبر اليهود من بين الأمم، فهم منفصلون تماماً وسيظلون كذلك. في الواقع، يُظهر التاريخ التوراتي أنه كلما حاولوا أو حتى رغبوا في أن يكونوا مثل الأمم أو أن يختلطوا بالأمم، نتج عن ذلك ضرر كبير.
ثم نتأمل في كلمات يسوع المسيح في متى (١٦: ١٨) "وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ ٱلصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ ٱلْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا".
كان هناك زمن، تاريخياً ودينياً، لم تكن فيه كنيسة. ثم هناك زمن، تاريخياً ودينياً، توجد فيه كنيسة. من الواضح أن الكنيسة ليست إسرائيل، لأنها لم تكن قد بُنيت بعد عندما كان يسوع على هذه الأرض. ومن الواضح أيضاً أنها لم تبدأ مع يوحنا المعمدان، ففي متى (١٦) يوحنا قد مات، وبناء الكنيسة لم يكن قد بدأ بعد. كان هناك أمم (يُطلق عليهم الوثنيون، والأمم، والجزر) قبل أن يدعو الله الأمة اليهودية. ومن بين هذه الأمم، دعا الله إبراهيم، وبنى معه أمة جديدة. لاحقاً، من اليهود والأمم، دعا الله الخطاة، وبنى مع المؤمنين كنيسة.
كما كان هناك زمنٌ وُجد فيه الأمم ولم يكن فيه يهود، كذلك كان هناك زمنٌ وُجد فيه اليهود والأمم، ولكن لم تكن هناك كنيسة. فالكنيسة ليست استمرارًا أو إعادة صياغة لأي شيء كان موجودًا قبل عمل المسيح على الصليب.

هذا الموضوع بالغ الأهمية بالنسبة لرسالة أفسس لدرجة أن الفصول الخمسة الأولى من تلك الرسالة تتناول هذا الأمر.
يقول الكتاب المقدس في رسالة أفسس (٣: ١ – ١٠) "بِسَبَبِ هَذَا أَنَا بُولُسُ، أَسِيرُ ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَجْلِكُمْ أَيُّهَا ٱلْأُمَمُ، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ ٱللهِ ٱلْمُعْطَاةِ لِي لِأَجْلِكُمْ. أَنَّهُ بِإِعْلَانٍ عَرَّفَنِي بِٱلسِّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِٱلْإِيجَازِ. ٱلَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ، تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ ٱلْمَسِيحِ. ٱلَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو ٱلْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ ٱلْآنَ لِرُسُلِهِ ٱلْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِٱلرُّوحِ: أَنَّ ٱلْأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي ٱلْمِيرَاثِ وَٱلْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي ٱلْمَسِيحِ بِٱلْإِنْجِيلِ. ٱلَّذِي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهُ حَسَبَ مَوْهِبَةِ نِعْمَةِ ٱللهِ ٱلْمُعْطَاةِ لِي حَسَبَ فِعْلِ قُوَّتِهِ. لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ ٱلْقِدِّيسِينَ، أُعْطِيَتْ هَذِهِ ٱلنِّعْمَةُ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ ٱلْأُمَمِ بِغِنَى ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِي لَا يُسْتَقْصَى، وَأُنِيرَ ٱلْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ ٱلسِّرِّ ٱلْمَكْتُومِ مُنْذُ ٱلدُّهُورِ فِي ٱللهِ خَالِقِ ٱلْجَمِيعِ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ. لِكَيْ يُعَرَّفَ ٱلْآنَ عِنْدَ ٱلرُّؤَسَاءِ وَٱلسَّلَاطِينِ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ ٱلْكَنِيسَةِ، بِحِكْمَةِ ٱللهِ ٱلْمُتَنَوِّعَةِ"
اليهود والأمم ورثة متساوون. لم يكن هذا صحيحًا في ظل العهود المبرمة مع إبراهيم ونوح وداود وموسى. هذا يخالف كل ما ورد في الشريعة.
في المسيح، يُعتبر اليهود والأمم جسداً واحداً. قارن ذلك بالمطالب المتكررة الموجهة لليهود بالبقاء منفصلين عن الأمم المحيطة بهم. أصبح كل من اليهود والأمم شركاء في نفس الوعد. ويتضح من قراءة العهد القديم وتفسيره في العهد الجديد أن الأمم كانوا غرباء عن الوعود التي أُعطيت لليهود.
في المسيح، يتحد اليهود والأمم. يا له من أمر عجيب! اليهود والأمم، مجتمعون في جسد واحد يُسمى الكنيسة!

والآن سننظر في بعض المقارنات. الآيات التالية لا تدع مجالًا للشك في أن الأمميين ليسوا اليهود، واليهود ليسوا الأمميين، والكنيسة ليست اليهود، واليهود ليسوا هم الكنيسة، والكنيسة ليست الأمم، والأمم ليست هي الكنيسة. هذه ثلاث مجموعات منفصلة ومتميزة من الناس.

يقول الكتاب المقدس في رسالة رومية (٩: ٣ – ٥)« **فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ ٱلْمَسِيحِ لِأَجْلِ ...من هم؟ ...إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ ٱلْجَسَدِ ...من هم؟... ٱلَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ ...هم هؤلاء ...وَلَهُمُ ٱلتَّبَنِّي وَٱلْمَجْدُ وَٱلْعُهُودُ وَٱلِٱشْتِرَاعُ وَٱلْعِبَادَةُ وَٱلْمَوَاعِيدُ ...لم يُعطَ شيء من هذه الأشياء قط، ولم يكن لأي أمة من الأمم...وَمِنْهُمُ ٱلْمَسِيحُ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ، ٱلْكَائِنُ عَلَى ٱلْكُلِّ إِلٰهًا مُبَارَكًا إِلَى ٱلْأَبَدِ. آمِينَ ".**هؤلاء هم إخوة بولس بحسب الجسد.

ثم ننتقل إلى أفسس (٢: ١١-١٢) "لِذٰلِكَ ٱذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ ٱلْأُمَمُ قَبْلًا فِي ٱلْجَسَدِ، ٱلْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ ٱلْمَدْعُوِّ خِتَانًا مَصْنُوعًا بِٱلْيَدِ فِي ٱلْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ ٱلْمَوْعِدِ، لَا رَجَاءَ لَكُمْ، وَبِلَا إِلٰهٍ فِي ٱلْعَالَمِ." هناك فئة لها عهود ووعود وعلاقة مع الله، وهم اليهود. أما الفئة الأخرى فليس لها عهود ولا وعود ولا علاقة مع الله، وهم الأمم. لا يمكن أن يكونوا متماثلين. لا يمكننا القول إن الجنس البشري مجرد عائلة واحدة كبيرة. ثمة فرق واضح بين اليهودي والأممي.

تأملوا في أفسس (١: ٢٢-٢٣) "وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، ٱلَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ ٱلَّذِي يَمْلَأُ ٱلْكُلَّ فِي ٱلْكُلِّ." لم يكن لدى الأمم شيء. كان لدى اليهود عهود ووعود. أما الكنيسة فلديها كل شيء. كان لأبناء إبراهيم قدر من نعمة الله ورحمته وسلامه وبركته. تمتعت الأمم ببركات دنيوية دون أن تعرف مصدرها. لكن الكنيسة لديها ملء الألوهية والفيض غير المحدود من جميع البركات الروحية في المسيح يسوع.

أن يقول رجلٌ مخلص بالنعمة: "أنا أمريكي"، يُعدّ تراجعًا كبيرًا. وأن تقول امرأةٌ مخلصة بالنعمة: "أنا يهودية مسيانية"، يُعدّ تراجعًا كبيرًا. أن تقول: "أنا مسيحي" يأخذ مصطلح المرء إلى أبعد من أي شيء كان يملكه اليهودي أو الأممي لدرجة أنه لا توجد مقارنة حقيقية.

إن كنيسة العهد الجديد أسمى بكثير من العهود الوطنية ووعود منح الأراضي. فنحن ورثة مع المسيح. قد تفوق اليهودي على الأممي في امتلاكه مذبحًا يجتمع فيه رئيس كهنته مع الإله الحق الحي مرة في السنة. الكنيسة تسكن في المسيح والمسيح في كنيسته، ولنا حق الوصول الدائم إلى عرش النعمة يوميًا.

إنّ التعاطف القومي والعنصري يسلب المسيحي ما يملكه في المسيح. فلننبذ كلّ حبّ لتلك الهويات المبنية على ولادتنا الأولى، ولنفتخر تمامًا بما هو لنا بفضل ولادتنا من جديد.

في يوحنا (٤: ٢٢) كان يسوع يتحدث إلى امرأة سامرية. كان أجدادها نصفهم من اليهود ونصفهم من الأمم، مما جعل نسلهم غير مرغوب فيه لدى أي من العرقين. قال لها يسوع: "أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ. لِأَنَّ ٱلْخَلَاصَ هُوَ مِنَ ٱلْيَهُودِ".

لا تغفلوا هذا. لقد قال الرب بنفسه إن هذه المرأة وقومها لا يمكنهم الوصول إلى الله إلا من خلال الأمة العبرية. يجب إدراك وجود فرق واضح بينهما.

ثم أخبر يسوع هذه المرأة أنه سيكون نهاية كل الانقسامات الدينية والقومية. بإمكانها أن تنال الحياة الأبدية بالثقة به. وبإمكان اليهودي أن ينال الحياة الأبدية بالثقة به. يُظهر إنجيل يوحنا "٤" بوضوح تام الفرق بين اليهودي والأممي والكنيسة.

بالعودة إلى رسالة أفسس، انظروا إلى (٤: ١٧ – ١٩) "فَأَقُولُ هٰذَا وَأَشْهَدُ فِي ٱلرَّبِّ: أَنْ لَا تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ ٱلْأُمَمِ أَيْضًا بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُو ٱلْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ ٱللهِ لِسَبَبِ ٱلْجَهْلِ ٱلَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلَاظَةِ قُلُوبِهِمْ. ٱلَّذِينَ -إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا ٱلْحِسَّ- أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي ٱلطَّمَعِ." يا له من أمر مؤلم! في يوحنا (٤) قال يسوع إن الأمم عبدوا إلهًا لم يعرفوه. وهنا يقول الروح القدس إنهم كانوا يجهلون الله، وأن أفكارهم بشأنه كانت تتسم بالضلال والظلام والعمى. ما أشد الاختلاف بين هذا وبين الوحي الواسع الذي أُعطي لليهود. تأملوا في ظهور الله للآباء. تأملوا في التفاصيل التي كُشفت لهم عن شخص الرب وطرقه في إعطاء الشريعة. تأمل في البصيرة الإضافية التي منحها الأنبياء للأمة عبر القرون. ليس لدى الأمم ما يضاهي ذلك.

فعبد الأمميون، وعبد اليهود. لم يكن الأمميون يعلمون ما يعبدون (يوحنا ٤) بل عبدوا إلهًا مجهولًا (أعمال ١٧)عن جهل (أفسس ٤).صنعوا التمائم والأصنام والصور. وتخيلوا أن للريح والأشجار والصخور ذكاءً. وانقادوا لأفكار بوذا وكونفوشيوس وزرادشت وغيرهم. وتحدثوا عن الأرض الأم، والقوة، والكارما، والسحر. لم يكونوا بلا دين، لكنهم كانوا بلا إله.

لا يُمكن أن يُقال عن اليهودي: "تعبدون ما لا تعرفون." فهو يعرف أي جبل يعبد فيه، وأي مذبح يُقدّم عليه ذبيحة، وأي حيوان يُحضره وفي أي يوم يُحضره. إنه يعرف اسم الله، ويعرف كلامه. لقد وجد الرب عبادة الأصنام عند العبرانيين مُنكرةً للغاية لأنهم كانوا على درايةٍ أفضل.

والآن قارن ذلك بالعلاقة الأسمى بين الله والكنيسة. يقول الكتاب المقدس في أفسس (٥: ٢٢ – ٢٣) "أَيُّهَا ٱلنِّسَاءُ، ٱخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، لِأَنَّ ٱلرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ ٱلْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ ٱلْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ ٱلْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ ٱلْجَسَدِ".

هنا، يتخذ الرب أقرب العلاقات الإنسانية وأكثرها حميمية ليُظهر اتحاد المؤمن به. لا مذبح، لا ذبيحة، لا شريعة، لا حدود، لا مدينة، لا قيود على الوصول، لا أيام محددة، لا شك، لا مستقبل غامض. نحن واحد مع المسيح إلى الأبد. فهو لا يترك ولا يتخلى عن الذين

نالوا الخلاص بنعمته (عبرانيين ١٣: ٥).
يقسم الله البشرية إلى ثلاث مجموعات. وتعبد هذه المجموعات الثلاث جميعها. فإحداها تعبد إلهاً لا تعرفه، والأخرى تعبد إلهاً لا تستطيع الوصول إليه، والثالثة تعبد الإله الذي يسكن معهم ويقيم معهم في علاقة شخصية.
دعونا ننظر إلى مجموعة ثالثة من الآيات.
يقول رومية (٣: ١ – ٢) "إِذًا مَا هُوَ فَضْلُ ٱلْيَهُودِيِّ، أَوْ مَا هُوَ نَفْعُ ٱلْخِتَانِ؟ كَثِيرٌ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ! أَمَّا أَوَّلًا فَلِأَنَّهُمُ ٱسْتُؤْمِنُوا عَلَى أَقْوَالِ ٱللهِ." لا يمكن أن يكونا متساويين عندما يمتلك أحدهما مزايا لا يمتلكها الآخر. ويا لها من ميزة، فقد كلم الله أحدهما ولم يقل شيئًا للآخر.
مع وضع هذه الحقيقة في الاعتبار، تأملوا في مرقس (٧: ٢٦ – ٢٨) "وَكَانَتْ ٱلْمَرْأَةُ أُمَمِيَّةً، وَفِي جِنْسِهَا فِينِيقِيَّةً سُورِيَّةً. فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُخْرِجَ ٱلشَّيْطَانَ مِنِ ٱبْنَتِهَا. وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهَا: «دَعِي ٱلْبَنِينَ أَوَّلًا يَشْبَعُونَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ ٱلْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلَابِ». فَأَجَابَتْ وَقَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَٱلْكِلَابُ أَيْضًا تَحْتَ ٱلْمَائِدَةِ تَأْكُلُ مِنْ فُتَاتِ ٱلْبَنِينَ".«!
لقد كلم الله اليهود على مدى ألفي عام من خلال الأنبياء والقضاة والملوك والوزراء. أما الأمم الأخرى، فلم تنل من الله إلا الفتات الذي كان يسقط عليها إن كانت قريبة من المكان الذي كان اليهود يأكلون فيه.
عندما طلبت هذه المرأة من يسوع المساعدة، قال لها: "ليس لديّ عون لكِ لأنكِ كلبة" (أممية.) من الواضح أنه لم يكن يكرهها، بل استجاب لطلبها. لقد كان رحيمًا بها. ولكن بما أنه الله، وبما أنها لم تكن يهودية، وبما أن الكنيسة لم تكن قد بدأت بعد، لم يكن لديه ما يقوله لها. اضطرت إلى نيل بركات الله من خلال بني إسرائيل. لو كان يسوع مجرد إنسان رائع، لتحدث إلى الجميع. ولكن بما أنه كان ولا يزال الله، لم يكن لديه ما يقوله للأمم. لقد أعطي وحي الله لليهود فقط.
ننتقل بعد ذلك إلى ١ بطرس (٢: ٩ – ١٠) ونقرأ: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ ٱقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ ٱلَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ ٱلظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ ٱلْعَجِيبِ. ٱلَّذِينَ قَبْلًا لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا ٱلْآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ ٱللهِ. ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ، وَأَمَّا ٱلْآنَ فَمَرْحُومُونَ".
هنا نجد أمةً لم تكن أمةً قط. هنا نقرأ عن شعبٍ لم يكن شعبًا قط. أعطى الله كلامه لليهود، ولم يُعطه للأمم. لكن الكلمة تسكن في قلب كل شخص مولود من جديد. إنهم مختلفون. إنهم ثلاث مجموعات منفصلة ومتميزة من الناس، ومن الناحية الكتابية، لا يمكنك جعلهم متماثلين.

دعونا نقارن بين إسرائيل والكنيسة.
"وَقَالَ ٱلرَّبُّ لِأَبْرَامَ: «ٱذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي أُرِيكَ." (تكوين ١٢: ١).
"مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ ٱلْقِدِّيسُونَ، شُرَكَاءُ ٱلدَّعْوَةِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ، لَاحِظُوا رَسُولَ ٱعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ ٱلْمَسِيحَ يَسُوعَ." (عبرانيين ٣: ١).
لكلتا المجموعتين رسالة. رسالة اليهود كانت دنيوية، أما رسالة الكنيسة فهي سماوية. دُعي إبراهيم إلى أرض، أما الكنيسة فدُعيت إلى مكان يُسمى السماء. أُفضّل رسالتنا على رسالتهم.
"لِأَنَّ ٱلرَّبَّ إِلَهَكَ آتٍ بِكَ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ. أَرْضِ أَنْهَارٍ مِنْ عُيُونٍ، وَغِمَارٍ تَنْبَعُ فِي ٱلْبِقَاعِ وَٱلْجِبَالِ. أَرْضِ حِنْطَةٍ وَشَعِيرٍ وَكَرْمٍ وَتِينٍ وَرُمَّانٍ. أَرْضِ زَيْتُونِ زَيْتٍ، وَعَسَلٍ. أَرْضٍ لَيْسَ بِٱلْمَسْكَنَةِ تَأْكُلُ فِيهَا خُبْزًا، وَلَا يُعْوِزُكَ فِيهَا شَيْءٌ. أَرْضٍ حِجَارَتُهَا حَدِيدٌ، وَمِنْ جِبَالِهَا تَحْفُرُ نُحَاسًا." (تثنية ٨: ٧-٩).
كانت الأرض التي دعا الله شعبه إليها أرضًا رائعة الجمال. يكاد المرء لا يتعرف عليها اليوم بعد أن لُعنت بسبب عصيان بني إسرائيل، لكن أرض الميعاد كانت فائقة الجمال وخصبة للغاية. ومع ذلك، لم تكن، ولا هي، ولن تكون شيئًا يُذكر مقارنةً بما أنعم الله به على كنيسته.
يقول فيلبي (٣: ٢٠) "فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، ٱلَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ ٱلرَّبُّ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ"
قارن بين ملك اليهود على الأرض وأضعف أبناء الله. "فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ ٱلسَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ»." (متى ٨: ٢٠). "لِمِيرَاثٍ لَا يَفْنَى وَلَا يَتَدَنَّسُ وَلَا يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ لِأَجْلِكُمْ" (١ بطرس ١: ٤).
لذا وُعد اليهودي بقطعة أرض خصبة للغاية. إلا أن هذا الوعد كان مشروطاً ببعض الشروط. عندما لم يتم استيفاء الشروط، وسُمح للأرض بأن تصبح قاحلة، وطُرد الناس من الأرض.
لم يُوعد للكنيسة بمتر واحد من الأرض. ليس لها مقرٌّ أرضي. ليس لها إقليم. ليس للكنيسة حكومةٌ تؤثر على العالم الدنيوي أو سلطاته. ليس للكنيسة جيوشٌ ولا حراسٌ ولا سجونٌ ولا شرطة. كل ذلك يهودي. إنها عقلية يهودية، تتعلق بالوعود اليهودية. لسنا في تجارة الأرض. لسنا بصدد الاستيلاء على الأرض. لا ننتمي إلى هنا. دعوتنا سماوية. أملنا سماوي. ممتلكاتنا سماوية.
في سفر التكوين (٢٤: ٣٤-٣٥) نقرأ: "فَقَالَ: «أَنَا عَبْدُ إِبْرَاهِيمَ، وَٱلرَّبُّ قَدْ بَارَكَ مَوْلَايَ جِدًّا فَصَارَ عَظِيمًا، وَأَعْطَاهُ غَنَمًا وَبَقَرًا وَفِضَّةً وَذَهَبًا وَعَبِيدًا وَإِمَاءً وَجِمَالًا وَحَمِيرًا." كانت بركات الله لليهودي مادية بالكامل: أرض، وذهب، ومواشي، وخيام، وعربات، وما إلى ذلك.
يا له من اختلاف عن التحذير الوارد في مرقس (١٠: ٢٣)."فَنَظَرَ يَسُوعُ حَوْلَهُ وَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي ٱلْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ ٱللهِ!»." عندما نتأمل في أن الثروة المادية والأمان هما المكافأة على الطاعة في الشريعة، يجب أن نندهش من التناقض الموجود في رسالة يعقوب (٢: ٥) "ٱسْمَعُوا يَا إِخْوَتِي ٱلْأَحِبَّاءَ: أَمَا ٱخْتَارَ ٱللهُ فُقَرَاءَ هَذَا ٱلْعَالَمِ أَغْنِيَاءَ فِي ٱلْإِيمَانِ، وَوَرَثَةَ ٱلْمَلَكُوتِ

ٱلَّذِي وَعَدَ بِهِ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ؟"
لم يُعرض على مسيحي العهد الجديد أي ثروات دنيوية فحسب، بل أُنذر مسبقًا باحتمالية معاناته من الفقر. فالثروة قد تُشكل عائقًا كبيرًا أمام المسيحية. تذكروا قول يسوع: "«لَا تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى ٱلْأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ ٱلسُّوسُ وَٱلصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ ٱلسَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ." (متى ٦ : ١٩). ما أشدّ الاختلاف بين هذا وبين بناء الهيكل على جبل صهيون، على سبيل المثال.
قال الرسل: "لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلَا ذَهَبٌ، وَلَكِنِ ٱلَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ" (أعمال الرسل ٣: ٦). ما تقدمه الكنيسة للمتسول ليس المال بل يسوع؛ ليس تحسين ظروف المعيشة بل الحياة الأبدية. قارن هذا بالزخارف والأواني وأغطية الهيكل الفخمة.
تأملوا هذه الوصية مرة أخرى: "فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا." (١ تيموثاوس ٦: ٨). هذا يختلف تمامًا عن أرض تفيض لبنًا وعسلًا. من الواضح وجود فرق لا يمكن لأي دارس متعمق أن يغفله. ما كان ينبغي أن يتوقعه اليهودي من الله، وما يُطلب من الكنيسة أن تتوقعه منه، أمران مختلفان تمامًا.
وفي السياق نفسه، اقرأ سفر التثنية (٢٨: ٧) "يَجْعَلُ ٱلرَّبُّ أَعْدَاءَكَ ٱلْقَائِمِينَ عَلَيْكَ مُنْهَزِمِينَ أَمَامَكَ. فِي طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ يَخْرُجُونَ عَلَيْكَ، وَفِي سَبْعِ طُرُقٍ يَهْرُبُونَ أَمَامَكَ." هذا أحد الوعود الكثيرة التي تُؤكد أن بني إسرائيل لن يُصابوا بأذى جسدي إذا سلكوا في مشيئة الله.
ضع هذا بجانب يوحنا (١٦: ٢) حيث يُحَذر المؤمن في العهد الجديد: "سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ ٱلْمَجَامِعِ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِلهِ." أمل اليهودي وتوقعه هو النصر أو الحماية. وقد حُذّرت الكنيسة من الاضطهاد، والفرار الضروري، والموت.
ثمة نقطة تباين أخرى عند قراءة سفر التثنية (٢٨: ١٣) مع إنجيل متى (١٨: ٤). »"وَيَجْعَلُكَ ٱلرَّبُّ رَأْسًا لَا ذَنَبًا، وَتَكُونُ فِي ٱلِٱرْتِفَاعِ فَقَطْ وَلَا تَكُونُ فِي ٱلِٱنْحِطَاطِ، إِذَا سَمِعْتَ لِوَصَايَا ٱلرَّبِّ إِلهِكَ ٱلَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا ٱلْيَوْمَ، لِتَحْفَظَ وَتَعْمَلَ" (تثنية ٢٨: ١٣).
"فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هَذَا ٱلْوَلَدِ فَهُوَ ٱلْأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ." (متى ١٨: ٤).
كان طموح اليهودي الذي وهبه الله له هو العظمة في الأرض. أما التوجيهات التي أُعطيت للمسيحي المتجدد، فتتعلق جميعها بالتواضع وتقبّل المكانة الأدنى. كان على أمة إسرائيل أن تكون عظيمة، وإلا فلن تنال شيئًا. ويُقال إن المسيحي أن يكون لا شيء ليصبح عظيمًا.

تُقدّم رسالة كورنثوس الأولى (١٢: ١٣) حقيقةً عظيمة. "لِأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا ٱعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُودًا كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ، عَبِيدًا أَمْ أَحْرَارًا، وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحًا وَاحِدًا." من الواضح أن هذه الآية مُوجّهةٌ إلى الذين كانوا يُعرفون سابقًا باليهود، وإلى الذين كانوا يُعرفون سابقًا بالأمميين، ولكنهم، بعمل الروح القدس، أصبحوا جزءًا من جسد المسيح. تُوضّح هذه الآية بوضوحٍ تامٍّ التقسيم الثلاثي للبشرية.
يحزنني من يرغبون في أن يكونوا مسيحيين بيض. يحزنني من يرغبون في أن يكونوا مسيحيين أمريكيين من أصل أفريقي. يحزنني من يرغبون في أن يكونوا مسيحيين عبرانيين، أو أي شيء آخر يضعونه قبل المسيحية. لقد وضعكم الله في مكانة أفضل بكثير مما كنتم عليه عند ولادتكم الأولى في آدم الساقط. الشيء الوحيد المهم هو أنكم في المسيح. لستم أفضل حالًا في جسد المسيح لأنكم كنتم بيضًا أو سودًا أو صفرًا أو سمرًا قبل انضمامكم إليه. لستم أفضل حالًا لأنكم كنتم يهودًا أو أمميين قبل انضمامكم إليه. لستم أفضل حالًا لأنكم كنتم ذكرًا أو أنثى قبل انضمامكم إليه. كل هذا انتهى. كل ما جلبته لكم ولادتكم الأولى هو تذكرة إلى الجحيم. لا فرق في أي سيارة ركبتم إن كانت تلك هي الوجهة.
إذا نلت الخلاص، فأنت مسيحي. لا تحاول التشبث بما كنت عليه، بل افتخر بما جعلك إياه يسوع. لم يرغب المؤمنون في غلاطية بالتخلي عن يهوديتهم. فقد ظنوا، كما يظن بعض السذج اليوم، أنهم مسيحيون أفضل لكونهم يهودًا في الأصل. وتوهموا أنهم نالوا مكانة مميزة في جسد المسيح بسبب ماضيهم قبل أن يُلقى بهم في بحيرة النار.
رداً على هذا التفكير الخاطئ، يقول غلاطية (٣: ٢٦ – ٢٨)" **لِأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ ٱللهِ بِٱلْإِيمَانِ بِٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ. لِأَنَّ كُلَّكُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَمَدْتُمْ بِٱلْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ ٱلْمَسِيحَ: لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلَا يُونَانِيٌّ** ....لا يهم أنك كنت يهودياً في جسدك. لا يهم أنك كنت من الأمم في جسدك ..**لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ** ....لا يهم أنك كنت عبداً في جسدك. لا يهم أنك كنت حراً في جسدك ..**لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى** ...الضالون من كلا الجنسين (وهما جنسين فقط) يذهبون إلى الجحيم. أما الناجون من كلا الجنسين فيذهبون إلى السماء ....**لِأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ".**
كل شيء يبدأ عندما تصبح في المسيح. الأشياء القديمة قد زالت، وكل شيء صار جديدًا (كورنثوس الثانية ٥: ١٧). افتخر بالرب، لا بنسبك البشري. لاحظ ما يحدث عندما يتخلى المرء عن هويته. أنا مسيحي. لكن هذا لا يكفي. إذا كنت مسيحيًا أبيضًا ألوّح بعلم الكونفدرالية، أو مسيحيًا أسود شديد الحساسية ومتشككًا، أو يهوديًا ملتزمًا بالسبت يحاول التشبث ببقايا الشريعة، أو مسيحيًا جمهوريًا محافظًا متحالفًا مع منكري الكتاب المقدس، فانظر ماذا سيحدث. لقد كسبت ودّ نسبة ضئيلة من الناس الذين يرغبون في الارتباط بهذا التوجه. لذلك، أفقد فرحة وامتياز الزمالة مع الغالبية العظمى من أعضاء جسد المسيح. أتخلى عن كامل مزايا عضويتي في كنيسة الرب لأتشبث بشيء كنت عليه قبل أن ألتقي بيسوع! كثيرون يتخلون عن التمتع الكامل بعضوية جسد المسيح ليتشبثوا بشيء كان تافهًا لدرجة أنه لم يُخرجهم من الجحيم. إنها صفقة خاسرة. تخَّل عنها. لا تكن مسيحيًا ذا هوية مزدوجة.
عندما طبعتُ الدراسة بعنوان "الكتاب المقدس والعنصرية" ظننتُ أنها ستقتصر على جمهور محدود للغاية، لأنها ستكون ضرورية فقط لمخاطبة أولئك الذين يتنازعون في أمريكا حول قضية العنصرية. لكن من كل ميدان تبشيري في العالم وُزِّع فيه هذا الكتيب، كتب المبشرون أو القساوسة المحليون: "أرجوكم أرسلوا لي المزيد من هذه النسخ. فالجماعة القبلية (أ) ترفض التواصل مع الجماعة القبلية (ب)، أو الجماعة العرقية (ج) ترفض التواصل مع الجماعة العرقية (د) المشكلة عالمية.

يجب أن تنتهي سخافة "جماعتي أفضل من جماعتك" عند جبل الجلجلة. من الأفضل أن تكون مسيحيًا من أن تكون يهوديًا. من الأفضل أن تكون مسيحيًا من أن تكون من الأمم. دعك من كل هذا لأنك ستضطر إلى التخلي عنه عندما تصل إلى السماء. ليس هناك أحياء في الجنة مخصصة لأشخاص يشبهونك.

انظر إلى هذه الحقيقة نفسها التي تم تأكيدها في أفسس (٢: ١١-١٦).
"لِذَلِكَ ٱذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ ٱلأُمَمُ قَبْلًا فِي ٱلْجَسَدِ" كان لهم نفس الجسد، ولم يتغير لون بشرتهم أو ملامح وجوههم. ومع ذلك، كانوا يُدعون في الماضي أمميين بالجسد. يكتب إليهم الروح القدس كما لو أنهم لم يعودوا أمميين. جسديًا كانوا كذلك، لكن الله يريدنا أن نرى أن هذا لم يعد مهمًا. لقد انتهينا من ذلك.
"ٱلْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ ٱلْمَدْعُوِّ خِتَانًا مَصْنُوعًا بِٱلْيَدِ فِي ٱلْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ ٱلْمَوْعِدِ، لَا رَجَاءَ لَكُمْ، وَبِلَا إِلَهٍ فِي ٱلْعَالَمِ. وَلَكِنِ ٱلآنَ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ ٱلْمَسِيحِ. " كان الله في الماضي قريبًا من اليهودي، وكان الأممي بعيدًا. أما الآن، فالمخلصون من الأمم واليهود المخلصين في الله. ربما كان اليهود أقرب في وقت من الأوقات، والأمم أبعد، لكن هذا لم يعد صحيحًا. غير المؤمنين المولودين من كلا الطرفين بعيدون، والمؤمنون من كلا الطرفين معًا في المسيح.
"لِأَنَّهُ هُوَ سَلَامُنَا، ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ ٱلسِّيَاجِ ٱلْمُتَوَسِّطَ، أَيِ ٱلْعَدَاوَةَ. مُبْطِلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ ٱلْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ ٱلاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلَامًا" يقرأ معظم الناس هذه الآيات ويدرسونها على النحو التالي: كان هناك جدار بين الله واليهودي وقد زال الآن. كان هناك جدار بين الله والأمم وقد زال الآن. هدم يسوع الجدار بين الله والإنسان. ليس أي من هذا صحيحًا في هذه الفقرة. في السياق، من الواضح أن الاثنين اللذين كان بينهما الجدار هما اليهودي والأممي.
"وَيُصَالِحَ ٱلاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ ٱللهِ بِٱلصَّلِيبِ، قَاتِلًا ٱلْعَدَاوَةَ بِهِ." الصراع الذي فرق أبناء آدم لقرون ينتهي بالولادة الجديدة. أتلقى رسائل ومكالمات من أوروبا الشرقية وأفريقيا. شخصان من جنسيات أو قبائل مختلفة قد اهتديا. يرفضان الاختلاط معًا لأن علاقتهما بأبيهما الأرضي أهم عندهما من علاقتهما بأبيهما السماوي. هل أنت يهودي؟ هل أنت من الأمم؟ إذًا تمسك بجنسك حسب الجسد، فهذه هي هويتك الوحيدة. هل أنت من أبناء الله؟ إذن تمسك بمن هم مثلك بالروح، فهذه هي الهوية الحقيقية والأبدية والقيمة. "لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ ٱلْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ ٱلْجَسَدِ ٱلْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذَلِكَ ٱلْمَسِيحُ أَيْضًا." (كورنثوس الأولى ١٢: ١٢). هذا ما يجب أن نركز عليه، وهذا هو موقفنا.
اقرأوا بتأنٍ كلام الله لإسرائيل بشأن الأبناء المتمردين. "«إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ ٱبْنٌ مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لَا يَسْمَعُ لِقَوْلِ أَبِيهِ وَلَا لِقَوْلِ أُمِّهِ، وَيُؤَدِّبَانِهِ فَلَا يَسْمَعُ لَهُمَا. يُمْسِكُهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَيَأْتِيَانِ بِهِ إِلَى شُيُوخِ مَدِينَتِهِ وَإِلَى بَابِ مَكَانِهِ، وَيَقُولَانِ لِشُيُوخِ مَدِينَتِهِ: ٱبْنُنَا هَذَا مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لَا يَسْمَعُ لِقَوْلِنَا، وَهُوَ مُسْرِفٌ وَسِكِّيرٌ. فَيَرْجُمُهُ جَمِيعُ رِجَالِ مَدِينَتِهِ بِحِجَارَةٍ حَتَّى يَمُوتَ. فَتَنْزِعُ ٱلشَّرَّ مِنْ بَيْنِكُمْ، وَيَسْمَعُ كُلُّ إِسْرَائِيلَ وَيَخَافُونَ." (تثنية ٢١: ١٨-٢١).
قارن ذلك بما علّمه يسوع وهو يشرح للناس مبادئ ملكوت الله التي ستحكم كنيسته. "فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ ٱلاِبْنُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ٱبْنًا. فَقَالَ ٱلأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا ٱلْحُلَّةَ ٱلأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَٱجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا ٱلْعِجْلَ ٱلْمُسَمَّنَ وَٱذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ" (لوقا ١٥: ٢٠-٢٣).
في الشريعة اليهودية، كان يُقتل الابن المتمرد. أما في ظل النظام الاقتصادي الجديد، فيُستقبل الابن الظال والمتمرد بحفاوة، ويُحتضن، ويُعتنى به، ويُبارك. يا له من فرق!
تأملوا هذا التحذير الموجه إلى بني إسرائيل، بأن عليهم عبادة الله في مكان واحد فقط. "وَتَقُولُ لَهُمْ: كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمِنَ ٱلْغُرَبَاءِ ٱلَّذِينَ يَنْزِلُونَ فِي وَسَطِكُمْ يُصْعِدُ مُحْرَقَةً أَوْ ذَبِيحَةً، وَلَا يَأْتِي بِهَا إِلَى بَابِ خَيْمَةِ ٱلاِجْتِمَاعِ لِيَصْنَعَهَا لِلرَّبِّ، يُقْطَعُ ذَلِكَ ٱلإِنْسَانُ مِنْ شَعْبِهِ." (لاويين ١٧: ٨-٩). هنا يُؤمر بالموت، لا لعبادة إلهٍ آخر، ولا لإحضار تضحية خاطئة، ولكن لعبادة الإله الحق بالقربان الصحيح **ولكن في المكان الخطأ.**
كم يختلف هذا عما قاله يسوع في العهد الجديد! "لِأَنَّهُ حَيْثُمَا ٱجْتَمَعَ ٱثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِٱسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ»." (متى ١٨: ٢٠).
لا عجب أن يقول سفر العبرانيين إذْ سَبَقَ ٱللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئًا أَفْضَلَ (١١: ٤٠).
وفي السياق نفسه، لاحظ ما ورد في إنجيل لوقا (١: ١٠) "وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ ٱلشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجًا وَقْتَ ٱلْبَخُورِ." كان بإمكان اليهود، بموجب الشريعة، الصلاة إلى الله، لكنهم كانوا يصلّون خارجًا لأن رئيس الكهنة وحده كان يُسمح له بالدخول إلى حضرة الله، بينما كان على بقية الناس البقاء على مسافة.
قارن ذلك مع عبرانيين (١٠: ١٩-٢٠) "فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا ٱلإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِٱلدُّخُولِ إِلَى «ٱلأَقْدَاسِ» بِدَمِ يَسُوعَ، طَرِيقًا كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا، بِٱلْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ" كل رجل وامرأة مُخلَّصين يستطيعان الدخول بثقة إلى مكان الشركة مع الله.
لوحظت نفس الامتيازات الحصرية في رسامة كهنة إسرائيل. يقول سفر العدد (٣: ١٠) "وَتُوَكِّلُ هَارُونَ وَبَنِيهِ فَيَحْرُسُونَ كَهَنُوتَهُمْ، وَٱلأَجْنَبِيُّ ٱلَّذِي يَقْتَرِبُ يُقْتَلُ»." إذا حاول أي شخص آخر غير هارون أو بَنِيهِ الخدمة في الكهنوت، كان يُعاقَبُ بالإعدام. هذه هي الشريعة اليهودية.
لكن بالنسبة للمسيحي، يقول بطرس الأولى (٢: ٥) "كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ -كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ- بَيْتًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ ٱللهِ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ." في الكنيسة، كل فرد كاهن. نخدم جميعاً أمام الله نيابةً عن الآخرين. لا يُضاهى ذلك.

وهناك أيضاً فرق شاسع في مستقبل الأمة اليهودية ومستقبل الكنيسة.
في يوحنا (١٤: ٢-٣) قال يسوع: "فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلَّا فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا" مستقبل المسيحي هو أن يكون مع الرب في مكان أعدّه له.
يُشرح نقلنا في رسالة تسالونيكي الأولى (٤: ١٥-١٧) "فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هَذَا بِكَلِمَةِ ٱلرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ ٱلْأَحْيَاءَ ٱلْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ ٱلرَّبِّ، لَا نَسْبِقُ ٱلرَّاقِدِينَ. لِأَنَّ ٱلرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلَائِكَةٍ وَبُوقِ ٱللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَمْوَاتُ فِي ٱلْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلًا. ثُمَّ نَحْنُ ٱلْأَحْيَاءَ ٱلْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي ٱلسُّحُبِ لِمُلَاقَاةِ ٱلرَّبِّ فِي ٱلْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ ٱلرَّبِّ".
إنّ التغيير المطلوب في أجسادنا مُفصّل في رسالة الرسول بولس إلى أهل فيلبي (٣: ٢٠-٢١) "فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، ٱلَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ ٱلرَّبُّ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ، ٱلَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ ٱسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ".
إذن، سنُختطف. سنقابل الرب في السماء. سيُغيّر أجسادنا ليجعلها مثله. سيأخذنا ليسكن في مكانٍ أعدّه لنا. لا عجب أن يقول يوحنا الأولى (٣: ٢) "أَيُّهَا ٱلْأَحِبَّاءُ، ٱلْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ ٱللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ." هذه هي البركات الموعودة لمن وُلدوا من جديد.
إن مستقبل دولة إسرائيل مختلف تماماً.
يقول إنجيل لوقا (١: ٣١-٣٣) "وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ٱبْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَٱبْنَ ٱلْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى ٱلْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ".«
عند إعلان ميلاد المسيح، كان الأمل المعقود عليه هو حكم أبدي على عرش أرضي. حكم داود في أورشليم، ومن ذلك العرش سيحكم الرب يسوع أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

يُضيف رومية ١١المعلومات التالية: أقول إذن " فَأَقُولُ: أَلَعَلَّ ٱللهَ رَفَضَ شَعْبَهُ؟ حَاشَا! لِأَنِّي أَنَا أَيْضًا إِسْرَائِيلِيٌّ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ.... لِأَنَّهُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ قُطِعْتَ مِنَ ٱلزَّيْتُونَةِ ٱلْبَرِّيَّةِ حَسَبَ ٱلطَّبِيعَةِ، وَطُعِّمْتَ بِخِلَافِ ٱلطَّبِيعَةِ فِي زَيْتُونَةٍ جَيِّدَةٍ، فَكَمْ بِٱلْحَرِيِّ يُطَعَّمُ هَؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ هُمْ حَسَبَ ٱلطَّبِيعَةِ، فِي زَيْتُونَتِهِمِ ٱلْخَاصَّةِ؟فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا هَذَا ٱلسِّرَّ، لِئَلَّا تَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ حُكَمَاءَ: أَنَّ ٱلْقَسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزْئِيًّا لِإِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِلْءُ ٱلْأُمَمِ، وَهَكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «سَيَخْرُجُ مِنْ صِهْيَوْنَ ٱلْمُنْقِذُ وَيَرُدُّ ٱلْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ." (الآيات ١ \\ ٢٤-٢٦).
في نهاية الضيقه العظيمة، سترى البقية الضئيلة من اليهود الذين نجوا من زمن ضيقة يعقوب الرب الذي طعنوه. سيحزنون عليه، ويتوبون، ويؤمنون بفاديهم. كانت اهتداء بولس على طريق دمشق بمثابة تمهيد لهذا اليوم العظيم. هؤلاء الذين صمدوا حتى النهاية دون أن يموتوا أو يقبلوا علامة الوحش سيرون المسيح عند عودته، وسيضعون ثقتهم فيه، وسيكونون شركاء في المملكة الأرضية التي سيقيمها.
في إشعياء (١١: ١١) "وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ أَنَّ ٱلسَّيِّدَ يُعِيدُ يَدَهُ ثَانِيَةً لِيَقْتَنِيَ بَقِيَّةَ شَعْبِهِ، ٱلَّتِي بَقِيَتْ، مِنْ أَشُّورَ، وَمِنْ مِصْرَ، وَمِنْ فَتْرُوسَ، وَمِنْ كُوشَ، وَمِنْ عِيلَامَ، وَمِنْ شِنْعَارَ، وَمِنْ حَمَاةَ، وَمِنْ جَزَائِرِ ٱلْبَحْرِ".
سينجو جميع بني إسرائيل الباقين. عندما يقول الرب "ثَانِيَةً"، فإنه يشير إلى عملٍ وكيفية حدوثه. عندما أنقذ بني إسرائيل في المرة الأولى، كان ذلك من مصر وسلطان فرعون. لم يُنقذهم جميعًا، فقد قُتل العديد من الأطفال بأمرٍ إلهي، ومات كثيرون خلال سنوات عبوديتهم. حتى يوسف مات وحُمل رفاته في الخروج. ومع ذلك، فإن كل من عاش حتى نهاية تلك الفترة من العبودية وآمن بالله، كما يتضح من استخدامهم دم الحمل، قد نُجّي.
وبالمثل، فإن بني إسرائيل الأحياء الذين يبقون بعد انتهاء الضيقة سيؤمنون بالحمل وينجون. ولن تكون نتيجة ذلك الصعود إلى السماء، بل شرف البقاء على قيد الحياة على الأرض للتمتع بملكوت المسيح.
"لِأَنَّ ٱلرَّبَّ سَيَرْحَمُ يَعْقُوبَ وَيَخْتَارُ أَيْضًا إِسْرَائِيلَ، وَيُرِيحُهُمْ فِي أَرْضِهِمْ، فَتَقْتَرِنُ بِهِمِ ٱلْغُرَبَاءُ وَيَنْضَمُّونَ إِلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ." (إشعياء ١٤: ١). سيُسكنون في أرض الميعاد، ولن يسكنها قوم. وسيكون الغرباء في وئام معهم لأن كل حرب وخصام سينتهيان. سيلتصقون ببيت يعقوب، لأن العداوات ستزول. لكن الأرض ملك لليهود وحدهم.
يقول إرميا (١٦: ١٤-١٥) "«لِذَلِكَ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ ٱلرَّبُّ، وَلَا يُقَالُ بَعْدُ: حَيٌّ هُوَ ٱلرَّبُّ ٱلَّذِي أَصْعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، بَلْ: حَيٌّ هُوَ ٱلرَّبُّ ٱلَّذِي أَصْعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ ٱلشِّمَالِ وَمِنْ جَمِيعِ ٱلْأَرَاضِي ٱلَّتِي طَرَدَهُمْ إِلَيْهَا. فَأُرْجِعُهُمْ إِلَى أَرْضِهِمِ ٱلَّتِي أَعْطَيْتُ آبَاءَهُمْ إِيَّاهَا".
سيأتي يومٌ لا يكون فيه خروج بني إسرائيل من مصر هو المرجع الأساسي لذريتهم، بل انضمامهم إلى الملكوت. هذا أمرٌ عظيم، لكنه ليس الرجاء الذي يُمنح للمسيحي. "يقول الرب: "«هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ ٱلرَّبُّ، وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرٍّ، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ، وَيُجْرِي حَقًّا وَعَدْلًا فِي ٱلْأَرْضِ. فِي أَيَّامِهِ يُخَلَّصُ يَهُوذَا، وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلُ آمِنًا، وَهَذَا هُوَ ٱسْمُهُ ٱلَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: ٱلرَّبُّ بِرُّنَا." (إرميا ٢٣: ٥-٦).
إن وعد العبرانيين ورجاءهم هو ملكهم الذي سيحكمهم في أرضهم ويقهر جميع أعدائهم. وسيتحقق هذا الرجاء عندما يعتلي الملك يسوع العرش. "ها أنا ذا أجمعهم من جميع البلدان التي طردتهم إليها بغضبي وسخطي وغضبي الشديد، وأردهم إلى هذا المكان، وأجعلهم يسكنون بأمان، ويكونون شعبي، وأكون إلههم" (إرميا ٣٢: ٣٧-٣٨).

يقول سفر صفنيا (٣: ١٤-١٥) "تَرَنَّمِي يَا ٱبْنَةَ صِهْيَوْنَ! ٱهْتِفْ يَا إِسْرَائِيلُ! ٱفْرَحِي وَٱبْتَهِجِي بِكُلِّ قَلْبِكِ يَا ٱبْنَةَ أُورُشَلِيمَ! قَدْ نَزَعَ ٱلرَّبُّ ٱلْأَقْضِيَةَ عَلَيْكِ، أَزَالَ عَدُوَّكِ. مَلِكُ إِسْرَائِيلَ ٱلرَّبُّ فِي وَسَطِكِ. لَا تَنْظُرِينَ بَعْدُ شَرًّا." إذن، رجاء اليهود على الأرض، ووعودهم مادية. أما رجاء الكنيسة فهو في السماء، ووعودنا روحية. فهما ليسا متماثلين، ولا يمكن جعلهما كذلك.

يتوافق ما جاء في أعمال الرسل (١٥: ١٤-١٧) مع ما ورد في رسالة رومية ١١ "سِمْعَانُ قَدْ أَخْبَرَ كَيْفَ ٱفْتَقَدَ ٱللهُ أَوَّلًا ٱلْأُمَمَ لِيَأْخُذَ مِنْهُمْ شَعْبًا عَلَى ٱسْمِهِ." كان الأمم يخلصون ويشكلون الجسد الذي يُسمى الكنيسة. وقد خلص بعض اليهود، لا سيما في الأيام الأولى، ولكن مع مرور الوقت، أصبحت الكنيسة تتألف في المقام الأول من الأمم المخلصين.

"وَهَذَا تُوافِقُهُ أَقْوَالُ ٱلْأَنْبِيَاءِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: سَأَرْجِعُ بَعْدَ هَذَا وَأَبْنِي أَيْضًا خَيْمَةَ دَاوُدَ ٱلسَّاقِطَةَ، وَأَبْنِي أَيْضًا رَدْمَهَا وَأُقِيمُهَا ثَانِيَةً" وعندما تُبنى الكنيسة، يعود الله ليتعامل بشكل أساسي مع اليهود.

"لِكَيْ يَطْلُبَ ٱلْبَاقُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ ٱلرَّبَّ، وَجَمِيعُ ٱلْأُمَمِ ٱلَّذِينَ دُعِيَ ٱسْمِي عَلَيْهِمْ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ ٱلصَّانِعُ هَذَا كُلَّهُ." في عهد العهد القديم، كان لليهود سبيل إلى الله. أما الأمم، فكان سبيلها إلى الله من خلال اليهود فقط. في عهد العهد الجديد، لليهودي والأممي سبيل متساوٍ إلى الله من خلال المسيح. في الملك الألفي، نعود إلى ما كنا عليه قبل أن يكون لليهودي سبيل إلى الله، وللأممي سبيل إلى الله من خلال اليهودي فقط.

تتلخص المسألة في عبرانيين (١١: ٣٩-٤٠). "فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ، مَشْهُودًا لَهُمْ بِٱلْإِيمَانِ، لَمْ يَنَالُوا ٱلْمَوْعِدَ، إِذْ سَبَقَ ٱللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئًا أَفْضَلَ، لِكَيْ لَا يُكْمَلُوا بِدُونِنَا".

لا يمكن أن تكون المجموعتان متماثلتين عندما يكون ما وفّره الله لإحداهما أفضل مما وفّره للأخرى.

إذا لم يغفل المرء أبدًا عن الفروقات الواردة في الكتاب المقدس بين اليهودي والأممي وكنيسة الله، فسيتم تجنب جميع الأخطاء تقريبًا في العقيدة والممارسة.

الفصل الثالث :إعادة النظر في التدابير.

مقدمة

إحدى أكثر الطرق شيوعًا لتقسيم كلمة الله بشكل صحيح هي طريقة التفسير بالتدابير الإلهية. وهذا مصطلح، مثل الاختطاف والثالوث، لا يرد في الكتاب المقدس، ولكنه يلخص تعليمًا أو عقيدة وردت في كلمة الله.
التدبير هو مكان تُوَّزع فيه الأشياء. وكما هو معتاد، تنشأ معظم الأخطاء والتطرفات في تعاليم التدبير الإلهي من سوء استخدام هذا المصطلح. يعتقد كثير من المعلمين والطلاب أن التدبير الإلهي هو فترة زمنية، مما يدفعهم إلى تدريس أن للتدبير الإلهي بداية ونهاية. تكمن مشكلة هذا التعريف الخاطئ في أنه يُؤدي إلى خلل في أنظمة التدبير الإلهي نفسها. سنتناول هذا الموضوع بمزيد من التفصيل لاحقًا.
يستخدم مصطلح "التدبير الإلهي" أيضًا من قِبل من يعتقدون أن كلمة الله مقسمة إلى أقسام، للدلالة على الطريقة العامة أو الأساسية التي يتعامل بها الرب مع البشر أو مجموعة منهم خلال فترة زمنية محددة. إلا أن هذا ليس معنى الكلمة، ولا يُستخدم بهذا المعنى في الكتاب المقدس. سنوضح تعريف الكلمة، ثم نتناول كل استخدام لها في الكتاب المقدس.
كلمة "تدبير" مشتقة من كلمة "دبر" وتعني "التوزيع؛ فعل إعطاء شيء ما لأشخاص أو أماكن مختلفة." فإذا احتاج المرء إلى مستلزمات، فعليه أن يذهب إلى مركز التوزيع. على سبيل المثال، يوزع الله ضوء الشمس.
ويعني ذلك أيضاً "معاملة الله لمخلوقاته؛ وتوزيع الخير والشر، الطبيعي والأخلاقي، في الحكم الإلهي." فالله يوزع المن في البرية، والماء من الصخر، والهبات الصالحة والكاملة، والحياة، والخلاص، وغير ذلك. والله يمنح النعمة والرحمة.
التعريف الثالث هو "ما يتم توزيعه أو منحه؛ نظام من المبادئ والطقوس المفروضة؛ مثل شريعة موسى؛ شريعة الإنجيل؛ بما في ذلك، الأولى شريعة اللاويين وطقوسهم؛ والثانية خطة الفداء بالمسيح".
الأمر الجدير بالذكر هو أن أياً من هذه التعريفات لا يرتبط بفترة زمنية محددة. لأسباب عديدة، عندما يفكر معظم دارسي الكتاب المقدس في التدبير الإلهي، فإنهم يفكرون في نقاط البداية والنهاية، أو في فترات زمنية محددة. التدبير الإلهي هو العطاء أو الإعطاء. اختار الله أن يُعطي الحق للبشر على مدى أربعمائة قرن. عندما كان يُعطى حق جديد، كان يُدبّر. يمنح الله أيضاً البشر المواهب والقدرات والبركات والفرص والمسؤوليات. هذه أمور من تدبير الله، وبالنظر إلى استخدام الكلمة في الكتاب المقدس، نجدها أقرب إلى هذا التصنيف من أي تصنيف آخر.
يرجى قراءة ما يلي بعناية فائقة.
يقول الكتاب المقدس في أفسس (٣: ١-١٠) "بِسَبَبِ هَذَا أَنَا بُولُسُ، أَسِيرُ ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَجْلِكُمْ أَيُّهَا ٱلْأُمَمُ، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ ٱللهِ ٱلْمُعْطَاةِ لِي لِأَجْلِكُمْ." لا يُشير هذا إلى عقيدة أو حقيقة أُعطيت لبولس ليعلّمها للأمم (كما يدّعي كثير من أصحاب مذهب التدبير الإلهي عن غير قصد)، بل يُشير إلى أن الله قد أوكل لبولس مهمة التبشير للأمم.
"أَنَّهُ بِإِعْلَانٍ عَرَّفَنِي بِٱلسِّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِٱلْإِيجَازِ. ٱلَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ، تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ ٱلْمَسِيحِ. ٱلَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو ٱلْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ ٱلْآنَ لِرُسُلِهِ ٱلْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِٱلرُّوحِ: أَنَّ ٱلْأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي ٱلْمِيرَاثِ وَٱلْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي ٱلْمَسِيحِ بِٱلْإِنْجِيلِ." هذه هي الحقيقة التي أوحى الله بها إليه ليُعلنها للناس.
"ٱلَّذِي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهُ حَسَبَ مَوْهِبَةِ نِعْمَةِ ٱللهِ ٱلْمُعْطَاةِ لِي حَسَبَ فِعْلِ قُوَّتِهِ." لا تشير إلى تعليم تدبيري؟ إنما ما أُعطي بالنعمة هو الموهبة التي مكّنته من تعليم الحق للأمم.
"لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ ٱلْقِدِّيسِينَ، أُعْطِيَتْ هَذِهِ ٱلنِّعْمَةُ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ ٱلْأُمَمِ..." الأمر واضح تمامًا في السياق. لقد منح الله بولس نعمة التبشير بين الأمم. هذه هي الفترة المشار إليها في النص. ...بِغِنَى ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِي لَا يُسْتَقْصَى. هذا ما بشّر به في تلك الفترة.
"وَأُنِيرَ ٱلْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ ٱلسِّرِّ ٱلْمَكْتُومِ مُنْذُ ٱلدُّهُورِ فِي ٱللهِ خَالِقِ ٱلْجَمِيعِ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ. لِكَيْ يُعَرَّفَ ٱلْآنَ عِنْدَ ٱلرُّؤَسَاءِ وَٱلسَّلَاطِينِ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ ٱلْكَنِيسَةِ، بِحِكْمَةِ ٱللهِ ٱلْمُتَنَوِّعَةِ." في هذا المقطع، نرى أن التدبير الإلهي ليس فترة زمنية، وليس عقيدة جديدة؛ بل هو تمكين من الله يُمنح للإنسان ليُعلن الحق للآخرين.

ننتقل الآن إلى رسالة كورنثوس الأولى (٩: ١٦-١٨) "لِأَنَّهُ إِنْ كُنْتُ أُبَشِّرُ فَلَيْسَ لِي فَخْرٌ، إِذِ ٱلضَّرُورَةُ مَوْضُوعَةٌ عَلَيَّ، فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لَا أُبَشِّرُ. فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتُ أَفْعَلُ هَذَا طَوْعًا فَلِي أَجْرٌ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَ كَرْهًا فَقَدِ ٱسْتُؤْمِنْتُ عَلَى وَكَالَةٍ. فَمَا هُوَ أَجْرِي؟ إِذْ وَأَنَا أُبَشِّرُ أَجْعَلُ إِنْجِيلَ ٱلْمَسِيحِ بِلَا نَفَقَةٍ، حَتَّى لَمْ أَسْتَعْمِلْ سُلْطَانِي فِي ٱلْإِنْجِيلِ".
من الواضح أنه لا يوجد هنا أي إشارة إلى فترة زمنية أو إلى حقائق كانت مجهولة سابقًا. موضوع هذه الآيات هو التبشير بالإنجيل، وليس الإنجيل نفسه. أنا أبشر بالإنجيل... وإن لم أبشر به... افعل هذا... أنا أبشر بالإنجيل... قد أجعل الإنجيل مجانيًا.
عندما نقرأ النص دون تحيز، نرى أن التدبير الإلهي ليس هو الإنجيل نفسه. ليس هو العقيدة التي بشر بها، بل هو مسؤولية إعلان البشارة.
يُحرّف كثير من إخوتنا هذه الكلمات ليُشيروا إلى أن بولس قد أُسندت إليه بشارة جديدة أو تحريف جديد للإنجيل القديم لم يُعلن عنه من قبل. لا يُمكن تأييد هذا التصور من النص المذكور. ما يُبيّنه النص هو سلطته في البشارة، وتكليف الله له بمسؤولية إيصال الحق للآخرين.
المرة الثالثة التي وردت فيها كلمة "تدبير" في الكتاب المقدس هي في كولوسي (١: ٢٣-٢٨) "إِنْ ثَبَتُّمْ عَلَى ٱلْإِيمَانِ

مُتَأَسِّينَ وَرَاسِخِينَ وَغَيْرَ مُنْتَقِلِينَ عَنْ رَجَاءِ ٱلْإِنْجِيلِ، ٱلَّذِي سَمِعْتُمُوهُ، ٱلْمَكْرُوزِ بِهِ فِي كُلِّ ٱلْخَلِيقَةِ ٱلَّتِي تَحْتَ ٱلسَّمَاءِ، ٱلَّذِي صِرْتُ أَنَا بُولُسَ خَادِمًا لَهُ." يرجى قراءة هذا بعناية فائقة. هناك إنجيل. لقد سمعه أهل كولوسي. بحسب الروح القدس، كل من تحت السماء كان قد سمعه. لقد بُشِّر بالأنجيل قبل اهتداء بولس. وقد عُيِّن بولس خادماً لتلك البشارة.

"ٱلَّذِي ٱلْآنَ أَفْرَحُ فِي آلَامِي لِأَجْلِكُمْ، وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ ٱلْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لِأَجْلِ جَسَدِهِ، ٱلَّذِي هُوَ ٱلْكَنِيسَةُ، ٱلَّتِي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهَا " هناك كنيسة. اضطهد بولس تلك الكنيسة (غلاطية ١: ١٣). إنها جسد المسيح. كان بعضهم في المسيح قبل بولس (رومية ١٦: ٧).

"حَسَبَ تَدْبِيرِ ٱللهِ ٱلْمُعْطَى لِي لِأَجْلِكُمْ" لذا، ما قدّمه الله لبولس لم يكن إنجيلًا جديدًا، ولا كنيسة جديدة، ولا جماعة جديدة. ما منحه الله لبولس هو شرف وواجب إعلان الحق.

"لِتَتْمِيمِ كَلِمَةِ ٱللهِ. ٱلسِّرّ ٱلْمَكْتُومِ مُنْذُ ٱلدُّهُورِ وَمُنْذُ ٱلْأَجْيَالِ، لَكِنَّهُ ٱلْآنَ قَدْ أُظْهِرَ لِقِدِّيسِيهِ، ٱلَّذِينَ أَرَادَ ٱللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هَذَا ٱلسِّرِّ فِي ٱلْأُمَمِ، ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ ٱلْمَجْدِ. ٱلَّذِي نُنَادِي بِهِ مُنْذِرِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلًا فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ".

تأمل في مقطع آخر حيث وردت كلمة "تدبير". "إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ ٱلَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، لِتَدْبِيرِ مِلْءِ ٱلْأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي ٱلْمَسِيحِ، مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى ٱلْأَرْضِ، فِي ذَاكَ. ٱلَّذِي فِيهِ أَيْضًا نِلْنَا نَصِيبًا، مُعَيَّنِينَ سَابِقًا حَسَبَ قَصْدِ ٱلَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ، لِنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ، نَحْنُ ٱلَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي ٱلْمَسِيحِ." (أفسس ١: ٩-١٢).

هنا نرى الكلمة مستخدمة كما فهمها لاركين وسكوفيلد وغيرهما. هذا هو تتويج كل ما فعله الله من أجل البشرية وعلمها إياها. لقد تضافرت كل الأزمنة التي كانت في يد الله لتشكل حقيقة عظيمة واحدة وكشفًا جليلًا واحدًا -يسوع المسيح. لاحظ أن الأزمنة ليست هي ما تم توزيعه، ولكن الصياغة تشير إلى أن كل ما أنزله الله في جميع الأزمنة المقدرة قد عمل معًا للخير لمجد ابنه.

لذا، سندرس التقسيمات المثبتة في كلمة الله، والتي لا تُعدّ من قبيل التدابير الإلهية. ثم سندرس التحولات الرئيسية في تعامل الله مع البشر، والتي تُطرح عادةً على أنها حقائق تدبيرية.

يعود سبب قصور معظم أنظمة التعليم التدبيري إلى عاملين: أولهما عدم تعريف كلمة "تدبير" تعريفًا دقيقًا (كما ذكرنا سابقًا)، وثانيهما سوء فهم الآية ١٥من الإصحاح الثاني من رسالة تيموثاوس، التي تقول: "ٱجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلهِ مُزَكًّى، عَامِلًا لَا يُخْزَى، مُفَصِّلًا كَلِمَةَ ٱلْحَقِّ بِٱلِٱسْتِقَامَةِ." تُشير هذه الآية إلى ضرورة تقسيم الكلمة. ومن هنا، ظنّ معلمو العصور السابقة أن التدبير هو تقسيم، وأن التقسيم هو تدبير. وقد أدّى هذا الفهم الخاطئ إلى الحاجة إلى التوضيحات التي سنتناولها.

دبر الله النور (تكوين ١: ٣) ثم فصل النور عن الظلمة (تكوين ١: ٤). هذان الفعلان ليسا متطابقين. فصل الله إبراهيم عن الأمم، وسيفصل الغنم عن الجداء، والزوان عن القمح، لكن هذه ليست أعمال تدبير. دبر الله الشريعة، وأعطى إسرائيل أرضًا، وأعطى الكنيسة الروح القدس الساكن فيها، لكن هذه ليست تقسيمات.

تُخطئ المخططات والنماذج الكلاسيكية للتدبير الإلهي لأنها تخلط بين هذين المصطلحين ومعانيهما. ونتيجةً لذلك، تُظهر تاريخ بدء وتاريخ انتهاء لتدبيراتها، مما يجعلها تقسيمات لا تدبيرات. وينتج عن ذلك خطأ افتراض أن الحق الذي دبره الله يفقد صلاحيته بمجرد أن يُنزل الله حقيقة أخرى.

عندما يختار الله وسيلة للتفاعل مع البشر ويُعرّفهم بها، فإن ذلك العصر له طابع محدد. نقطة البداية. ومع ذلك، لا توجد نقطة نهاية لما دبره الله.

دعونا نتجاوز السرد ونأخذ مثالًا أو مثالين. تُظهر النماذج الكلاسيكية للتوزيع الإلهي، التي وضعها لاركين وسكوفيلد، أن الله أنزل الشريعة على جبل سيناء. يُرسم خط زمني يُشير إلى بداية عصر الشريعة. ثم ننتقل زمنيًا إلى موت يسوع المسيح ودفنه وقيامته. عند ميلاد المسيح، أو موته، أو ميلاد الكنيسة (بحسب المخطط المُستخدم)، يُشير النموذج إلى بداية عصر الكنيسة أو عصر النعمة. هذا واضح حتى الآن.

لكن يُقال لنا إن فترة تطبيق الشريعة تنتهي عند هذه النقطة. يبدو هذا منطقياً للوهلة الأولى، إلى أن نتأمله قليلًا:

١.يحكم الناموس حياة اليهودي في أرض الميعاد، ومستقبلهم هو العيش في تلك الأرض تحت الناموس أو الشريعة.

٢.في عصر الملكوت، يتم تعليم الشريعة من القدس إلى جميع الأمم.

٣.في هذا الزمان، تعمل الشريعة كمعلم لجذب الناس إلى المسيح.

هذه الأمثلة القليلة كافية لإظهار أنه بمجرد أن يدبر الله الشريعة، فإنها تصبح سارية المفعول من ذلك الوقت فصاعدًا.

كذلك، فإن للحكومات البشرية بداية، ولا نهاية لها. يخضع البشر للحكومات البشرية بعد نزول الشريعة. أما عن يسوع المسيح، فقد قيل "وَتَكُونُ ٱلرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ" (إشعياء ٩: ٦).

للكنيسة بداية، ولا نهاية لها. وللملكوت بداية أيضاً، وهو ملكوت أبدي.

لذا، ننتقد بلطف الوسائل التي تم من خلالها تعليم التدبير، لأن الكتاب المقدس لا يُعلّم بنهاية أو سحب ما دبره الله. توجد تقسيمات في الكتاب المقدس، لكن التدابير ليست تقسيمات.

يشير المثال الثاني إلى دراستنا للناموس. فعندما يرسم الدارسون الارزون خطًا زمنيًا ويقولون: "من هنا إلى هنا، تعامل الله مع البشر بالشريعة"، أو "من هنا إلى هنا، كان الناس تحت الشريعة"، نهز رؤوسنا في دهشة. لم يُعطَ الشريعة إلا لليهودي. لم يكن أحدٌ تحت الشريعة إلا لليهودي. لم يُعامل الله أحدًا غير اليهودي وفقًا لأحكام الشريعة. إذن، لا توجد فترة زمنية تعامل فيها الله مع البشر من خلال الشريعة. هذا رأيٌ متسرع، وإن كان شائعًا. لقد تعامل مع شريحة صغيرة من البشرية بالشريعة. أما البقية، فاستمر التعامل

معهم وفقًا لما سبق. لقد عاش اليهودي والأممي في ظلّ أنظمة متعددة في الوقت نفسه. هذا لأنّ في الكلمة انقسامات، لكن التدابير ليست انقسامات.

من المقبول القول إنّ التركيز الأساسي للكتاب المقدس، من سفر الخروج ١٩ إلى إنجيل متى ٢٦ ينصبّ على اليهود الخاضعين للشريعة وعلاقتهم بالله وبالأمم. لكن هذا يختلف تمامًا عن طرح فكرة أنّ الله والإنسان كانا على علاقة قائمة على الشريعة طوال الألف وخمسمائة عام التي سبقت مجيء المسيح الأول.

وبعد أن بدأنا بما لا تمثله التدابير، دعونا ننتقل إلى الأمام وندرس التقسيمات والتدابير الصحيحة في كلمة الحق.

التقسيم الصحيح كلمة الحق قسمان:

١ .البشرية قبل تجسد الله.
٢ .البشرية بعد تجسد الله.

تكمن مشكلة أي نظام تدبيري في اعتماده الكبير على التخمين وقلة الأدلة الملموسة. والطريقة الأولى لتقسيم كلمة الله إلى تدابير هي الأكثر أمانًا، إذ يمكن إثباتها دون أدنى شك، وستصمد أمام أي نوع من الفحص.
يمكن تقسيم الكتاب المقدس بشكل صحيح إلى قسمين: العهد القديم والعهد الجديد. يتناول العهد القديم في المقام الأول اليهود، بينما يتناول العهد الجديد في المقام الأول الكنيسة. وقد دبر الله العهد القديم، دبر العهد الجديد.
مع ذلك، يجب أن ندرك أنه على الرغم من اختلاف هذين العهدين بوضوح، فإنهما لا يمثلان مجمل الكتب والفصول التي يندرجان ضمن نطاقهما. فالفصول الاثنا عشر الأولى من سفر التكوين تغطي ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ عام من تاريخ البشرية، وهي تسبق نزول العهد القديم. ولم يتم نزول هذا العهد دفعة واحدة، بل يبدأ تطبيقه الكامل في سفر التكوين ١٥ ولكنه يتضمن شروطًا وتعديلات تمتد حتى سفر اللاويين. لذا، إذا افترضنا أن العهد القديم يبدأ من سفر التكوين (١:١) فلن يكون ذلك صحيحًا.
وبالمثل، فإن ميلاد يسوع، وموته على الصليب، وقيامته من بين الأموات، وتأسيس الكنيسة وإتمامها، لا تُشكل نهاية العهد القديم. فالعهد الذي قطعه الله مع إبراهيم لا يُستبدل ولا يُلغى. لذا، فإن اعتبار ملاخي (٤: ٦) نهايةً للعهد القديم ليس صحيحًا.
ولا تُشير صفحة العنوان قبل متى ١ أو ميلاد المسيح إلى بدء العهد الجديد. في الواقع، كل ما سبق الجلجثة يسبق تأسيس العهد الجديد. لدينا "٢٦" فصلًا من إنجيل متى و"١٣" فصلًا من إنجيل مرقس، و"٢١" فصلًا من إنجيل لوقا، و"١٩" فصلًا من إنجيل يوحنا، وهي تُشكّل الانتقال من العهد القديم إلى العهد الجديد.
من السهل القول، عند تقسيم كلمة الحق تقسيماً صحيحاً، إن هناك فصلًا بين العهد القديم والعهد الجديد، لكن لا يمكن رسم خط فاصل بين الكتابين التاسع والثلاثين والأربعين من الكتاب المقدس. يجب توخي الحذر أكثر من ذلك.
تغيرت طريقة تعامل الله الأساسية مع البشرية جذريًا عندما تجسد. جاء الله الخفي، البعيد، غير المرئي، الذي يكاد يكون من المستحيل الوصول إليه، وسكن بين الناس. هذا هو جوهر الأمر. ليس التقسيم المثير للاهتمام بين الشريعة والرحمة، أو بين الحكومة والمملكة. تخيلوا: لقد جاء الله إلى الأرض في صورة إنسان! هذا هو التغيير الذي لا يوصف في التاريخ.
منذ آدم وحتى تلك الليلة في بيت لحم، كان الله يسكن في نور لا يُدنى منه، لم يره أحد ولن يراه (١ تيموثاوس ٦: ١٦). ولكن بعد أن أنجبت مريم الرب يسوع، يمكن القول عن كلمة الحياة "اَلَّذِي كَانَ مِنَ ٱلْبَدْءِ، ٱلَّذِي سَمِعْنَاهُ، ٱلَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، ٱلَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ ٱلْحَيَاةِ. فَإِنَّ ٱلْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِٱلْحَيَاةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ ٱلَّتِي كَانَتْ عِنْدَ ٱلْآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا." (١ يوحنا ١:١-٢).
الحياة مُجَّسدة! الحياة الأبدية التي لمستها أيدي البشر! الكلمة التي تجسدت لتسكن بيننا! هذا هو الخط الفاصل. هذا هو الفرق. يمكننا القول دون أدنى شك، في الجزء من الكتاب المقدس المعروف بالعهد القديم، دبر الله وحي ذاته بكلمات أُعطيت للبشر. وفي الجزء من الكتاب المقدس المعروف بالعهد الجديد، دبر الله وحي ذاته بالنزول إلى الأرض والسكن بين البشر، الذين دوّنوا ما رأوه منه وما سمعوه منه.
خلاصة الأمر هي: إن الطريقة الأكثر يقيناً لتقسيم الكلمة بشكل صحيح ليست بين العهد القديم والعهد الجديد، ولكن بين السنوات التي سبقت ظهور الله في الجسد والسنوات التي تلت تجسده.

التقسيم الصحيح لكلمة الحق ثلاثة أقسام:

١.مُستعبد روحياً وجسدياً للشيطان، الموت.
٢.مُتحرر روحياً فقط من الشيطان، الموت.
٣.مُتحرر روحياً وجسدياً من الشيطان، الموت.

نهاية العالم: الصليب.
نهاية العالم: المجيء الثاني.

الطريقة التالية لتقسيم الكتاب المقدس بشكل صحيح بسيطة أيضاً ولا تثير جدلًا يُذكر. في هذا النهج، ندرس الكتاب المقدس في ثلاثة أقسام، بناءً على الأحداث التي يسميها الروح القدس نهاية العالم في متى (١٣: ٢٤-٣٩) وعبرانيين (٩: ٢٤-٢٦).
نعلم أن العالم ليس الأرض نفسها، بل هو نظام السلطة القائم على الأرض (صموئيل الأول ٢: ٨).
هناك حدثان أنهيا نظاماً عالمياً وأفضيا إلى نظام عالمي جديد.
يقول المقطع في رسالة العبرانيين: "لِأَنَّ ٱلْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ ٱلْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ ٱلْآنَ أَمَامَ وَجْهِ ٱللهِ لِأَجْلِنَا. وَلَا لِيُقَدِّمَ نَفْسَهُ مِرَارًا كَثِيرَةً، كَمَا يَدْخُلُ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ كُلَّ سَنَةٍ بِدَمٍ آخَرَ. فَإِذْ ذَاكَ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّمَ مِرَارًا كَثِيرَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ ٱلْعَالَمِ، وَلَكِنَّهُ ٱلْآنَ قَدْ أُظْهِرَ مَرَّةً عِنْدَ ٱنْقِضَاءِ ٱلدُّهُورِ لِيُبْطِلَ ٱلْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ".
كان هناك عالم، نظام، لم يتغير منذ سقوط الإنسان على الصليب في الجلجثة. في ذلك العالم، كان للشيطان سلطان الموت (عبرانيين ٢: ٩-١٠). في ذلك العالم، كانت للرئاسات والسلطات سطوتها (أفسس ٤ \\ كولوسي ١).في ذلك العالم، عاش الناس في خوف من الموت (كورنثوس الأولى ١٥: ٥٥-٥٧). في ذلك العالم، لم يكن هناك أقوى من الشيطان قادر على تحرير المستعبدين بالخوف (عبرانيين ٢: ١٤-١٥). انتهى كل ذلك عندما قدم يسوع المسيح نفسه ذبيحةً لم تكفّر عن الخطايا فحسب، ولم تفد الإنسان الساقط فحسب، بل أنقذته من سلطان الظلمة. انكسرت السيادة الروحية التي كانت للشيطان على نفوس البشر بسبب سقوط آدم عندما مات يسوع على الصليب ليكفّر عن الخطيئة وقام من بين الأموات منتصرًا على الموت.
هذا الحدث العظيم يُشير إلى نهاية العالم.
والآن ننتقل لننظر بتأنٍ إلى متى (١٣: ٢٤-٤٠) "قَدَّمَ لَهُمْ مَثَلًا آخَرَ قَائِلًا: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا زَرَعَ زَرْعًا جَيِّدًا فِي حَقْلِهِ. وَفِيمَا ٱلنَّاسُ نِيَامٌ جَاءَ عَدُوُّهُ وَزَرَعَ زَوَانًا فِي وَسْطِ ٱلْحِنْطَةِ وَمَضَى. فَلَمَّا طَلَعَ ٱلنَّبَاتُ وَصَنَعَ ثَمَرًا، حِينَئِذٍ ظَهَرَ ٱلزَّوَانُ أَيْضًا. فَجَاءَ عَبِيدُ رَبِّ ٱلْبَيْتِ وَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، أَلَيْسَ زَرْعًا جَيِّدًا زَرَعْتَ فِي حَقْلِكَ؟ فَمِنْ أَيْنَ لَهُ زَوَانٌ؟ فَقَالَ لَهُمْ: إِنْسَانٌ عَدُوٌّ فَعَلَ هَذَا. فَقَالَ لَهُ ٱلْعَبِيدُ: أَتُرِيدُ أَنْ نَذْهَبَ وَنَجْمَعَهُ؟ فَقَالَ: لَا! لِئَلَّا تَقْلَعُوا ٱلْحِنْطَةَ مَعَ ٱلزَّوَانِ وَأَنْتُمْ تَجْمَعُونَهُ. دَعُوهُمَا يَنْمِيَانِ كِلَاهُمَا مَعًا إِلَى ٱلْحَصَادِ، وَفِي وَقْتِ ٱلْحَصَادِ أَقُولُ لِلْحَصَّادِينَ: ٱجْمَعُوا أَوَّلًا ٱلزَّوَانَ وَٱحْزِمُوهُ حُزَمًا لِيُحْرَقَ، وَأَمَّا ٱلْحِنْطَةُ فَٱجْمَعُوهَا إِلَى مَخْزَنِي». قَدَّمَ لَهُمْ مَثَلًا آخَرَ قَائِلًا: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ ٱلْبُزُورِ. وَلَكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ ٱلْبُقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ ٱلسَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي أَغْصَانِهَا».قَالَ لَهُمْ مَثَلًا آخَرَ: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا ٱمْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلَاثَةِ أَكْيَالِ دَقِيقٍ حَتَّى ٱخْتَمَرَ ٱلْجَمِيعُ». هَذَا كُلُّهُ كَلَّمَ بِهِ يَسُوعُ ٱلْجُمُوعَ بِأَمْثَالٍ، وَبِدُونِ مَثَلٍ لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِٱلنَّبِيِّ ٱلْقَائِلِ: «سَأَفْتَحُ بِأَمْثَالٍ فَمِي، وَأَنْطِقُ بِمَكْتُومَاتٍ مُنْذُ تَأْسِيسِ ٱلْعَالَمِ».حِينَئِذٍ صَرَفَ يَسُوعُ ٱلْجُمُوعَ وَجَاءَ إِلَى ٱلْبَيْتِ. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ: «فَسِّرْ لَنَا مَثَلَ زَوَانِ ٱلْحَقْلِ». فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «اَلزَّارِعُ ٱلزَّرْعَ ٱلْجَيِّدَ هُوَ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ. وَٱلْحَقْلُ هُوَ ٱلْعَالَمُ. وَٱلزَّرْعُ ٱلْجَيِّدُ هُوَ بَنُو ٱلْمَلَكُوتِ. وَٱلزَّوَانُ هُوَ بَنُو ٱلشِّرِّيرِ. وَٱلْعَدُوُّ ٱلَّذِي زَرَعَهُ هُوَ إِبْلِيسُ. وَٱلْحَصَادُ هُوَ ٱنْقِضَاءُ ٱلْعَالَمِ. وَٱلْحَصَّادُونَ هُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ. فَكَمَا يُجْمَعُ ٱلزَّوَانُ وَيُحْرَقُ بِٱلنَّارِ، هَكَذَا يَكُونُ فِي ٱنْقِضَاءِ هَذَا ٱلْعَالَمِ":
هناك حدث ذكره الرب يسوع ليُشير بوضوح إلى نهاية العالم.
وفي موضع آخر من الفصل، بدءًا من الآية ٤٧ نقرأ: "أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ شَبَكَةً مَطْرُوحَةً فِي ٱلْبَحْرِ، وَجَامِعَةً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. فَلَمَّا ٱمْتَلَأَتْ أَصْعَدُوهَا عَلَى ٱلشَّاطِئِ، وَجَلَسُوا وَجَمَعُوا ٱلْجِيَادَ إِلَى أَوْعِيَةٍ، وَأَمَّا ٱلْأَرْدِيَاءُ فَطَرَحُوهَا خَارِجًا. هَكَذَا يَكُونُ فِي ٱنْقِضَاءِ ٱلْعَالَمِ. يَخْرُجُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَيُفْرِزُونَ ٱلْأَشْرَارَ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَبْرَارِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ ٱلنَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ ٱلْبُكَاءُ وَصَرِيرُ ٱلْأَسْنَانِ».قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَفَهِمْتُمْ هَذَا كُلَّهُ؟». فَقَالُوا: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ".«
انظروا إلى ما لدينا. يقول الرب مرتين إن العالم سينتهي. ويحدد مرتين وقت هذا الحدث. ولا تشير أي من الإشارتين إلى دمار الكوكب، بل إلى تغيير جذري في كيفية إدارة الحياة على الأرض.
في كلا نصي متى ١٣ تشير الإشارة بوضوح إلى مجيء الرب يسوع المسيح إلى هذه الأرض لإقامة ملكوته. ويوضح أنه بينما مكّن موته ودفنه وقيامته الأفراد من التحرر من عبودية الخطيئة والخوف من عقابها، فإن تضحيته العظيمة لم تُغير شيئًا من الأمور في هذا العالم. يستمر الزوان في النمو مع القمح، ويستمر السمك الفاسد في السباحة مع السمك الجيد.
تُخلَّص النفوس، وتتغير الحياة، وتُبنى الكنائس، ويُعلن الحق. ولكن بعد ألفي عام من نشر الإنجيل، يبقى العالم على حاله. وقد تنبأ المخلص بذلك.
لكن عندما يعود ويستولي على الملكوت (رؤيا ١١: ١٥) وعندما يُقيم سلطانه المطلق على الأرض (إشعياء ٩: ٦-٧) وعندما يسحق كل معارضة (دانيال ٢) سيحدث انقلابٌ كاملٌ في نظام الأشياء على هذا الكوكب. سيكون هذا الانقلاب شاملًا، وتغيير السلطة شاملًا، حتى أن الروح القدس يُطلق عليه بحقٍ نهاية العالم.

في سفر صموئيل الأول (٢: ٨) نقرأ: "يُقِيمُ ٱلْمِسْكِينَ مِنَ ٱلتُّرَابِ. يَرْفَعُ ٱلْفَقِيرَ مِنَ ٱلْمَزْبَلَةِ لِلْجُلُوسِ مَعَ ٱلشُّرَفَاءِ وَيُمَلِّكُهُمْ كُرْسِيَّ ٱلْمَجْدِ. لِأَنَّ لِلرَّبِّ أَعْمِدَةَ ٱلْأَرْضِ، وَقَدْ وَضَعَ عَلَيْهَا ٱلْمَسْكُونَةَ." الأرض هي ما خلقه الله. هي اليابسة. هي عجائب صنعه المادية. هي الشلالات، والطيور، والغابات، والجبال، والبحار، والحيوانات. لا عيب في الأرض. لم يقل الكتاب المقدس قط: "لا تُحبوا الأرض". مع ذلك، على الأرض، أقام أحدهم (الشيطان) في هذا العالم مستخدمًا شيئًا (الخطيئة) لهذا يقول الكتاب المقدس: "لَا تُحِبُّوا ٱلْعَالَمَ وَلَا ٱلْأَشْيَاءَ ٱلَّتِي فِي ٱلْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ ٱلْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ ٱلْآبِ. لِأَنَّ كُلَّ مَا فِي ٱلْعَالَمِ: شَهْوَةَ ٱلْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ ٱلْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ ٱلْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ ٱلْآبِ بَلْ مِنَ ٱلْعَالَمِ." (١ يوحنا ٢: ١٥-١٦). من الواضح أن العالم ليس جزءًا مما خلقه الله ووصفه بالحسن في سفر التكوين ١.إنه شيء وُضع على الأرض. يلخص الكتاب المقدس تأثيره السائد في شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة.

الإنسان الساقط محاصر في العالم حتى يأتي من يحرره. وكان ذلك المنقذ هو يسوع المسيح. وقد تحقق الخلاص على جبل الجلجلة. انتهى العالم عندما سحق يسوع المسيح رأس الحية، وأبطل سلطان الرئاسات والسلطات، وسلب الشيطان سلطان الموت.

ويتضح ذلك من حقيقة أننا حتى الجلجثة، نقرأ عن رجال مسكونين بالشياطين وعن تلك الشياطين التي كانت تلقي بالرجال في النار، وتتسبب في تمزيق الرجال وجرح أنفسهم، وما إلى ذلك.

بعد انتصار يسوع على الصليب، تغيرت المعركة برمتها. الآن نقرأ عن عملاء سريين يزرعون الزؤان، وعن خدام البر، وعن رسل كذبة، وعن ملائكة نور، وعن تعاليم شياطين.

من الواضح أن قوة الشيطان قد تحطمت على يد يسوع المسيح. لم يعد له سيطرة كاملة على البشرية. الآن، أينما يُبَشر بالإنجيل، عليه أن يعمل في صورة مسيحية زائفة ومُخادعة. لقد اضطر الشيطان إلى التظاهر بالتدين والعمل بالخفاء والخداع لأن قوته قد تحطمت.

لقد نشأ نظام عالمي جديد منذ عهد الجلجثة. نظام يحكم فيه الشيطان البشر بالخداع لا بالقوة. نظام يستطيع فيه أي إنسان النجاة من سلطان الشيطان بالإيمان البسيط بيسوع المسيح. سيستمر هذا النظام حتى المجيء الثاني ليسوع المسيح، وعندها سيُقيد الشيطان ويُطرد من الأرض، وينتهي النظام العالمي القائم منذ القيامة.

عندما يعود الرب، سيقيم على هذه الأرض نظاماً عالمياً سيكون خالياً تماماً من جميع تأثيرات العوالم السابقة.

يخشى كثير من المسيحيين النظام العالمي الجديد، ظانين أن مجموعة من الرجال النافذين ستغير النظام القائم وتُقيم مملكة الوحش. وبحسب الكتاب المقدس، بدأ النظام العالمي الجديد عام ٣٣ ميلاديًا، وسيستمر على حاله حتى يبلغ زمن الأمم ذروته بظهور الوحش وعودة الملك الثانية.

هذه الحقيقة مُبينة في رسالة بطرس الثانية (3: 4-7). "وَقَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟ لِأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَقَدَ ٱلْآبَاءُ كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ هَكَذَا مِنْ بَدْءِ ٱلْخَلِيقَةِ»." يُغير المشهد الاجتماعي، أو المادي، أو السياسي، أو الديني. ويزعمون أن كل شيء على حاله كما كان دائمًا. "لِأَنَّ هَذَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ: أَنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ ٱلْقَدِيمِ، وَٱلْأَرْضَ بِكَلِمَةِ ٱللهِ قَائِمَةٌ مِنَ ٱلْمَاءِ وَبِٱلْمَاءِ، ٱللَّوَاتِي بِهِنَّ ٱلْعَالَمُ ٱلْكَائِنُ حِينَئِذٍ فَاضَ عَلَيْهِ ٱلْمَاءُ فَهَلَكَ. وَأَمَّا ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ ٱلْكَائِنَةُ ٱلْآنَ، فَهِيَ مَخْزُونَةٌ بِتِلْكَ ٱلْكَلِمَةِ عَيْنِهَا، مَحْفُوظَةً لِلنَّارِ إِلَى يَوْمِ ٱلدِّينِ وَهَلَاكِ ٱلنَّاسِ ٱلْفُجَّارِ".

في هذا الطوفان، دُمر العالم، لكن السماوات والأرض بقيت. وهكذا نرى أن العالم لا يُشير إلى المادة التي خلقها الله، بل إلى النظام القائم على هذا البناء المادي. العالم هو المكون الروحي. في العصر الذي سبق طوفان السماوات والأرض، كان النظام مُعارضًا لإرادة الرب. وفي عصور البشر، من آدم إلى المسيح، ومن المسيح إلى المجيء الثاني، يسير النظام مُعارضًا لإرادة الرب. القول بأن شخصًا ما دنيوي لا يعني امتلاكه الكثير من الممتلكات المادية، بل يعني أن مصالحه تتبع مسار أو نمط ما هو مُقَّدر له الفناء. في العصر الذي يلي عودة ملك الملوك، سيسير النظام وفقًا لإرادة الرب.

إجمالًا، هناك أربعة عوالم مذكورة في الكتاب المقدس. هناك عالمٌ يسبق نسل آدم، وقد دُمِرَ بفيضان السماء والأرض. ونفترض أن هذا الدمار كان بسبب تمرد الشيطان، لكن لا يمكن الجزم بذلك. ثمّة عالمٌ تأسس بسقوط آدم. ومن أجل الخطايا التي ارتُكبت منذ ذلك الحين، قدّم يسوع كفارة. لهذا السبب يقول رومية إنّ الخطيئة دخلت العالم كلها بآدم (رومية ٥: ١٢) ومع ذلك، فمن الواضح أنّ خطيئة الشيطان تسبق سقوط آدم. خطيئةٌ تخصّ العصر الأول، وخطيئةٌ تخص العصر الأخير.

العالم الذي كان آنذاك (٢ بطرس ٣: ٦) ـــــ فاضت المياه.
أساس العالم (مراجع عديدة) ـــــ تأسس ذلك عندما سقط آدم.
نهاية العالم (عبرانيين ٩: ٢٧) ـــــ كما لو كان ذلك يمسّ ملكوت الله.
نهاية العالم (متى ١٣) ـــــ كما لو أنها تلمس ملكوت السماوات.
العالم بلا نهاية (أفسس ٣: ٢١ \\ إشعياء ٤٥: ١٧) ـــــ المسيح لا يتخلى أبداً عن السيادة.

تقسيم الصحيح لكلمة الحق سبعة أقسام:

١ .البراءة.
٢.الضمير.
٣.الحكومة البشرية.
٤.الوعد.
٥.الناموس.
٦.الكنيسة.
٧.المملكة.

يقسم النموذج التدبيري التالي كلمة الله إلى سبعة أو ثمانية أقسام. وتُحدد عناوين هذه الحقب عمومًا على النحو التالي: البراءة، والضمير، والحكم، والوعد، والشريعة أو الناموس، والكنيسة، والملكوت. ويستخدم البعض النعمة بدلًا من الكنيسة. أما من يضيف تدبيرًا ثامنًا فيُطلق عليه اسم الأبدية أو ما شابه. ويبدو أن هذا يستلزم تدبيرًا تاسعًا للأبدية الماضية، لكن ذلك سيخل بالنمط العددي الكتابي الجميل المكون من سبعة أو ثمانية، لذا يبدأ معظم معلمي التدبير الإلهي بآدم.
في هذا النموذج التدبيري نقسم التاريخ حسب تلك الأوقات التي أعطى فيها الله للإنسان وحيًا جديدًا وإضافيًا عن نفسه، مما سمح بعلاقة أكمل وأكثر متعة بين المخلوق والخالق.

---

١ .البراءة.

بدأ هذا العصر عندما نفخ الله في أنف آدم، فبدأت نفخة الحياة الجنس البشري. وقفت هذه الروح الحية، ثم المرأة التي خُلقت لتكون معينته، في جنة عدن في حالة من البراءة التامة. بينما نتأمل من خلال تعريف الكلمة، ستدرك سبب اختيارها لوصف الحالة الأولى للإنسان الأول.
الشخص البريء هو "خالٍ من الصفات التي يمكن أن تؤذي؛ غير مؤذٍ؛ خالٍ من الذنب، لم يرتكب خطأً أو ينتهك أي قانون؛ غير ملوث بالخطيئة؛ طاهر؛ مستقيم؛ خالٍ من ذنب جريمة معينة أو عمل شرير".
تخيّلوا كيف يصف هذا الوصف بدقة حالة ذلك الزوجين وهما يتجولان في جنة عدن. كم نحن على يقين بأنه لم يكن ليصف أي شخص آخر حتى مجيء ابن الله الطاهر.
في هذا العهد الأول، لم يُعطَ الإنسان من خالقه إلا وصية واحدة بسيطة. "وَأَخَذَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. وَأَوْصَى ٱلرَّبُّ ٱلْإِلَهُ آدَمَ قَائِلًا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ ٱلْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»." (تكوين ٢: ١٥-١٧).
كان واجب الزوجين الأولين الإيمان والطاعة، لكنهما لم يفعلا، ففقدا براءتهما على الفور. يقول سفر التكوين (٣: ٩-١٠) "فَنَادَى ٱلرَّبُّ ٱلْإِلَهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي ٱلْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لِأَنِّي عُرْيَانٌ فَٱخْتَبَأْتُ»." في العهد القديم، سقط الرجل والمرأة وابتعدا عن الله.
بينما لا أحد يعلم المدة التي انقضت منذ خلق الله آدم حتى سقوطه، أجد صعوبة في وصف هذه الفترة بعصر أو حقبة. يعتقد كثيرون أن الزوجين الأولين ربما تمتعا بمئتي أو ثلاثمئة عام من العلاقة المتواصلة مع الله. هذا الرأي مستحيل، فقد أُمر الزوجان بالتكاثر، وكانا سيطيعان هذا الأمر حتمًا قبل مرور سنوات عديدة. ولو لم يفعلا، لكان ذلك التقصير هو الخطيئة الأولى. ويقترح آخرون بضع سنوات، وللأسباب نفسها المذكورة آنفًا، بالإضافة إلى الأسباب الواردة أدناه، يمكننا استبعاد هذا الرأي.
أنا مقتنع بأن السقوط حدث بعد فترة وجيزة من ظهور حواء، وهناك حجج كتابية تدعم هذا الرأي.
أولًا، يقول الكتاب المقدس إن الشيطان كان قاتلًا منذ البدء، ولم يثبت في الحق، وأنه كذاب وأبو الكذاب (يوحنا ٨: ٤٤). هذا يربط الشيطان بالكذب والقتل منذ البداية. إذا آمنا بأنه سقط، وإذا آمنا بأنه سقط من مكانة رفيعة، وإذا آمنا بأنه كان على الأرض قبل سقوطه (أيوب ٨: ٢٢ \\ إشعياء ١٤ \\ حزقيال ٢٨)وإذا آمنا بأن قلبه كان مليئًا بالكراهية (١ يوحنا ٣: ١٥) فمن الصعب تصديق أنه أضاع أي وقت في مهاجمة آدم.
الشيطان يُهلك. الشيطان يكذب. في الجنة كان هناك مخلوقان بريئان كانا موضع محبة الله وعنايته. لا أرى العدو ينتظر طويلًا للانقضاض.
السبب الثاني الذي يدفعني للاعتقاد بأن السقوط كان سريعًا هو أنه كلما طالت علاقة آدم وزوجته بالله، زادت فرصهم في تعلم محبة خالقهم، وبالتالي مقاومة الإغراء. لا أعتقد أن الشيطان أراد لهما أن يقيما علاقة قوية قائمة على الثقة مع الله.
ثم فكر في الوصايا العشر، وأساس الشريعة، والمعصية في الجنة.

- لا اله أخر امامي – أنتهك أدم هذه الوصيه بأختيلر اله هذا العالم.
- لا صور لله – وضع الرجل والمرأة ما رأياه أمام الله.

- عدم إساءة استخدام اسم الله -لقد دُعي آدم ابن الله لكنه تصرف بما يتعارض مع هذا اللقب العظيم.
- أكرم أباك -لقد كسر قلب أبيه.
- لا تقتلوا، فقد جلب الموت للجنس البشري بأكمله.
- لا تزني – غالباً ما يُطلق على الابتعاد عن الله اسم الزنا في الكتاب المقدس، لأنه مسألة قلب غير مخلص.
- لا تسرق – أخذ الثمرة التي لم تكن له.
- لا تشهد زور – ألقى آدم اللوم على المرأة، بينما ألقت المرأة اللوم على الله.
- لا تشته – كانوا يرغبون في الثمرة.

من الواضح أن تسعة من الوصايا العشر قد انتُهكت يوم سقوط آدم. وإذا كان هذا السقوط قد حدث في اليوم التالي مباشرةً لخلقه، والذي كان يوم راحة، فإن الوصية السابعة ستكون قد انتُهكت. اذن في ذلك اليوم، تم انتهاك جميع الوصايا العشر في أقل من أربع وعشرين ساعة بعد أن منحهم الله الحياة والتعليم.
مهما طالت مدة عصر البراءة، فقد كان له ميزة على جميع العصور الأخرى. لم يكن لدى الإنسان طبيعة الخطيئة ليحاربها. ومن الواضح أن غيابها لا يضمن النصر على الإغراء.
يُظهر لنا السقوط أن البيئة ليست هي المشكلة، فبيئة آدم كانت مثالية. ويُظهر لنا أن الفقر والحرب ونقص التعليم، وغيرها، ليست هي المشكلة، ففي الجنة كان كل شيء هادئًا، وكل حاجة مُلبّاة. ويُظهر أن من القلب تنبع أمور الحياة (أمثال ٤: ٢٣). ويُظهر أنه إن لم يرضَ الإنسان بالله، فلن يجد الرضا أبدًا.
في زمن البراءة، خاطب الله آدم مباشرةً. لم تكن هناك كتبٌ مكتوبة، ولا أنبياء، ولا وسطاء، ولا زيارات ملائكية. لم يكن من الممكن أن يفشل آدم في فهم التوجيه. لم يكن من الممكن أن يقع في حيرةٍ لكثرة المطالب. لم يكن من الممكن أن يتغلب عليه ضعف طبيعته الخاطئة. خاطبه الله مباشرةً. أعطاه نهيًا واحدًا. فخالف آدم هذا النهي عن عمد (١ تيموثاوس ٢: ١٤).
تقول النماذج التدبيرية إن البراءة، أو عصرها، انتهى في الجنة. لكن لا يمكن القول بحق إن سقوط آدم وحواء كان نهاية البراءة، لأنه بحسب رسالة رومية (٥) يتمتع كل مولود في هذا العالم بفترة زمنية يعتبره الله خلالها بريئًا. مع أنهم يعانون من تبعات سقوط آدم (رومية ٥: ١٢) إلا أن الخطيئة لا تُنسب إليهم حيث لا شريعة (رومية ٥: ١٣). مع أن طبيعة الخطيئة تنتقل إلى جميع البشر، والموت يأتي نتيجةً لتلك الخطيئة، فإن الله لا يحكم بالهلاك الأبدي على من يحملون ذنبًا غير مباشر بسبب سقوط آدم. تُعلّم رسالة رومية أن على المرء أن يرتكب خطيئته عمدًا ضد الله ليخسر نفسه. لذا، فإن حالة البراءة هذه تسري في جميع العصور، ولا تنتهي أبدًا. كان بولس حيًا ذات مرة بدون شريعة (رومية ٧: ٩). مات طفل داود بسبب الخطيئة ولكنه كان مشمولًا بنفس الرحمة المؤكدة التي غطت والده التائب (صموئيل الثاني ١٢: ٢٣).
من الصواب القول إن الله وزع البراءة في الجنة، ولكن الحمد لله أنه لم يسحبها أبداً.

ملخص:

التدبير: الانسان البريء.
البداية: الخلق (التكوين ١: ٤ – ٣١).
الوصف: الله يخاطب الإنسان مباشرة.
المدة: بالنسبة للجنس البشري: من خلق آدم إلى سقوطه. بالنسبة للفرد: من الولادة حتى التعدي المتعمد على الحقيقة المعروفة.

٢.الضمير.

يُطلق على المرحلة الثانية في النموذج الكلاسيكي أسماء مختلفة، ولكنها تُعرف عادةً باسم عصر الضمير. ويُؤَّرخ لها عادةً بأنها تمتد من سقوط الإنسان إلى طوفان نوح.
خلال هذه الفترة، لا يوجد كلام مكتوب من الله ولا وحي علني من الله إلى الإنسان عموماً. (سنتناول الاستثناءات الثلاثة بعد قليل.) ما أنزله الله على الإنسان بعد السقوط هو المعرفة التي سبق أن أُنذر بها. فمنذ سفر التكوين ٣ فصاعدًا، يعلم آدم وحواء وذريتهما أن هناك إلهًا سيحاسبون أمامه (رومية ١: ١٨-٢٠). ورغم أن معلمي الكتاب المقدس يُسهبون في الحديث عن طبيعة الإنسان الخاطئة، وهي حقيقة مؤكدة وفقًا لرومية ٥ و ٧، إلا أنهم لا يُسهبون في الحديث عن معرفتهم الفطرية بالمبادئ الأساسية التي ستشكل فيما بعد الشريعة.
"لأَنَّهُ ٱلْأُمَمُ ٱلَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ ٱلنَّامُوسُ، مَتَى فَعَلُوا بِٱلطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي ٱلنَّامُوسِ، فَهَؤُلَاءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ ٱلنَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لِأَنْفُسِهِمِ، ٱلَّذِينَ يُظْهِرُونَ عَمَلَ ٱلنَّامُوسِ مَكْتُوبًا فِي قُلُوبِهِمْ، شَاهِدًا أَيْضًا ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فِيمَا بَيْنَهَا مُشْتَكِيَةً أَوْ مُحْتَجَّةً" (رومية ٢: ١٤-١٥).

صحيحٌ أن جميع نسل آدم هم بطبيعتهم أبناء الغضب (أفسس ٢: ٣) ويضلون منذ الرحم (مزمور ٥٨: ٣) لكن صحيحٌ أيضاً أن الله قد وضع فيهم وسيلةً لتمييز الحق من الباطل. لا تنسوا أنهم أكلوا من شجرةٍ أعطتهم معرفة الخير والشر، فانفتحت أعينهم.
بالإضافة إلى ذلك، لديهم شهادة الكلمة التي نطق بها الله في الجنة. ونحن نعلم أن الإيمان يأتي بالسمع، و سمع الناس كلمة الله (رومية ١٠: ١٧) ونعلم أن هابيل أحضر خروفًا بالإيمان (عبرانيين ١١: ٤). وهكذا، في ذلك الوقت، كان لدى الناس شهادة داخلية منحها الله لهم كجزء من تكوينهم، بالإضافة إلى الشهادة الشفوية التي تناقلوها عن آدم.
شهدت تلك الحقبة ثلاث تدخلات إلهية بارزة. فقد خاطب الله قايين شخصيًا، فأدرك بنو جنسه أن السبل إلى الله محدودة، وأن الخيارات المتاحة للعبادة والدين قليلة. ولن يُقبل إلا سبيل واحد ضيق، هو الطاعة الخاشعة لكلام الرب المُوحى به، لا غير.
تحدث الله شخصياً إلى أخنوخ. سارا معاً. أُعطي الحق ليعلنه بشأن حالة الشر التي يعيشها الجنس البشري ومجيء الرب لإجراء الدينونة (يهوذا ١: ١٤-١٥).
تحدث الخالق إلى نوح كاشفاً حقيقة الطوفان القادم، ومقدماً للخطاة سبيلًا للنجاة من خلال إعداد الفلك.
هذه الوسيلة الثانية التي تعامل بها الله مع الإنسان انتهت هي الأخرى بالفشل. فمن قصة أول ولدين وُلدا للزوجين الساقطين إلى هلاك البشرية بالطوفان العظيم، أثبت البشر عجزهم عن الحفاظ على علاقة سليمة مع الله من خلال الضمير.
"وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ ٱلرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلَكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَٱغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ. فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِقَايِينَ: «لِمَاذَا ٱغْتَظْتَ؟ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلَا رَفْعٌ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ ٱلْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ ٱشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا»." (تكوين ٤: ٤-٧). كان على هذين الرجلين فقط أن يؤمنا بالله بشأن القربان الصحيح وأن يطيعا أمره بتقديم الذبيحة الموصوفة. لكن قايين رفض، فمات هابيل.
"وَرَأَى ٱلرَّبُّ أَنَّ شَرَّ ٱلْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي ٱلْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ ٱلرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ ٱلْإِنْسَانَ فِي ٱلْأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ ٱلرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ ٱلْإِنْسَانَ ٱلَّذِي خَلَقْتُهُ، ٱلْإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ ٱلسَّمَاءِ، لِأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ». وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ ٱلرَّبِّ." (تكوين ٦: ٥-٨). نرى مرة أخرى أن مسار الإنسان العام هو الابتعاد عن الله.
تُشير الرسوم البيانية والنماذج في النصوص التدبيرية إلى وجود خط فاصل بين سفر التكوين ٣-٤ وآخر بين سفر التكوين ٩-١٠ وتُبين أن الفترة بينهما هي عصر الضمير. لكن دراسة متأنية للكلمة تجعل الأمر أكثر تعقيدًا. قد نقول بحق أن الله بعد السقوط منح كل إنسان ضميرًا. وقد نقول بحق أن هذا الضمير كان الدليل الأساسي لمن هم خارج أبواب عدن. لكننا نكون مخطئين إذا قلنا إن الله خاطب الإنسان بهذه الطريقة فقط من الجنة إلى الطوفان، لأن الكتاب المقدس يُبين خلاف ذلك، كما ذُكر آنفًا.
يجب التنويه مجدداً إلى أنه من الخطأ تماماً وضع حد نهائي لما أنزله الله. فجميع البشر ما زالوا يملكون ضميراً منحه الله لهم، ويستخدمه الله لتوبيخهم وضبطهم ضمن حدود قد لا يدركونها تماماً.
قد يُثير الضمير الخوف والندم، لكنه لن يمنع الإنسان من ارتكاب الخطأ، لأن الضمير لا يمنح أي سلطة. ومع ذلك، يبقى من الضروري أن يكون لدى المرء ضمير حيّ.
نقرأ في العهد الجديد عن رجالٍ بيكتون بضمائرهم (يوحنا ٨: ٩) ويعيشون بضميرٍ صالح (أعمال ٢٣: ١ \\ ٢٤: ١٦) ويستشهدون بضمائرهم (رومية ٩: ١ \\ ٢ كورنثوس ١: ١٢).وحتى يومنا هذا، يسترشد الضالون بضمائرهم، وعلى المسيحي أن يتصرف وفقًا لما يراه من لا يملكون معرفةً بالكتاب المقدس صوابًا أو خطأً بناءً عليه (رومية ١٣: ٥ \\ ١ كورنثوس ٨: ٧ – ١٢ \\ ١٠: ٢٥ – ٢٩ \\ ٢ كورنثوس ٤: ٢). بل إن ضمير المسيحي نفسه لا يزال يُؤخذ في الاعتبار عند الحفاظ على شهادةٍ حسنة (٢ كورنثوس ٥: ١١).
ينبغي أن يتمتع المؤمن المولود من جديد بضمير صالح (١تيموثاوس ١: ٥ \\ ١٩ \\ عبرانيين ١٣: ١٨ \\ ١ بطرس ٣: ١٦) وضمير طاهر (١تيموثاوس ٣: ٩ \\ ٢ تيموثاوس ١: ٣) وضمير نقي (عبرانيين ٩: ١٤). وقد حُذّر من الضمير الميت (١ تيموثاوس ٤: ٢) والضمير المدنس (تيطس ١: ١٥). من الواضح أن الله قد منح الإنسان حرية الضمير عندما أخطأ، ولكن لم يُسحب منه هذا الحق في أي وقت. ولا يزال الرب يتعامل مع الناس، الصالحين والطالحين، من خلال ضمائرهم.

ملخص:

التدبير: الضمير.
البداية: سقوط الإنسان في سفر التكوين ٣.
الوصف: يضع الله قدراً من الحق في كل إنسان. وهذا مقترن بوحيه بـالتدبير السابق (لآدم) والوحي المباشر لأفراد معينين للجنس البشري ككل (قابيل، إينوخ، نوح.)
المدة: دائم.

٣.الحكومة البشرية

تتفق النماذج التدبيرية على أن الله، بعد الطوفان، تعامل مع البشر وفقًا لأنظمة الحكم البشري. قبل الطوفان، لا نقرأ عن دول أو ملوك أو جيوش أو أفراد يحكمون جماعات كبيرة. يبدو أن الناس كانوا يعيشون حياتهم بشكل مستقل، يفعلون ما يحلو لهم، ويتذكرون ما حدث في الجنة.
بعد الطوفان، يُخبرنا الكتاب المقدس مباشرةً عن أصول الشعوب، وكيف أن بني آدم لم ينجبوا أبناءً، بل قبائل وشعوبًا (سفر التكوين ٩-١٠).ثم يُذهلنا تدخل الله في مشروع برج بابل (سفر التكوين ١١).
فجأةً، نرى رجالًا متفرقين في جماعات، ونرى أفرادًا يتولون الحكم، ويتحملون المسؤولية، ويمسكون بزمام السلطة كرؤساء ممثلين لشعوب صغيرة وكبيرة. إبراهيم ليس مجرد رجل؛ إنه أبو أمة. إسماعيل ليس مجرد فرد آخر في سلالة البشر، بل هو أبو شعوب كثيرة. فجأةً، يتحول الكتاب المقدس من كتاب عن البشرية جمعاء إلى كتاب عن البشرية في عائلاتها وأقاربها وألسنتها. أبيمالك، وإسحاق، وفرعون، ويوسف، وعمرافيل، ويثرون، ويعقوب، رجال لم نرَ مثلهم قبل بابل.
في هذا العصر، لا نجد الرب يخاطب كل فرد أو كل شعب، بل يخاطب قائد الشعب ويجعله مسؤولًا عن تبليغ الحق لمن هم تحت سلطته، ويجعل رعاياه مسؤولين أمام الله من خلال قائدهم. كانت إسرائيل ويهوذا تنهضان وتسقطان تبعًا لأفعال ملوكهما. نقرأ عن خلاف الله مع بلطشاصر، لا مع رعاياه. ونتعرف على كورش ونبوخذنصر وأرتحشستاس وسنحاريب. لكننا لا نقرأ عن معاناة عامة الناس في سبيل كسب عيشهم في إمبراطورياتهم.
هذا أمر بالغ الأهمية، فهو يمهد الطريق لكل ما سيأتي لاحقًا في تاريخ البشرية. فمنذ بابل وحتى المجيء الأول ليسوع المسيح، يُقاس الناس بهويتهم القومية. والحقيقة المتاحة لهم هي تلك التي كانت تُمنح سابقًا عن طريق الضمير والوحي العرضي. لذا، فإن الحكم البشري ليس على الأرجح نظامًا جديدًا على الإطلاق، بل هو امتداد لما سبق أن منحه الله للإنسان.
سنرى في القسم التالي أن نورًا إضافيًا أُعطي لأمة واحدة، وهي نسل إبراهيم، وأن الأمم الأخرى لا تنال النور من الله إلا بشكل غير مباشر عبر إسرائيل. وتُعدّ قصص موسى وفرعون، ونبوخذنصر ودانيال، ونينوى ويونان، من أشهر الأمثلة على هذه الحقيقة.
يُحدد الحكام البشريون الصواب والخطأ لرعاياهم، ويشجعون على فعل الخير ويعاقبون على فعل الشر بالقوة (رومية ١٣).وهكذا، فإن ملكوت السماوات يحكمه الأقوياء على حساب الضعفاء (متى ١١: ١٢). وقد مُنح الشيطان سلطةً لنصب أتباعه (متى ٤: ٨-٩) لكن الله سيحركهم كما يشاء (أمثال ٢١: ١).
ويتضح فشل هذا تدبير جلياً. فمن المبادئ البسيطة التي أُعطيت لنوح، سرعان ما انحدر الجنس البشري إلى جموعٍ واثقةٍ بنفسها، تنكر وجود الله، وتسعى إلى السماء (تكوين ١١).وقد توقفت مساعيهم لبلوغ المجد دون الرب فجأةً في أَرْضِ شِنْعَارَ.
وَبَارَكَ ٱللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَٱكْثُرُوا وَٱمْلَأُوا ٱلْأَرْضَ. وَلْتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ ٱلْأَرْضِ وَكُلِّ طُيُورِ ٱلسَّمَاءِ، مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى ٱلْأَرْضِ، وَكُلِّ أَسْمَاكِ ٱلْبَحْرِ قَدْ دُفِعَتْ إِلَى أَيْدِيكُمْ. كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. كَٱلْعُشْبِ ٱلْأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمُ ٱلْجَمِيعَ. غَيْرَ أَنَّ لَحْمًا بِحَيَاتِهِ، دَمِهِ، لَا تَأْكُلُوهُ. وَأَطْلُبُ أَنَا دَمَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَقَطْ. مِنْ يَدِ كُلِّ حَيَوَانٍ أَطْلُبُهُ. وَمِنْ يَدِ ٱلْإِنْسَانِ أَطْلُبُ نَفْسَ ٱلْإِنْسَانِ، مِنْ يَدِ ٱلْإِنْسَانِ أَخِيهِ. سَافِكُ دَمِ ٱلْإِنْسَانِ بِٱلْإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ. لِأَنَّ ٱللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ ٱلْإِنْسَانَ.” (تكوين ٩: ١-٦).
تأملوا مسار الزمان كما ورد في سفر التكوين (١١: ١-٤) “وَكَانَتِ ٱلْأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. وَحَدَثَ فِي ٱرْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنًا وَنَشْوِيهِ شَيًّا». فَكَانَ لَهُمُ ٱللِّبْنُ مَكَانَ ٱلْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ ٱلْحُمَرُ مَكَانَ ٱلطِّينِ. وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لِأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِٱلسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لِأَنْفُسِنَا ٱسْمًا لِئَلَّا نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ ٱلْأَرْضِ”.«
في كل عصر نرى الانحراف الطبيعي عن الله. إذا ما أقرّ الرب هذا التدبير من الحكم على أجناس البشر المتفرقة، فلن نستطيع أن نرسم خطًا نحدد فيه نهايته. فالحكم البشري يمتد إلى الأبد. سيأخذ المسيح يسوع ممالك هذه الأرض ويحكمها ألف سنة. “لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلَامِ لَا نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِٱلْحَقِّ وَٱلْبِرِّ، مِنَ ٱلْآنَ إِلَى ٱلْأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ ٱلْجُنُودِ تَصْنَعُ هَذَا.” (إشعياء ٩: ٧).

ملخص:

التدبير: الحكومة البشرية.
البداية: برج بابل في سفر التكوين ١١.
الوصف: لمواجهة فشل مفهوم البراءة والضمير، يضيف الله ضبط النفس الذي يمارسه الرجال الأقوياء. الله لا يتحدث إلى أو من خلال هؤلاء الرجال. إنهم وكلاءه، وليسوا رسله.
المدة: دائم.

٤.الوعد.

التدبير الرابع في النموذج الكلاسيكي هو تدبير الوعد. ويشمل هذا التدبير الفترة الزمنية الممتدة من دعوة إبراهيم إلى نزول الشريعة على جبل سيناء. خلال هذه الفترة، خاطب الله رجلًا واحداً وذريته مباشرةً، مانحاً إياهم وعوداً فريدة وخاصة لم تُمنح لغيرهم من

الأمم، وهي وعود تميزهم إلى الأبد عن باقي الأمم.
هذا وضعٌ فريد، إذ كانت هذه المرة الأولى التي يُخصّص فيها الله عطاياه بشكلٍ محدود. فالبراءة والضمير والحكم البشري تؤثر في جميع الكائنات الحية منذ لحظة خلقها. لكن هنا، أعطى الرب وعودًا خاصة بإبراهيم وإسحاق ويعقوب وذريتهم.
في سفر التكوين ١٢ اختار يهوه شعبًا واحدًا من بين جميع الأسباط المتفرقة. دعا أبرام ليترك دياره وعشيرته ويسافر إلى أرضٍ لم يرها من قبل، بناءً على وعدين: أن يرث أرضًا شاسعةً غنيةً، وأن يكون أبًا لجمهورٍ غفيرٍ لا يُحصى. آمن أبرام بالله. وأُضيف إلى هذين الوعدين وعدٌ آخر: أن كل من يبارك نسل أبرام يُبارك، وكل من يلعنهم يُلعن.
كيف تكلم الله خلال هذه الفترة؟ بالنسبة لجميع الشعوب التي استمرت تحت الحكم البشري -ونعني بذلك كل من لا يستطيع تتبع نسبه إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب -فقد ظل صامتًا. لم تتلقَ الأمم غير اليهودية أي وحي من الله، ولا كتابًا مقدسًا، ولا أنبياء حقيقيين، ولا كهنة حقيقيين (رومية ٩).لكن الرب خاطب إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى ويشوع مباشرةً، مؤكدًا وتوسيعًا للوعود.
مرة أخرى، من السهل إظهار المشاكل المتعلقة بالجداول التدبيرية التي اعتاد عليها الكثيرون. فبينما لدينا نقطة زمنية واضحة عندما أُعطيت الوعود للآباء اليهود، لا يمكننا رسم خط فاصل عند جبل سيناء و قل: "»"هنا ينتهي الوعد، وهنا يبدأ الناموس" فهذه الوعود أبدية. ستبقى الأرض دائمًا لبني إسرائيل. وسيظل نسل إبراهيم رأس الأمم. في الواقع، لن نرى التحقق الحقيقي للوعود التي قُطعت لآباء بني إسرائيل إلا بعد انقضاء عصر الناموس، وعصر الكنيسة، الضيقه العظيم. وبعد أن منح الرب هذه الوعود، لن يتراجع عنها ولن يضع حدًا لها. "لِأَنَّ هِبَاتِ ٱللهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلَا نَدَامَةٍ." (رومية ١١: ٢٩).
كان من الممكن أن يأمل المرء أن تؤدي الدعوة الخاصة لإبراهيم والهبات العظيمة التي أنعم الله بها عليه إلى نتيجة أفضل. لكن هذه المرحلة أسفرت عن نفس الفشل الذي نتج عن المراحل السابقة. لم يكن على إبراهيم وورثته سوى الإيمان والطاعة. وقد سارت الأمور على ما يرام. "لِأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ ٱلْكِتَابُ؟ «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِٱللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا»." (رومية ٤: ٣). "فَآمَنَ بِٱلرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا." (تكوين ١٥: ٦).
لكن سرعان ما أخطأ الإنسان الهدف تمامًا مرة أخرى. قبل نزول الشريعة، بينما كان العصر الأبوي لا يزال يمهد لتأسيس الأمة، نقرأ: "فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ. وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: «لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ ٱلرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ ٱللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هَذَا ٱلْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هَذَا ٱلْجُمْهُورِ بِٱلْجُوعِ»." (خروج ١٦: ٢-٣).
ومرة أخرى نرى الإنسان ينصرف عن الله.
لا أجد خطأً في من يجادل بأن الآباء هم في الواقع جزء من نظام الحكم. من المعقول القول إنه كما تعامل الله مع الأمم الأخرى من خلال رؤسائها الممثلين، فإن تعامله مع بني إسرائيل مماثل، ولكن بتفصيل أكبر بكثير.
في رأيي، ما يُميّز تعامل الرب مع العبرانيين أو إعطائهم الحقّ أمرٌ بالغ الأهمية بحيث لا يُمكن تصنيفهم مع الأمم الأخرى. فكمية الوحي الإلهي الوافرة، وظهور الله المتكرر للآباء، و إن الطبيعة الحصرية للحمايات والبركات الممنوحة لهذا الشعب تتطلب أن يكونوا منعزلين. من الواضح أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف قد تم منحهم شيئاً مختلفاً تماماً عما أعطاه الرب لأي شعب آخر.

ملخص:

التدبير: الوعد.
البداية: دعوة إبراهيم في سفر التكوين ١٢.
الوصف: لا ينال هذه البركات الخاصة إلا أبناء الآباء العبرانيين. فالله يخاطب الأمم من خلال آبائهم.
المدة: دائم.

٥.الناموس.

ننتقل الآن إلى مسألة إعطاء الشريعة. ينبغي أن يدرك القارئ الآن أننا لا نستطيع جعل هذا تغييرًا شاملًا في تعامل الله مع البشرية. في الواقع، مع أن إعطاء الشريعة يُعدّ من أعظم عجائب التاريخ، إلا أنه لا يُنشئ في جوهره أي شيء جديد. لننظر إلى الأمميين. لم تُعطَ الشريعة لأحد منهم. وبالتالي، فهي لا تُغيّر من حالهم: لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل. لننظر إلى اليهودي. الأرض ملك لهم إلى الأبد. أُضيفت الشريعة إلى الوعود، لكنها لا تستطيع نقضها. إنها تُنظّم شؤون بني إسرائيل في الأرض. وهي تُؤثّر على وضعهم الحالي، فإما أن تُبقيهم طاعتهم في الأرض ويُمكّنهم من التمتع بها، أو أن تُسلبهم معصيتهم فرحة الأرض أو عيشهم فيها. أما المستقبل فهو مسألة وعد، لا أعمال. يقول غلاطية (٣: ١٧) "وَإِنَّمَا أَقُولُ هَذَا: إِنَّ ٱلنَّامُوسَ ٱلَّذِي صَارَ بَعْدَ أَرْبَعِمِئَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، لَا يَنْسَخُ عَهْدًا قَدْ سَبَقَ فَتَمَكَّنَ مِنَ ٱللهِ نَحْوَ ٱلْمَسِيحِ حَتَّى يُبَطِّلَ ٱلْمَوْعِدَ".
بالمعنى الدقيق، لا تُعدّ الشريعة عهدًا جديدًا إلا لمن هم تحت العهود التي منحها الله لنسل إبراهيم. وخلال هذه الفترة -الممتدة من جبل سيناء في البرية إلى جبل الجلجلة خارج أوروشليم -يكون محور الكتاب المقدس هو اليهودي بموجب الناموس. خلال هذه الفترة الزمنية، كلم الله عائلة واحدة من البشر من خلال ألواح الحجر.
قد يتساءل المرء: "ماذا عن الكهنة؟" كانت مهمتهم الوحيدة تفسير ما كُتب على ألواح الحجر وإعلانه. ويتساءل آخر: "ماذا عن

الأنبياء؟" كانت مهمتهم إرشاد الناس إلى الكلمات المكتوبة على ألواح الحجر. بينما يحكم الأمميون رجال يحكمون وفقًا لما يمليه عليهم ضميرهم الذي وهبه الله لهم، فإن اليهود يحكمون بأوامر مفصلة بشكل رائع ومحددة بشكل لا يصدق وضعها الله ودونها كتابة.
مرة أخرى نرى حماقة وضع حد نهائي للشريعة. لقد أنزل الله هذه الوصايا، ولن تُسحب أبدًا. وقد تعلمنا سابقًا كيف أتمّ المسيح الشريعة، وكيف أن المؤمن المولود من جديد لم يعد خاضعًا لها، لكن هذا لا يُلغي سلطتها على إسرائيل. فكما سيرثون الأرض الموعودة، وكما سيجلس رجل على عرش أورشليم ليحكمهم، ستكون تلك الحكومة متوافقة تمامًا مع الشريعة التي أُنزلت على موسى.
لقد تعلمنا في قسم سابق عن إخفاق الإنسان في الالتزام بالشريعة. يقول سفر التثنية (٧: ١١-١٥) "فَٱحْفَظِ ٱلْوَصَايَا وَٱلْفَرَائِضَ وَٱلْأَحْكَامَ ٱلَّتِي أَنَا أُوصِيكَ ٱلْيَوْمَ لِتَعْمَلَهَا.«وَمِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ تَسْمَعُونَ هَذِهِ ٱلْأَحْكَامَ وَتَحْفَظُونَ وَتَعْمَلُونَهَا، يَحْفَظُ لَكَ ٱلرَّبُّ إِلَهُكَ ٱلْعَهْدَ وَٱلْإِحْسَانَ ٱلَّذَيْنِ أَقْسَمَ لِآبَائِكَ، وَيُحِبُّكَ وَيُبَارِكُكَ وَيُكَثِّرُكَ وَيُبَارِكُ ثَمَرَةَ بَطْنِكَ وَثَمَرَةَ أَرْضِكَ: قَمْحَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ وَنِتَاجَ بَقَرِكَ وَإِنَاثَ غَنَمِكَ، عَلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي أَقْسَمَ لِآبَائِكَ أَنَّهُ يُعْطِيكَ إِيَّاهَا. مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ ٱلشُّعُوبِ. لَا يَكُونُ عَقِيمٌ وَلَا عَاقِرٌ فِيكَ وَلَا فِي بَهَائِمِكَ. وَيَرُدُّ ٱلرَّبُّ عَنْكَ كُلَّ مَرَضٍ، وَكُلَّ أَدْوَاءِ مِصْرَ ٱلرَّدِيئَةِ ٱلَّتِي عَرَفْتَهَا لَا يَضَعُهَا عَلَيْكَ، بَلْ يَجْعَلُهَا عَلَى كُلِّ مُبْغِضِيكَ." وكما في كل زمان، كان على الناس أن يؤمنوا بالله، وهذه الثقة تتجلى في الطاعة.
تتلخص النتيجة النهائية في كلمات صلاة دانيال: "»أخطأنا، وأثمنا، وفسدنا، وتمردنا، حتى أننا انحرفنا عن وصاياك وأحكامك. ولم نصغِ إلى عبيدك الأنبياء الذين تكلموا باسمك إلى ملوكنا ورؤسائنا وآبائنا، وإلى جميع شعوب الأرض. يا رب، لك الحق، أما نحن فخزي وجوهنا، كما في هذا اليوم، لرجال يهوذا، وسكان أورشليم، ولكل إسرائيل، القريبين والبعيدين، في جميع البلدان التي شتّتهم إليها، بسبب ذنبهم الذي ارتكبوه ضدك«" (دانيال ٩: ٥-٧). مهما كانت طريقة تعامل الله مع الإنسان، فالنتيجة واحدة.

ملخص:

التدبير: الناموس.
البداية: على قمة جبل سيناء في سفر الخروج ١٩.
الوصف: يتمتع بنو إسرائيل وحدهم بهذه القواعد للعيش باستقامة. يتحدث الله إلى الأمة بألواح من حجر.
المدة: دائم.

٦.الكنيسة.

لقد ألحق وصف المرحلة التالية من خطة الله بعصر النعمة ضرراً بالغاً، إذ يوحي هذا للطالب بأن الناس حتى ذلك الحين كانوا ينالون رضا الله تعالى بفضل أعمالهم.
كانت النعمة هي التي أبقت آدم حيًا. كانت النعمة هي التي وفرت الفلك. كانت النعمة هي التي أخرجت لوطًا من سدوم. كانت النعمة هي التي لم تطلب سوى دم خروف ليلة الفصح. كانت النعمة هي التي فرقت الناس في بابل مع أنه كان من السهل إبادتهم. كانت النعمة هي التي دعت موسى للعودة إلى الجبل بعد حادثة العجل الذهبي. داود، وشمشون، وإيليا، وشاول، وجدعون، وآسا، وراعوث، وراحاب، وإينوخ، جميعهم يجسدون لنا نعمة الله.
ألاف المرات، تتركنا صفحات العهد القديم مندهشين من كرم الله الذي أنعم به على هؤلاء غير المستحقين. من الأنسب الحديث عن عصر الكنيسة بدلًا من عصر النعمة، ففيه يُحدث الله شيئًا جديدًا. من اليهودي واليوناني، يأخذ الرب كل من يؤمن بيسوع المسيح ويُعمّدهم في جسد واحد. كان لإليشع ويوحنا المعمدان ويسوع وغيرهم كثيرون تلاميذ. كان هؤلاء الأتباع الملتزمون أوفياء لشخص أو حقيقة أو قضية، لكن هذا يختلف تمامًا عما حدث بعد موت المسيح ودفنه وقيامته. أولئك الذين يضعون ثقتهم الكاملة في عمل المخلص المكتمل يُمنحون ولادة جديدة (يوحنا ٣: ١-٨ \\ رومية ٧) ويُوضعون في المسيح (١ كورنثوس ١٢: ١٢-١٣) ويستقبلون الله الروح القدس ليسكن فيهم (رومية ٨: ٩) ويُصبحون أعضاءً بعضهم لبعض (رومية ١٢: ٥ \\ أفسس ٢: ١١ – ٢٢ \\ ٤: ١٢ – ١٦\\ ٢٥) في جسد يسوع المسيح نفسه هو رأسه (كولوسي ١: ١٨).
هذا بالتأكيد ليس مجرد تحسين لما حدث من حيرة بين الأمم. إنه ليس بأي حال من الأحوال استمرارًا أو امتدادًا لمعاملة الله لإسرائيل. تُدعى الكنيسة شعبًا لم يكن شعبًا قط، وأمة لم تكن أمة قط (١ بطرس ٢: ٩-١٠). لا يمكن أن تكون شكلًا مُعَدّلًا لأي شيء سبق أن أنزله الله. فمثل هذا الترقيع الجديد على ثوب قديم، أو سكب الخمر الجديد في زقاق قديمة، لن يدوم. الكنيسة شيء جديد أُتيح بفضل ولادة جديدة.
في فجر هذا التدبير، كلم الله الرسل، الذين دوّنوا كلامه فيما يُعرف بأسفار العهد الجديد. ومنذ ذلك الحين، لم يُنزل كلمةً أخرى ولا وحيًا جديدًا (رؤيا ٢٢: ١٨-١٩). لدينا وعاظ ومبشرون ومعلمون، لكننا مأمورون برفض أي شيء يقولونه لا يتوافق مع ما أُعطي للكنيسة عن طريق الرسل والأنبياء الذين دوّنوا العهد الجديد. كما أرشد الكهنة والأنبياء اليهود إلى الشريعة، كذلك يرشد قادة الكنيسة الناس إلى الكتب المقدسة. لم يُكلم الله أحدًا في حلم منذ صلب المسيح. وهو لا يكشف عن نفسه اليوم بأي وسيلة، كالرؤى والمشاعر والانطباعات والإلهامات وما شابه ذلك. لقد أعطانا كلمةً أكثر يقيناً من سماع صوته يتكلم من السماء (٢ بطرس ١: ١٦-١٩).
مرة أخرى، نشهد بدايةً واضحة، زمنًا يمنح فيه القدوس للبشرية شيئًا جديدًا. لكن اعتبار اختطاف الكنيسة نهايةً لعصر الكنيسة ليس

دقيقًا تمامًا. فبينما يُشير ما يُعرف بالاختطاف إلى تحوّل في عمل الله الأساسي على الأرض، إلا أنه ليس نهاية الكنيسة. نراها تُكافأ أمام كرسي المسيح، مُتزوجةً من الحمل، عائدةً لتملك، وترث مع العريس إلى الأبد.
لو كان لأحدٍ منذ آدم أملٌ في العيش بالإيمان والطاعة، لكان المسيحي المولود من جديد. فمع اكتمال الكتاب المقدس، والخلاص التام، وسكنى الروح القدس، كنا نتوقع أخيرًا أن نرى عهدًا من حق الله يلتزم به شعبه. لكن حتى أولئك الذين غُسِلوا بدم المسيح ورُفِعوا إلى حياة جديدة، أثبتوا فشلهم.
تؤكد الآيات من ٨ إلى ١٠ في رسالة أفسس الاصحاح الثاني أنه في هذا العصر أيضًا، يكفي أن يؤمن المرء، وهذا الإيمان سيؤدي إلى الطاعة. "لِأَنَّكُمْ بِٱلنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِٱلْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ ٱللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لِأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ ٱللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا".
لكن في هذا العصر، يبدو الفشل أكثر إحباطًا، لأن فرصة النصر كانت عظيمة" .**لِأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لَا يَحْتَمِلُونَ فِيهِ ٱلتَّعْلِيمَ ٱلصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ ٱلْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ، فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ ٱلْحَقِّ، وَيَنْحَرِفُونَ إِلَى ٱلْخُرَافَاتِ** .وَأَمَّا أَنْتَ فَٱصْحُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. ٱحْتَمِلِ ٱلْمَشَقَّاتِ. ٱعْمَلْ عَمَلَ ٱلْمُبَشِّرِ. تَمِّمْ خِدْمَتَكَ.فَإِنِّي أَنَا ٱلْآنَ أُسْكَبُ سَكِيبًا، وَوَقْتُ ٱنْحِلَالِي قَدْ حَضَرَ. قَدْ جَاهَدْتُ ٱلْجِهَادَ ٱلْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ ٱلسَّعْيَ، حَفِظْتُ ٱلْإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ ٱلْبِرِّ، ٱلَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ، ٱلرَّبُّ ٱلدَّيَّانُ ٱلْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا." (٢ تيموثاوس ٤: ٣-٨).
"وَٱكْتُبْ إِلَى مَلَاكِ كَنِيسَةِ ٱللَّاوُدِكِيِّينَ: «هَذَا يَقُولُهُ ٱلْآمِينُ، ٱلشَّاهِدُ ٱلْأَمِينُ ٱلصَّادِقُ، بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ ٱللهِ: أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، أَنَّكَ لَسْتَ بَارِدًا وَلَا حَارًّا. لَيْتَكَ كُنْتَ بَارِدًا أَوْ حَارًّا! هَكَذَا لِأَنَّكَ فَاتِرٌ، وَلَسْتَ بَارِدًا وَلَا حَارًّا، أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي. لِأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ ٱسْتَغْنَيْتُ، وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ ٱلشَّقِيُّ وَٱلْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ. أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى بِٱلنَّارِ لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ" (رؤيا ٣: ١٤-١٨).

ملخص:

التدبير: الكنيسة.
البداية: عطاء الروح القدس في يوحنا ٢٠.
الوصف: يُنتزع الأفراد من هويتهم الجسدية ويُمنحون هوية روحية جديدة في المسيح أو المسيحية. ويتحدث الله إلى الكنيسة من خلال الكلمة المكتوبة.
المدة: دائم.

٧.المملكة.

بعد عقود من دراسة الكتاب المقدس، يبدو لي أن الكثير مما تعلمته من أولئك المعلمين الذين يستحقون بجدارة أعلى درجات الاحترام كان أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة الدينية. لنأخذ على سبيل المثال النموذج التدبيري الكلاسيكي. من السهل افتراض أن الرقم سبعة رقم مثالي أو إلهي، ثم تقسيم العالم إلى سبعة عصور أو أزمنة. يستخدم أصحاب هذا النموذج الرقم سبعة لإثبات صحة نموذجهم، ثم يستخدمون نموذجهم لإثبات أهمية الرقم سبعة. هذا يشبه استخدام التأريخ بالكربون المشع لإثبات نظرية التطور، ثم استخدام نظرية التطور لإثبات صحة التأريخ بالكربون المشع.
لنتأمل أولًا في التعليم القائل بأن التدبير السابع يبدأ بعد اختطاف الكنيسة. إن فترة الضيقه العظيمة التي تدوم سبع سنوات، وهي الأسبوع السبعون من نبوءة دانيال ٩ تُعدّ بلا شك تغييرًا جذريًا في تعامل الله مع البشر. إن أحكام الضيقة الواحد والعشرين، وخلاص بقية اليهود، وسقوط الممالك الأرضية بمجيء الرب يسوع المسيح، كلها تختلف اختلافًا ملحوظًا عن مقاصد عصر الكنيسة ونتائجه. مع ذلك، ليس من الصواب تسمية زمن ضيقة يعقوب تدبيرًا جديدًا، بل هو عودة إلى برنامج سابق، واكتمال لعصر بدأ منذ زمن بعيد.
من المثير للاهتمام أن أكثر المؤلفات قراءةً حول حقائق التدبير الإلهي تُحدد بدقة أن الضيقة ذات طبيعة يهودية، وتُبين كيف تُكمل تلك السنوات السبع النبوءات التي أُعطيت لدانيال ويوئيل وزكريا وغيرهم، وتُرشد قراءها إلى إدراك أن أحداث ذلك الوقت الرهيب هي ذروة تدبير الله تأديب شعبه الأرضي لعدم إخلاصهم للشريعة وواضعها. ثم، في الكتاب نفسه، سيصف كثير من هؤلاء الكتّاب المحنة بأنها عهد جديد. في الحقيقة، ليس هناك جديد يُعطى من الله خلال هذا الوقت، ولا تغيير في وحيه للإنسان.
لم تُعطَ كلمة جديدة من الله خلال تلك السنوات السبع. بل إن شهود الضيقة يرشدون الناس إلى كلمات دانيال وتحذيرات يسوع. ولم تُطرح وعود جديدة خلال تلك الأشهر الأربعة والثمانين. الكلمة هي: "ابقوا أحياءً حتى النهاية، وستتحسن الأمور كثيرًا." لم تُعطَ أي حقيقة جديدة لليهودي أو الأممي أو للكنيسة بين الاختطاف والمجيء الثاني.
كانت الكنيسة بمثابة قوس، قصة صغيرة أُقحمت في قصة أكبر. وكما في قصة راحاب، وقصة راعوث، وقصة المرأة التي كانت تعاني من نزيف الدم، وغيرها، فإن سرد تعامل الله مع بني إسرائيل يُقاطع ليحكي عن تعامله مع امرأة محتاجة؛ ثم تختفي، وتستأنف القصة. إن كلمات المقطع الذي يُحدد المحنة بوضوح تام تُجبرنا على اعتبارها نهاية حقبة سابقة، لا حقبة جديدة أو منفصلة.
"وَيُثَبِّتُ عَهْدًا مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَفِي وَسَطِ ٱلْأُسْبُوعِ يُبَطِّلُ ٱلذَّبِيحَةَ وَٱلتَّقْدِمَةَ، وَعَلَى جَنَاحِ ٱلْأَرْجَاسِ مُخَرِّبٌ حَتَّى يَتِمَّ

وَيُصَبَّ ٱلْمَقْضِيُّ عَلَى ٱلْمُخَرِّبِ». " (دانيال ٩: ٢٧).
ثم نتناول فكرة أن المجيء الثاني ليسوع المسيح لإقامة الملكوت يُبشّر ببزوغ فجر عهد جديد. إن عودة المخلص إلى هذه الأرض ليحكم ملك الملوك ورب الأرباب ستكون بلا شكّ التغيير الأبرز في الحياة على الأرض منذ طوفان نوح، لكنها ليست عهداً جديداً.

"وَتَكُونُ ٱلرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ" (إشعياء ٩: ٦). هذه هي الخاتمة المثالية والمجيدة لكل محاولات الإنسان الفاشلة في حكم البشر. إنها لا تُشير إلى شيء جديد في تعامل الله مع أبناء آدم، بل إلى النهاية الرائعة لأمر بدأ في بابل.
"وَيُعْطِيهِ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ" (لوقا ١: ٣٢). ونرى أيضًا أن الملكوت ليس شيئًا جديدًا، بل هو النهاية السعيدة لشيء قديم. المدينة هي أورشليم (القديمة). المكان هو جبل صهيون (القديم). العرش المقصود أسسه وتولى قيادته العديد من أبناء إبراهيم (القديمين). الآن يجلس يسوع ملكًا على اليهود (القديمين). نرى أن الملكوت ليس عهدًا جديدًا، بل هو إتمام عهد قديم.
"لِأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ ٱلشَّرِيعَةُ" (ميخا ٤: ٢). إن القواعد التي تحكم رعايا هذه المملكة ليست قواعد جديدة تُصدر بعد عودة الملك، بل هي تلك التي أنزلها هذا الملك على موسى على الجبل الناري. لن يكون هناك توزيع جديد للحق، بل سيعيش الناس خاضعين ومطيعين للقوانين التي أُنزلت سابقًا. لن تكون العبادة في ذلك اليوم جديدة في نظامها أو شكلها، بل ستكون التعبير الأمثل عن شرائع اللاويين كما وردت في حزقيال ٤٠-٤٨.
يُظهر كتاب دينونة الأمم (متى ٢٥)كيف حُفظت الخراف في الملكوت وهلكت الجداء لمجرد معاملتهم للعبرانيين. وهذا ليس بالأمر الجديد، بل هو التتويج النهائي للوعود التي قُطعت لإبراهيم. فالأرض والسلام والأمان والرخاء في ذلك الملكوت الآتي ليست أمورًا جديدة، بل هي تتويجٌ مجيدٌ لكل ما سبق.

ملخص:

التدبير: المملكة.
البداية: اختطاف الكنيسة في رسالة تسالونيكي الأولى ٤.
الوصف: ليس عهداً جديداً، بل هو إتمامٌ لعصورٍ سابقةٍ عديدة: اكتمال الحكم البشري؛ وفاءٌ بالوعود التي قُطعت لإبراهيم؛ تعليمٌ صحيحٌ للشريعة وطاعةٌ لها؛ حكمٌ للكنيسة مع المسيح. ليس هناك وحيٌ جديدٌ من الله إلى الإنسان. الله حاضرٌ على العرش في أورشليم.
المدة: دائم.

تمرّ علينا أوقات في تاريخ البشرية يُقدّم فيها الله طريقة جديدة للتعامل مع الإنسان. فإذا دبر الحق، فإنه ليس له تاريخ انتهاء أو وقت يُسحب فيه. في كل عصر من هذه العصور، يقع على عاتق الإنسان مسؤولية الإيمان بما أنزله الرب وطاعته. وفي كل عصر من هذه العصور، يخطئ الإنسان بابتعاده عن الله. وينتهي كل عصر من هذه العصور بالدينونة نتيجة لخطأ الإنسان.
حتى عندما يحكم المسيح من عرشه في أورشليم، يظل البشر يعانون من طبيعتهم الخاطئة. ستنتهي ألف سنة من السلام بحرب تمرد. شاهد كيف تبدأ المملكة وكيف تنتهي.
"وَتَقُولُ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ: «أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ، لِأَنَّهُ إِذْ غَضِبْتَ عَلَيَّ ٱرْتَدَّ غَضَبُكَ فَتُعَزِّينِي. هُوَذَا ٱللهُ خَلَاصِي فَأَطْمَئِنُّ وَلَا أَرْتَعِبُ، لِأَنَّ يَاهَ يَهْوَهَ قُوَّتِي وَتَرْنِيمَتِي وَقَدْ صَارَ لِي خَلَاصًا». فَتَسْتَقُونَ مِيَاهًا بِفَرَحٍ مِنْ يَنَابِيعِ ٱلْخَلَاصِ. وَتَقُولُونَ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ: «ٱحْمَدُوا ٱلرَّبَّ. ٱدْعُوا بِٱسْمِهِ. عَرِّفُوا بَيْنَ ٱلشُّعُوبِ بِأَفْعَالِهِ. ذَكِّرُوا بِأَنَّ ٱسْمَهُ قَدْ تَعَالَى. رَنِّمُوا لِلرَّبِّ لِأَنَّهُ قَدْ صَنَعَ مُفْتَخَرًا. لِيَكُنْ هَذَا مَعْرُوفًا فِي كُلِّ ٱلْأَرْضِ. صَوِّتِي وَٱهْتِفِي يَا سَاكِنَةَ صِهْيَوْنَ، لِأَنَّ قُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ عَظِيمٌ فِي وَسَطِكِ»." (إشعياء ١٢: ١-٦).
"ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ ٱلْأَلْفُ ٱلسَّنَةِ يُحَلُّ ٱلشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ ٱلْأُمَمَ ٱلَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا ٱلْأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، ٱلَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ ٱلْبَحْرِ. فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ ٱلْأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ ٱلْقِدِّيسِينَ وَبِٱلْمَدِينَةِ ٱلْمَحْبُوبَةِ، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ. وَإِبْلِيسُ ٱلَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ ٱلنَّارِ وَٱلْكِبْرِيتِ، حَيْثُ ٱلْوَحْشُ وَٱلنَّبِيُّ ٱلْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلًا إِلَى أَبَدِ ٱلْآبِدِينَ." (رؤيا ٢٠: ٧-١٠).
بغض النظر عن الحقيقة التي يمنحها الله للإنسان، وبغض النظر عن الطريقة التي يختار الله التعامل بها مع الإنسان، فإن كل عصر ينتهي بالفشل.
ينتهي عصر البراءة بسقوط الإنسان في الخطيئة. ويؤدي عصر الضمير إلى طوفان نوح. وتقودنا الحكومات البشرية إلى برج بابل وكارثة تفرق الألسنة وتشتت الشعوب. ويؤدي عصر الوعد إلى الضربات العشر في مصر والغرق في البحر الأحمر. ينتهي عهد الشريعة بموت المسيح الدامي على جبل الجلجلة. ومع نهاية عصر الكنيسة، يغرق العالم في محنة عظيمة ويتجه نحو هرمجدون. وتنتهي المملكة بتدمير السماوات والأرض بالنار. ومن الواضح أن الأمل الوحيد لأي إنسان هو، وما زال، نعمة الله ورحمته.
من المثير للاهتمام أن نتأمل كيف ينعكس تجلي حقائق التدبير الإلهي من الله إلى الإنسان في عمل الله في حياة كل من يعرف الرب يسوع المسيح مخلصًا له.

البراءة :طفل صغير يضرب أخاه للمرح ويضحك، أو يضرب أخته كعدوان ثم يزحف بعيدًا. في حالة البراءة، لا يوجد تفكير في الخطأ ولا شعور بالذنب ينشأ عن الفعل، مع أن الفعل خاطئ.

الضمير :بعد فترة، يستيقظ الضمير. الآن تُوجَّه الضربة نفسها، ولكن مع مراعاة الوالدين، مع العلم أن هذا الفعل غير مقبول وسيؤدي إلى العقاب.

الحكومة :مع تقدم الطفل في السن، يقوم الأب والأم والمعلم بتوجيه الطفل، مع العلم أن الضمير قد يشهد ولكنه في أغلب الأحيان لا يستطيع كبحه.

وعد :عندما ينتقل الطفل من مرحلة البراءة إلى مرحلة الوعي الذي تحكمه قوى خارجية، نشجع السلوك الحسن، ونزرع الأمل، وننمي المحبة من خلال تقديم الوعود. فالوالد الصالح لا يمارس دوره في توجيه أبنائه فحسب، بل يمنحهم أيضًا الأمل في المكافأة. أكرموا والديكم: حياة مديدة. تفوقوا في الدراسة: فرص عمل أفضل. أحسنوا معاملة الآخرين: احصدوا ما زرعتم. نحن نعلم القلة الذين أوكلت إلينا رعايتهم بالطريقة نفسها التي عامل بها الله البشرية. هناك حدود، ولكن يبقى الأمل في مكافأة مجزية لمن يلتزم بها.

الناموس :عندما يبدأ الطفل أو الرجل بالتمرد على الحكم البشري، وعندما تبدو الوعود بعيدة المنال لدرجة لا تُحفزه في الوقت الحاضر، يتدخل الناموس لتقييد الأمور، ومعاقبة الناس، وتحديد هويتهم، وبث الخوف في نفوسهم. لا يُصلح الناموس قلوب الناس أمام الله، ولكن إلى أن تُصلح قلوبهم، فإن التهديد بالناموس يُبقي تمردهم ضمن حدود يمكن السيطرة عليها.

الكنيسة :استكمالًا لتأملنا في توافق الظروف مع حياة الفرد، فلننظر إلى الطفل الذي انتقل من البراءة إلى الوعي، ليجد أن سلطة الدولة البشرية ونظام الشريعة قد تركاه مذنباً وضائعاً. إنه يتوق إلى ما وُعد به، لكن الشريعة تُثقل كاهله. فيأتي إلى يسوع المسيح وينضم إلى الكنيسة. كل تلك المؤثرات السابقة تُسهم في شعوره بعدم الاستحقاق، وإدراكه لفشله، وتوبته. كل ذلك يدفعه إلى نعمة الله كما وُجدت في يسوع المسيح.

إنّ الغفران الممنوح والحياة الجديدة التي تُمنح لا تُزيل الضمير أو الحكومة أو الوعود أو القانون. بل إنّ نعمة الله تُوصل الإنسان المولود من جديد إلى فهم وتقدير صحيحين لما أنعم به عليه الرب سابقاً.

المملكة -سيحكم المؤمن ويسود إلى الأبد مع الرب يسوع.

الفصل الرابع: ملكوت السماوات وملكوت الله.

بغض النظر عن عدم التمييز بين إسرائيل والكنيسة، لم يثبت شيء أنه مصدر خطأ أكبر لدارس الكتاب المقدس الصادق من الاعتقاد الشائع بأن ملكوت السماوات وملكوت الله واحد. لا يؤدي هذا إلى الكثير من الالتباس العقائدي فحسب، بل لو كانا واحدًا، لأدى ذلك إلى ظهور تناقضات لا حصر لها في نص العهد الجديد.

ببساطة (مؤقتًا، مع شرح مفصل لاحقًا)، ملكوت السماوات هو الملكوت المادي على هذه الأرض. وقد سمح الله للبشر بالسيطرة على هذا الملكوت بدءًا من آدم وانتهاءً بيسوع المسيح. ملكوت الله هو الملكوت الروحي، وهو غير مرئي وغير مدرك من قبل غالبية الناس، وقد كان دائمًا تحت حكم الله.

قلةٌ من الكُتّاب والمُعلّقين، وبالتالي قلةٌ من الوعاظ، يُقرّون بالاختلاف بين المملكتين. في الواقع، يُعدّ القول بأنهما ليستا متطابقتين أمرًا مثيرًا للجدل. أرجو من القارئ أن يتخلى عن أيّة أفكار مُسبقة وأن يقرأ هذا الفصل بتأنٍّ. إذا كنت تعتقد أن المملكتين متطابقتان، وما زلتَ مُقتنعًا بذلك بعد الاستماع إلى الأفكار التالية بإنصاف، فلا بأس. لكن لا تتجاهل أو ترفض ما ورد هنا لمُجرّد أنه لا يتوافق مع ما تعلّمته.

يبدو أنه ينبغي أن نبدأ بتاريخ ما يسميه متى ملكوت السماوات. كان هدف الله منذ الفصل الأول من سفر التكوين هو إقامة مملكة مرئية على الأرض. في نهاية أيام الخلق الستة، أعطى الله الإنسان الذي كان قد خلقه سلطانا على الأرض. لم يمنحه الوكالة، كما هو الحال مع من يشرفون على كنيسة العهد الجديد. بل منحه السلطان. كان هو الحاكم.

"وَقَالَ ٱللهُ: «نَعْمَلُ ٱلْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ ٱلْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ ٱلسَّمَاءِ وَعَلَى ٱلْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ ٱلْأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ ٱلدَّبَّابَاتِ ٱلَّتِي تَدِبُّ عَلَى ٱلْأَرْضِ». فَخَلَقَ ٱللهُ ٱلْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ ٱللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ ٱللهُ وَقَالَ لَهُمُ: «أَثْمِرُوا وَٱكْثُرُوا وَٱمْلَأُوا ٱلْأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ ٱلْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ ٱلسَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى ٱلْأَرْضِ»." (تكوين ١: ٢٦-٢٨).

خُلق الإنسان ليحكم الأرض.

في سفر التكوين "٣" تنازل آدم عن سلطته للشيطان، الذي صار إله هذا العالم (كورنثوس الثانية ٤:٤)وسيطر على الممالك(متى ٤: ٨ – ١٠ \\ لوقا ٤: ٥ – ٦). "وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: «لَكَ أُعْطِي هَذَا ٱلسُّلْطَانَ كُلَّهُ وَمَجْدَهُنَّ، لِأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ، وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ." صحيح أن الرب قد يمارس سلطته العظيمة وينصب الملوك ويعزلهم (دانيال ٢: ٢١) إلا أن تغيير السلطة الذي حدث في الجنة لا يزال ساريًا.

في يوحنا (١٤: ٣٠) قال يسوع: "لَا أَتَكَلَّمُ أَيْضًا مَعَكُمْ كَثِيرًا، لِأَنَّ رَئِيسَ هَذَا ٱلْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ."، معترفًا بأن الشيطان هو القوة الحاكمة لنظام العالم الحالي.

هذا يعني أن لكل ما يؤثر على البشر مستويين من التأثير: الله، وهو الأعلى الذي منح آدم السيادة، والشيطان، الذي سُمح له بممارسة السيادة (أيوب ١) نتيجةً لتنازل آدم الطوعي عن السلطة. مع أن الرب يسوع المسيح قد مات ودُفن وقام، إلا أن هذا الترتيب لم يتغير، كما رأينا في فصل سابق.

في سفر دانيال "٢" يُطلع الله نبيًا عبرانيًا وملكًا من الأمم على تاريخ الحكم البشري منذ عهد نبوخذنصر فصاعدًا. يُعلن الرب عن القوى التي ستسود على الأرض. ولا نجد أن ممالك هذا العالم قد أصبحت ممالك ربنا ومسيحه إلا في نهاية الفترة الزمنية التي غطتها نبوءة دانيال. "ثُمَّ بَوَّقَ ٱلْمَلَاكُ ٱلسَّابِعُ، فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي ٱلسَّمَاءِ قَائِلَةً: «قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ ٱلْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ ٱلْآبِدِينَ»." (رؤيا ١١: ١٥).

لقد انتقلنا فجأة من الجنة إلى بابل ثم إلى المجيء الثاني للمسيح. فلنعد إلى الوراء ونتناول الأمور بتأنٍّ أكبر ونُضيف إليها العديد من التفاصيل الضرورية.

في دعوة إبراهيم، خطا الله خطوة عظيمة نحو إقامة ملكوته على الأرض. باختياره لهذا الرجل، اختار الشعب الذي سيحكم من خلاله: العبرانيين.

ثم أضاف عن طريق موسى إلى الأمة الأسرائيلية القوانين التي سيحكم بها المملكة. باستخدام يشوع والقضاة، أشرف الله على غزو الأرض التي سيقيم فيها مملكته. ثم أسس عن طريق داود العرش على جبل صهيون، ومنه سينصب في يوم من الأيام رجله المختار ليحكم جميع الأمم.

بينما جاء يسوع في المرة الأولى ليتألم من أجل الخطايا ليخلص الخطاة، فقد بشّرت تلك المجيء الأول بتحقيق العديد من النبوءات المتعلقة بالمسيح الذي سيملك على الأرض ملكًا لليهود ومخلصًا للعالم. كانت خدمة يوحنا المعمدان، والمعجزات، ودخوله المظفر إلى السماء، مجرد أمثلة قليلة على الأسباب التي دفعت الكثيرين للاعتقاد بأن يسوع سيتولى الحكم ويقيم عرشه في ذلك الوقت.

خلافًا لما يُشاع، لم يكن تاريخ إسرائيل في العهد القديم محاولة فاشلة لإقامة المملكة عن طريق العبرانيين. بل استخدم الله العبرانيين لوضع أساس المملكة التي سيحكمها يسوع المسيح في نهاية المطاف. قد يُلمّح البعض، بل ويُصرّح آخرون، بأن الله فشل ولجأ إلى الكنيسة كخطة بديلة ريثما يستعيد قوته لمحاولة ثانية لإقامة المملكة. هذا اعتقاد خاطئ تمامًا. لم تنل إسرائيل بركاتها كاملةً مؤقتًا ليس لأن الله كان مُعاقًا عن مقاصده، بل لأن النبوءات كانت تتحدث عن معاناة المسيح من أجل الخطيئة، ثم يتبعها المجد.

أثناء تولي صموئيل القيادة، ثار الشعب ضد حكم الله. اختاروا شاول لأنهم أرادوا ملكًا بشريًا مثل باقي الأمم (صموئيل الأول ٨).ورغم اعتراض الرائي، أصرّوا، فاستجاب الله لرغبتهم. وعندما فشل اختيار الشعب فشلًا ذريعًا، اختار الله داود. حتى مع

أن داود كان قلبه متعلقاً بالله، إلا أنه وورثته كانوا مذنبين بسوء الحكم، ثم عبادة الأصنام، ثم التمرد، الذي استولى على الأمة بتواتر متزايد حتى انفصل الله عن الملكية العبرية.

في حزقيال (١٠: ١٨-٢٠) نرى رحيل الرب من البيت المبني لاسمه." وَخَرَجَ مَجْدُ ٱلرَّبِّ مِنْ عَلَى عَتَبَةِ ٱلْبَيْتِ وَوَقَفَ عَلَى ٱلْكَرُوبِيمِ. فَرَفَعَتِ ٱلْكَرُوبِيمُ أَجْنِحَتَهَا وَصَعِدَتْ عَنِ ٱلْأَرْضِ قُدَّامَ عَيْنَيَّ. عِنْدَ خُرُوجِهَا كَانَتِ ٱلْبَكَرَاتُ مَعَهَا، وَوَقَفَتْ عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ بَيْتِ ٱلرَّبِّ ٱلشَّرْقِيِّ، وَمَجْدُ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ. هَذَا هُوَ ٱلْحَيَوَانُ ٱلَّذِي رَأَيْتُهُ تَحْتَ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ عِنْدَ نَهْرِ خَابُورَ. وَعَلِمْتُ أَنَّهَا هِيَ ٱلْكَرُوبِيمُ".

نزل الله على عرشه السماوي، وحام فوق أورشليم، وأظهر مجده من فوق تابوت العهد. فخرج التابوت من الهيكل وعاد إلى مكانه عند الله.

يقول حزقيال (١١: ٢٢-٢٣) "ثُمَّ رَفَعَتِ ٱلْكَرُوبِيمُ أَجْنِحَتَهَا وَٱلْبَكَرَاتِ مَعَهَا، وَمَجْدُ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ. وَصَعِدَ مَجْدُ ٱلرَّبِّ مِنْ عَلَى وَسْطِ ٱلْمَدِينَةِ وَوَقَفَ عَلَى ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي عَلَى شَرْقِيِّ ٱلْمَدِينَةِ." ثم اختفى مجد الله، وغادر الهيكل، وعبر وادي قدرون إلى جبل الزيتون. وشاهد حزقيال مجد الله وهو يرحل.

ننتقل الآن إلى حزقيال (٢١: ٢٥-٢٧) "«وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلنَّجِسُ ٱلشِّرِّيرُ، رَئِيسُ إِسْرَائِيلَ، ٱلَّذِي قَدْ جَاءَ يَوْمُهُ فِي زَمَانِ إِثْمِ ٱلنِّهَايَةِ، هَكَذَا قَالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ: ٱنْزِعِ ٱلْعَمَامَةَ. ٱرْفَعِ ٱلتَّاجَ. هَذِهِ لَا تِلْكَ. ٱرْفَعِ ٱلْوَضِيعَ، وَضَعِ ٱلرَّفِيعَ. مُنْقَلِبًا، مُنْقَلِبًا، مُنْقَلِبًا أَجْعَلُهُ! هَذَا أَيْضًا لَا يَكُونُ حَتَّى يَأْتِيَ ٱلَّذِي لَهُ ٱلْحُكْمُ فَأُعْطِيَهُ إِيَّاهُ".

هنا سُلِبَ التاج من ملوك إسرائيل. ولن يضع الله الآب ذلك التاج على رأس ملك عبراني آخر حتى يضعه على رأس ابنه، يسوع المسيح.

بعد ستمائة عام من خلع التاج (حزقيال ٢١) وُلِدَ طفلٌ في بلدة صغيرة تُدعى بيت لحم. يقول إنجيل لوقا (١: ٢٦-٣٣) "وَفِي ٱلشَّهْرِ ٱلسَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ ٱلْمَلَاكُ مِنَ ٱللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ ٱلْجَلِيلِ ٱسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ ٱسْمُهُ يُوسُفُ. وَٱسْمُ ٱلْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا ٱلْمَلَاكُ وَقَالَ: «سَلَامٌ لَكِ أَيَّتُهَا ٱلْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! ٱلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي ٱلنِّسَاءِ». فَلَمَّا رَأَتْهُ ٱضْطَرَبَتْ مِنْ كَلَامِهِ، وَفَكَّرَتْ: «مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ ٱلتَّحِيَّةُ!». فَقَالَ لَهَا ٱلْمَلَاكُ: «لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لِأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ ٱللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ٱبْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَٱبْنَ ٱلْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى ٱلْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ".«

لقد عاد الله، وقد حُجب مجده بجسد بشري. مع أن مجيء الرب يسوع الأول كان ليموت من أجل خطايا العالم، إلا أننا نرى في هذا الإعلان أنه الملك الذي سيفعل:

-يقيم مملكة أبدية.

-يجلس على عرش أبيه داود.

-على جبل صهيون.

-في وسط أرض الميعاد.

-يحكم بالشريعة التي أنزلت على موسى.

-على الشعب المنحدر من ابراهيم.

أُحضر وهو طفل إلى الهيكل (لوقا ٢: ٢٧)وبعد اثنتي عشرة سنة أذهل الأطباء هناك بمعرفته (لوقا ٢: ٤٦).

بعد ثلاثين عامًا، صدر إعلان." وَفِي تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ ٱلْيَهُودِيَّةِ قَائِلًا: «تُوبُوا، لِأَنَّهُ قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ. فَإِنَّ هَذَا هُوَ ٱلَّذِي قِيلَ عَنْهُ بِإِشَعْيَاءَ ٱلنَّبِيِّ ٱلْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ ٱلرَّبِّ. ٱصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً»." (متى ٣: ١-٣).

انظر إلى ما يُستخدم بشكل متبادل في هذه الآيات. ما هو المقصود بكلمة "قريب" في الآية "٢"؟ أنها ملكوت السماوات.

من الذي يمهد سبله مستقسمة في الآية "٣"؟ إنه الرب. لا يُمكن أن يكون لديك الملكوت بدون الملك. لم يُطلب من يوحنا أن يُهيئ طريق الملكوت، بل قيل له: "أَعِدُّوا طَرِيقَ ٱلرَّبِّ." عندما يجلس الرب على العرش، سترون تحقيق وعود ملكوت السماوات – وليس قبل ذلك.

في الفصل التالي نقرأ: "مِنْ ذَلِكَ ٱلزَّمَانِ ٱبْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: «تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ»." (متى ٤: ١٧). ثم في متى (١٠: ١, ٥, ٧) نقرأ: "ثُمَّ دَعَا تَلَامِيذَهُ ٱلِٱثْنَيْ عَشَرَ... هَؤُلَاءِ ٱلِٱثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ ... وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ ٱكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ." استطاع يوحنا ويسوع والتلاميذ أن يقولوا هذا لأن الملك كان حاضرًا.

هناك سبب واحد يجعل الحروب والمؤامرات السياسية والأمم المتحدة والنشاط الاجتماعي كلها عبثاً. فبعد كل حرب، وكل انتخابات، وكل بابا راحل، وكل ميدالية ذهبية، وكل حفل تخرج جامعي، وكل مسيرة سلام، وكل قداس كنسي، لا يزال الشيطان يسيطر على ممالك هذا العالم.

حكم نبوخذنصر من بابل، ثم حكم داريوس من فارس، ثم جاء دور اليونانيين والرومان، لكن لم ينتزع أي منهم شبراً واحداً من أرض الشيطان. جاؤوا ورحلوا، لكنه بقي في السلطة.

يبدأ العهد الجديد بإعلان اقتراب ملكوت السماوات، لأن الشخص الذي يملك القدرة على استعادة ما فقده آدم كان حاضرًا. لم تكن حركة سياسية يقودها يسوع، ولا حركة دينية يُحرك فيها يسوع الجماهير، بل كانت قوة عظيمة كافية لإعادة السيادة التي فقدها آدم

إلى مكانها الصحيح. أعطاها الله لرجل، وعلى هذا الرجل أن يستعيدها. لا يمكن أن يكون هذا الرجل من نسل آدم، لأن جميع نسله مشاركون في الخراب الذي أحدثه سقوطه. ولكن إذا تجسد الله في صورة آدم الأخير، من نسل إبراهيم وداود، فهناك أمل. إذا كان بإمكان مولود من عذراء أن ينهض ملكًا على اليهود، فإن المستقبل مشرق.

"وَبَعْدَ ذَلِكَ عَيَّنَ ٱلرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضًا، وَأَرْسَلَهُمُ ٱثْنَيْنِ ٱثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعًا أَنْ يَأْتِيَ.... وَٱشْفُوا ٱلْمَرْضَى ٱلَّذِينَ فِيهَا، وَقُولُوا لَهُمْ: قَدِ ٱقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ ٱللهِ. ... حَتَّى ٱلْغُبَارَ ٱلَّذِي لَصِقَ بِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَنْفُضُهُ لَكُمْ. وَلَكِنِ ٱعْلَمُوا هَذَا: إِنَّهُ قَدِ ٱقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ ٱللهِ." (لوقا ١٠: ١, ٩, ١١).

عُرضت المملكتان بإيجاز لأن رجلًا واحداً هو ملكهما. ومع ذلك، فقد أوضح هذا الإله المتجسد جلياً أن هناك فرقاً شاسعاً بين الممالك المادية المرئية التي اعتاد عليها البشر وملكوت الله.

يشير ملكوت الله إلى سيادة الرب الروحية، حتى في الأماكن والأزمنة التي تكون فيها القوة المادية في أيدي أعدائه. انظر إلى لوقا (١٧: ٢٠-٢١) "وَلَمَّا سَأَلَهُ ٱلْفَرِّيسِيُّونَ: «مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ ٱللهِ؟». أَجَابَهُمْ وَقَالَ: «لَا يَأْتِي مَلَكُوتُ ٱللهِ بِمُرَاقَبَةٍ، وَلَا يَقُولُونَ: هُوَذَا هَهُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لِأَنْ هَا مَلَكُوتُ ٱللهِ دَاخِلَكُمْ»." إنه ملكوت داخلي غير مرئي، لا يمكن ملاحظته. ليس له عرش، ولا مدينة، ولا أرض، ولا جنس بشري مرئي. إنه أمر داخلي يحكم فيه الله ويسود في قلوب المؤمنين.

يقول الكتاب المقدس في رسالة رومية (١٤: ١٧)"لِأَنْ لَيْسَ مَلَكُوتُ ٱللهِ أَكْلًا وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلَامٌ وَفَرَحٌ فِي ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ."

ملكوت الله يحكمه في هذه الساعة الرب يسوع المسيح، "ٱلَّذِي سَيُبَيِّنُهُ فِي أَوْقَاتِهِ ٱلْمُبَارَكُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْوَحِيدُ: مَلِكُ ٱلْمُلُوكِ وَرَبُّ ٱلْأَرْبَابِ "(١ تيموثاوس ٦: ١٥). لا يحتاج أن يعود ليطالب به أو ليقهر أي عدو ليحكمه. "وَمَلِكُ ٱلدُّهُورِ ٱلَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا يُرَى، ٱلْإِلَهُ ٱلْحَكِيمُ وَحْدَهُ، لَهُ ٱلْكَرَامَةُ وَٱلْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ ٱلدُّهُورِ. آمِينَ." (١ تيموثاوس ١: ١٧).لم يُذكر قط أن يسوع ملك على الكنيسة، ولكنه ملك على ملكوت الله، الذي الكنيسة جزء منه.

والآن ننتقل إلى متى (٢١: ٤٢-٤٣) "قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي ٱلْكُتُبِ: ٱلْحَجَرُ ٱلَّذِي رَفَضَهُ ٱلْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ ٱلزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ ٱلرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ ٱللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ".

في ذلك الوقت، كانت المملكة الروحية ملكًا لليهود. في زمن العهد القديم، كان الله يحكمهم ومن خلالهم روحيًا وماديًا. وكانت تربطه بهم علاقة عهد، وكذلك بالأمم الأخرى من خلالهم فقط.

يقول الكتاب المقدس في رسالة رومية (٩: ٣-٥) "فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ ٱلْمَسِيحِ لِأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ ٱلْجَسَدِ، ٱلَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلَهُمُ ٱلتَّبَنِّي وَٱلْمَجْدُ وَٱلْعُهُودُ وَٱلِٱشْتِرَاعُ وَٱلْعِبَادَةُ وَٱلْمَوَاعِيدُ، وَلَهُمُ ٱلْآبَاءُ، وَمِنْهُمُ ٱلْمَسِيحُ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ، ٱلْكَائِنُ عَلَى ٱلْكُلِّ إِلَهًا مُبَارَكًا إِلَى ٱلْأَبَدِ. آمِينَ".

وفي أفسس (٢: ١١-١٢) "لِذَلِكَ ٱذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ **ٱلْأُمَمُ** قَبْلًا فِي ٱلْجَسَدِ، ٱلْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ ٱلْمَدْعُوِّ خِتَانًا مَصْنُوعًا بِٱلْيَدِ فِي ٱلْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، **أَجْنَبِيِّينَ** عَنْ رَعَوِيَّةِ **إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ ٱلْمَوْعِدِ، لَا رَجَاءَ لَكُمْ، وَبِلَا إِلَهٍ فِي ٱلْعَالَمِ".**

كانت لإسرائيل علاقة بالله الحق الحي في العالمين المادي والروحي. أما إذا أراد أحد الأمميين أن تكون له علاقة بالله، فستكون هذه العلاقة محدودة للغاية ما لم يكن لديه الوحي الذي أنزله الله على بني إسرائيل. في إنجيل متى "٢١" أخبر يسوع بني إسرائيل أنه لن يستخدمهم بعد الآن لتعريف العالم بنفسه، لأنهم إما رفضوا تمثيله أمام الأمميين أو أساءوا تمثيله بسلوكهم (انظر رومية ٢: ٢٤).

سيأخذ الملكوت الروحي ويعهد به إلى آخرين: كنيسته.

قارن متى (٢١: ٤٢) مع ما ورد في (١ بطرس ٢: ٤-١٠) "قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي ٱلْكُتُبِ: ٱلْحَجَرُ ٱلَّذِي رَفَضَهُ ٱلْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ ٱلزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ ٱلرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا!" (متى ٢١: ٤٢). "ٱلَّذِي إِذْ تَأْتُونَ إِلَيْهِ، حَجَرًا حَيًّا مَرْفُوضًا مِنَ ٱلنَّاسِ، وَلَكِنْ مُخْتَارٌ مِنَ ٱللهِ كَرِيمٌ... فَلَكُمْ أَنْتُمُ ٱلَّذِينَ تُؤْمِنُونَ ٱلْكَرَامَةُ، وَأَمَّا لِلَّذِينَ لَا يُطِيعُونَ، «فَٱلْحَجَرُ ٱلَّذِي رَفَضَهُ ٱلْبَنَّاؤُونَ، هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ ٱلزَّاوِيَةِ» ... وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ ...ٱلَّذِينَ قَبْلًا لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا ٱلْآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ ٱللهِ." (١ بطرس ٢: ٤-١٠).

رفض بنو إسرائيل الصخرة التي سيُبنى عليها الكنيسة. فخلق الرب أمة جديدة وأعطاهم حجر الزاوية الثمين هذا. والآن، لا يأتي الراغبون في الخلاص إلى الله عن طريق اليهود، بل عن طريق التبشير بالإنجيل الذي أوكل إلى الكنيسة.

دعونا نعود ونلقي نظرة فاحصة على القوى الأممية التي سيطرت على ملكوت السماوات منذ أن فارق مجد الرب إسرائيل. لهذا الغرض، نبدأ من سفر دانيال ٢.

كان الملك نبوخذنصر ملك بابل منزعجًا من حلم، لكنه لم يستطع تذكر تفاصيله. وكان النبي اليهودي، المقيم في المنفى في بابل، يتمتع بسمعة طيبة في القصر. فأخبر أحد رجال الحاشية أنه يستطيع حل المشكلة.

في دانيال (٢: ٢٥-٢٨أ) نقرأ" :**حِينَئِذٍ دَخَلَ أَرْيُوخُ بِدَانِيآلَ إِلَى قُدَّامِ ٱلْمَلِكِ مُسْرِعًا وَقَالَ لَهُ هَكَذَا: «قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا** ....فدعا الملك العبراني باسمه البابلي، وقال: "لِدَانِيآلَ، ٱلَّذِي ٱسْمُهُ بَلْطَشَاصَّرُ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْتَ عَلَى أَنْ تُعَرِّفَنِي بِٱلْحُلْمِ ٱلَّذِي رَأَيْتُ، وَبِتَعْبِيرِهِ؟» أَجَابَ دَانِيآلُ قُدَّامَ ٱلْمَلِكِ وَقَالَ: «ٱلسِّرُّ ٱلَّذِي طَلَبَهُ ٱلْمَلِكُ لَا تَقْدِرُ ٱلْحُكَمَاءُ وَلَا ٱلسَّحَرَةُ وَلَا ٱلْمَجُوسُ وَلَا ٱلْمُنَجِّمُونَ عَلَى أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلْمَلِكِ. لَكِنْ يُوجَدُ إِلَهٌ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ كَاشِفُ ٱلْأَسْرَارِ، وَقَدْ عَرَّفَ ٱلْمَلِكَ نَبُوخَذْنَصَّرَ مَا يَكُونُ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْأَخِيرَةِ".

تشير عبارة "الأيام الأخيرة" في أغلب الأحيان إلى تعامل الله مع اليهود في نهاية الضيقة العظيمة. إن الأمر الذي وضعه الله في ذهن هذا الملك سيمتد عبر الزمن من ذلك اليوم وحتى يوم الرب.

"حُلْمُكَ وَرُؤْيَا رَأْسِكَ عَلَى فِرَاشِكَ هُوَ هَذَا: أَنْتَ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَفْكَارُكَ عَلَى فِرَاشِكَ صَعِدَتْ إِلَى مَا يَكُونُ مِنْ بَعْدِ هَذَا، وَكَاشِفُ ٱلْأَسْرَارِ يُعَرِّفُكَ بِمَا يَكُونُ. أَمَّا أَنَا فَلَمْ يُكْشَفْ لِي هَذَا ٱلسِّرُّ لِحِكْمَةٍ فِيَّ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ ٱلْأَحْيَاءِ، وَلَكِنْ لِكَيْ يُعَرَّفَ ٱلْمَلِكُ بِٱلتَّعْبِيرِ، وَلِكَيْ تَعْلَمَ أَفْكَارَ قَلْبِكَ.«أَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ كُنْتَ تَنْظُرُ وَإِذَا بِتِمْثَالٍ عَظِيمٍ." (الآيات ٢٨ب الى ٣١أ). يتفق جميع الكُتّاب على أن هذه الصورة كانت على هيئة إنسان. وهذا أمر منطقي. فهو يُذكّرنا بكلمات رومية (١: ٢٣) "وَأَبْدَلُوا مَجْدَ ٱللهِ ٱلَّذِي لَا يَفْنَى **بِشِبْهِ صُورَةِ ٱلْإِنْسَانِ** ٱلَّذِي يَفْنَى، وَٱلطُّيُورِ، وَٱلدَّوَابِّ، وَٱلزَّحَّافَاتِ".

يواصل دانيال وصف هذه الصورة البراقة. "هَذَا ٱلتِّمْثَالُ ٱلْعَظِيمُ ٱلْبَهِيُّ جِدًّا وَقَفَ قُبَالَتَكَ، وَمَنْظَرُهُ هَائِلٌ. رَأْسُ هَذَا ٱلتِّمْثَالِ مِنْ **ذَهَبٍ** جَيِّدٍ. صَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ **فِضَّةٍ** .بَطْنُهُ وَفَخْذَاهُ مِنْ **نُحَاسٍ** .سَاقَاهُ مِنْ **حَدِيدٍ** .قَدَمَاهُ بَعْضُهُمَا مِنْ **حَدِيدٍ وَٱلْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ** ". (الآيات ٣١ب – ٣٣). نلاحظ أن قيمة المعادن تتضاءل كلما انتقلنا من الأعلى إلى الأسفل. تصبح أضعف وأقل قيمة كلما تقدمنا في الوصف. إنها تتدهور من الأعلى إلى الأسفل. تصبح أقل قيمة. ليست نقية. الوصف الأول يصف شيئًا ذا قيمة عظيمة. أما الأخير فهو عديم القيمة تقريبًا.

"كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى أَنْ قُطِعَ حَجَرٌ بِغَيْرِ يَدَيْنِ، فَضَرَبَ ٱلتِّمْثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ ٱللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَخَزَفٍ فَسَحَقَهُمَا." (الآية ٣٤).سيقرأ الدارسُ المُلِّم بالكتاب المقدس عن هذا الحجر، وسيتبادر إلى ذهنه الرب يسوع المسيح. قبل أي تفسير، نستنتج أن يسوع المسيح يُحطّم جميع أجزاء هذا التمثال. لا يهمّه نوع المعدن المصنوع منه، فهو يُدمّرها جميعًا تدميرًا كاملًا.

"فَٱنْسَحَقَ حِينَئِذٍ ٱلْحَدِيدُ وَٱلْخَزَفُ وَٱلنُّحَاسُ وَٱلْفِضَّةُ وَٱلذَّهَبُ **مَعًا**، وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ ٱلْبَيْدَرِ فِي ٱلصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا ٱلرِّيحُ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَكَانٌ. أَمَّا ٱلْحَجَرُ ٱلَّذِي ضَرَبَ ٱلتِّمْثَالَ فَصَارَ جَبَلًا كَبِيرًا وَمَلَأَ ٱلْأَرْضَ كُلَّهَا." (الآية ٣٥).كلمة "معًا" مهمة، فهي تدلّ على أن كل ما كان في رأس الذهب قد انتقل إلى قدمي الطين، وكل ما كان في جذع الفضة قد انتقل إلى قدمي الطين، وكل ما كان في خاصرتي النحاس وساقي الحديد قد انتقل إلى القدمين. الوضع الأخير هو مستودع كل ما سبقه. كانت المجموعة الموحدة والمتعددة الثقافات لبقايا الممالك المدمرة أضعف وأكثر انحطاطًا مما سبقها. نظر الله إلى ذروة كل محاولات الإنسان لحكم الأرض وأرسل ابنه لتدميرها.

"فَٱنْسَحَقَ حِينَئِذٍ ٱلْحَدِيدُ وَٱلْخَزَفُ وَٱلنُّحَاسُ وَٱلْفِضَّةُ وَٱلذَّهَبُ مَعًا، وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ ٱلْبَيْدَرِ فِي ٱلصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا ٱلرِّيحُ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَكَانٌ. أَمَّا ٱلْحَجَرُ ٱلَّذِي ضَرَبَ ٱلتِّمْثَالَ فَصَارَ جَبَلًا كَبِيرًا وَمَلَأَ ٱلْأَرْضَ كُلَّهَا. هَذَا هُوَ ٱلْحُلْمُ. فَنُخْبِرُ بِتَعْبِيرِهِ قُدَّامَ ٱلْمَلِكِ.«أَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مَلِكُ مُلُوكٍ، لِأَنَّ إِلَهَ ٱلسَّمَاوَاتِ أَعْطَاكَ مَمْلَكَةً وَٱقْتِدَارًا وَسُلْطَانًا وَفَخْرًا." (الآيات ٣٥-٣٧).لا حاجة للتكهنات. يُقال إن رأس الذهب هو نبوخذنصر، حاكم بابل. وقد قيل لنا إن الله منحه سلطته وقوته.

"وَحَيْثُمَا يَسْكُنُ بَنُو ٱلْبَشَرِ وَوُحُوشُ ٱلْبَرِّ وَطُيُورُ ٱلسَّمَاءِ دَفَعَهَا لِيَدِكَ وَسَلَّطَكَ عَلَيْهَا جَمِيعِهَا. فَأَنْتَ هَذَا ٱلرَّأْسُ مِنْ ذَهَبٍ." (الآية ٣٨).هذه المملكة معترف بها من الله كقوة غير يهودية تحكم الأرض.

"وَبَعْدَكَ تَقُومُ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَصْغَرُ مِنْكَ وَمَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نُحَاسٍ فَتَتَسَلَّطُ عَلَى كُلِّ ٱلْأَرْضِ." (الآية ٣٩). وعد الله القوى اللاحقة بأن يكون لها سلطان كما عرفه نبوخذنصر، لكن ممالكها ستكون أدنى من سلطانه. ثمة جدل واسع حول أي من القوى غير اليهودية حققت هذه النبوءة، لكن حل هذا اللغز لا علاقة له بالموضوع المطروح.

"وَتَكُونُ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَٱلْحَدِيدِ، لِأَنَّ ٱلْحَدِيدَ يَدُقُّ وَيَسْحَقُ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَٱلْحَدِيدِ ٱلَّذِي يُكَسِّرُ تَسْحَقُ وَتُكَسِّرُ كُلَّ هَؤُلَاءِ." (الآية ٤٠).المقصود هو أن إمبراطورية رابعة ستسيطر على شعوب الأرض. ويُفهم ضمناً أن هذه الإمبراطورية تختلف عن سابقاتها في أن رعاياها ليسوا راغبين، بل يجب إخضاعهم باستمرار بالقوة.

بينما يقدم معظم الكتاب حججًا قوية لصالح الإمبراطورية الرومانية باعتبارها القوة العالمية الرابعة، ويتخذون مناهج مختلفة في هذا الشأن عند مناقشة خليط الحديد والطين باعتباره استمرارًا أو إحياءً للرابع، من الأفضل لنا أن نلتزم بما هو مؤكد في النص.

"وَبِمَا رَأَيْتَ ٱلْقَدَمَيْنِ وَٱلْأَصَابِعَ بَعْضُهَا مِنْ خَزَفٍ وَٱلْبَعْضُ مِنْ حَدِيدٍ، فَٱلْمَمْلَكَةُ تَكُونُ مُنْقَسِمَةً، وَيَكُونُ فِيهَا قُوَّةُ ٱلْحَدِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّكَ رَأَيْتَ ٱلْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَزَفِ ٱلطِّينِ." (الآية ٤١).هذا ما يمكننا قوله دون أدنى شك: المملكة الأخيرة ستجمع عناصر من جميع الممالك السابقة، ولكنها ستفتقر إلى قوتها وقيمتها.

يستفيد عالمنا اليوم من المعارف والتقنيات والمهارات التي ورثناها عن العصور السابقة، والتي صُقلت وحُسّنت حتى باتت حياتنا المادية تفوق كل ما كان يتخيله أسلافنا. ومع ذلك، فقد ورثت الطبيعة البشرية الساقطة عبر العصور طيفًا واسعًا من الخطايا والممارسات الدنيئة والحيل الخبيثة. إن انحطاط عالمنا لا يقل غرابة عن إنجازاتنا. ماديًا، بلغنا أعلى المراتب، وروحيًا، انحدرنا إلى الحضيض.

نقرأ عن الحديد، الذي يرمز في جميع أنحاء كلمة الله إلى الظلم، وهو مختلط بالطين، الذي يرمز منذ آدم فصاعدًا إلى الإنسان المادي. لكنه أسوأ من الطين؛ إنه طين لزج -مجرد طين لين وثقيل.

"وَأَصَابِعُ ٱلْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَٱلْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ، فَبَعْضُ ٱلْمَمْلَكَةِ يَكُونُ قَوِيًّا وَٱلْبَعْضُ قَصِمًا. وَبِمَا رَأَيْتَ ٱلْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَزَفِ ٱلطِّينِ، **فَإِنَّهُمْ يَخْتَلِطُونَ بِنَسْلِ ٱلنَّاسِ**، وَلَكِنْ لَا يَتَلَاصَقُ هَذَا بِذَاكَ، كَمَا أَنَّ ٱلْحَدِيدَ لَا يَخْتَلِطُ بِٱلْخَزَفِ." (الآيات ٤٢-٤٣).غالبًا ما يكون تفسير ما يقوله الكتاب المقدس بدقة أمرًا مثيرًا للجدل. يُخبرنا الكتاب أن السلطة الحاكمة في الأيام الأخيرة للإمبراطورية العالمية الأخيرة لن تكون من نسل البشر، بل ستكون من قِبَل كيان آخر، يختلط بنسل آدم. حدث هذا من قبل في أيام نوح (سفر التكوين ٦)وسيحدث مرة أخرى في آخر الزمان، بحسب يسوع (متى ٢٤).

يختتم سفر دانيال (٢: ٤٤-٤٥) "وَفِي أَيَّامِ هَؤُلَاءِ ٱلْمُلُوكِ... عشرة أصابع ترمز إلى عشرة ملوك، كما نجد عشرة ملوك يحكمون في آخر الزمان في سفر الرؤيا... يُقِيمُ إِلَهُ ٱلسَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا، وَمَلِكُهَا لَا يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هَذِهِ

ٱلْمَمَالِكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى ٱلْأَبَدِ. لِأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّهُ قَدْ قُطِعَ حَجَرٌ مِنْ جَبَلٍ لَا بِيَدَيْنِ، فَسَحَقَ ٱلْحَدِيدَ وَٱلنُّحَاسَ وَٱلْخَزَفَ وَٱلْفِضَّةَ وَٱلذَّهَبَ. ٱللهُ ٱلْعَظِيمُ قَدْ عَرَّفَ ٱلْمَلِكَ مَا سَيَأْتِي بَعْدَ هَذَا. ٱلْحُلْمُ حَقٌّ وَتَعْبِيرُهُ يَقِينٌ".«

هذا هو الأمر. هذا هو مسار ملوك الأمم من زمن دانيال إلى المجيء الثاني للمسيح. كانت هناك أربع ممالك عالمية عظيمة اندمجت في مملكة واحدة تضم الخير والشر من كل مملكة سابقة توارثتها الأجيال. تُعرف هذه الحقب بأزمنة الأمم (لوقا ٢١: ٢٤).

ننتقل الآن إلى دانيال (٩) حيث يصلي النبي المنفي إلى الله من أجل الخلاص بالنيابة عن شعبه المحتجزين في بابل.

"يَا سَيِّدُ ٱسْمَعْ. يَا سَيِّدُ ٱغْفِرْ. يَا سَيِّدُ أَصْغِ وَٱصْنَعْ. لَا تُؤَخِّرْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكَ يَا إِلَهِي، لِأَنَّ ٱسْمَكَ دُعِيَ عَلَى مَدِينَتِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ».

وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَكَلَّمُ وَأُصَلِّي وَأَعْتَرِفُ بِخَطِيَّتِي وَخَطِيَّةِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، وَأَطْرَحُ تَضَرُّعِي أَمَامَ ٱلرَّبِّ إِلَهِي عَنْ جَبَلِ قُدْسِ إِلَهِي، وَأَنَا مُتَكَلِّمٌ بَعْدُ بِٱلصَّلَاةِ، إِذَا بِٱلرَّجُلِ جِبْرَائِيلَ ٱلَّذِي رَأَيْتُهُ فِي ٱلرُّؤْيَا فِي ٱلِٱبْتِدَاءِ مُطَارًا وَاغِفًا لَمَسَنِي عِنْدَ وَقْتِ تَقْدِمَةِ ٱلْمَسَاءِ." (١٩ -٢١).في الساعة الثالثة بعد الظهر (سفر العدد ٣٨) زار جبريل دانيال بينما كان يصلي من أجل بني إسرائيل.

"وَفَهَّمَنِي وَتَكَلَّمَ مَعِي وَقَالَ: «يَا دَانِيآلُ، إِنِّي خَرَجْتُ ٱلْآنَ لِأُعَلِّمَكَ ٱلْفَهْمَ. فِي ٱبْتِدَاءِ تَضَرُّعَاتِكَ خَرَجَ ٱلْأَمْرُ، وَأَنَا جِئْتُ لِأُخْبِرَكَ لِأَنَّكَ أَنْتَ مَحْبُوبٌ. فَتَأَمَّلِ ٱلْكَلَامَ وَٱفْهَمِ ٱلرُّؤْيَا. سَبْعُونَ أُسْبُوعًا قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ ...إسرائيل، لا الكنيسة **...وَعَلَى مَدِينَتِكَ ٱلْمُقَدَّسَةِ ...** أورشليم، لا واشنطن العاصمة أو روما." (الآيات ٢٢-٢٤أ).

فيما يلي الأهداف الستة للأسابيع السبعين التي حددها الله لأمة إسرائيل ومدينة المقدسة. هذه هي أهداف الله تجاه شعبه المختار في زمن الأمم. وسيتضح لأي دارس صادق نال الخلاص بفضل عمل الرب يسوع المسيح الكامل أن لا علاقة لهذه الأسابيع السبعين بكنيسة العهد الجديد.

الأهداف المذكورة للأسبوع الأخير من السنوات في نبوءة دانيال (٩) هي:

١ .لِتَكْمِيلِ ٱلْمَعْصِيَةِ: من أجل معاصي، **بخصوص الكنيسة** قدم يسوع الكفارة الكاملة على الصليب وصاح قائلًا: قَدْ أُكْمِلَ (يوحنا ١٩: ٣٠).

٢ .وَتَتْمِيمِ ٱلْخَطَايَا. بخصوص الكنيسة لقد طهرت خطاياهم بدم المسيح.

٣ .وَلِكَفَّارَةِ ٱلْإِثْمِ. بخصوص الكنيسة لقد تصالحنا مع الأب من خلال المسيح.

٤ .وَلِيُؤْتَى بِٱلْبِرِّ ٱلْأَبَدِيِّ.لقد مُنحت الكنيسة بر الرب يسوع المسيح كملكية أبدية.

٥ .وَلِخَتْمِ ٱلرُّؤْيَا وَٱلنُّبُوَّةِ. وفي هذا السياق، يعيدنا هذا إلى دانيال ٢.

٦ .وَلِمَسْحِ قُدُّوسِ ٱلْقُدُّوسِينَ.هذا هو صعود الملك يسوع إلى العرش الأرضي في القدس.

من الواضح أن هذا ليس من صميم تعاليم الكنيسة. ومن الواضح أيضاً أن اضطهاد الأمم وسيطرتها لن يمنع الله من إتمام جميع وعوده التي قطعها لإبراهيم وذريته.

"فَٱعْلَمْ وَٱفْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ ٱلْأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبِنَائِهَا إِلَى ٱلْمَسِيحِ ٱلرَّئِيسِ سَبْعَةُ أَسَابِيعَ وَٱثْنَانِ وَسِتُّونَ أُسْبُوعًا، يَعُودُ وَيُبْنَى سُوقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضِيقِ ٱلْأَزْمِنَةِ." (الآية ٢٥).هذا هو التاريخ المسجل في سفر عزرا ونحميا، وعلى لسان أنبياء ما بعد السبي.

"وَبَعْدَ ٱثْنَيْنِ وَسِتِّينَ أُسْبُوعًا يُقْطَعُ ٱلْمَسِيحُ وَلَيْسَ لَهُ." (الآية ٢٦أ) هذا هو صلب المسيح.

"وَشَعْبُ رَئِيسٍ آتٍ يُخْرِبُ ٱلْمَدِينَةَ وَٱلْقُدْسَ، وَٱنْتِهَاؤُهُ بِغَمَارَةٍ، وَإِلَى ٱلْنِّهَايَةِ حَرْبٌ وَخِرَبٌ قُضِيَ بِهَا." (الآية ٢٦).وهذا يُطابق تمامًا ما جاء في دانيال ٢. ما حدث في عهد الرومان عام ٧٠ ميلاديًا سيستمر حتى المجيء الثاني للمسيح. ستبقى المدينة والمقدس أطلالًا طوال ما يعتبره الله حربًا طويلة مُطوّلة. ولن يُعاد بناء الهيكل حتى عودة الرب (أعمال الرسل ١٥: ١٦).

"وَيُثَبِّتُ عَهْدًا مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَفِي وَسَطِ ٱلْأُسْبُوعِ يُبَطِّلُ ٱلذَّبِيحَةَ وَٱلتَّقْدِمَةَ، وَعَلَى جَنَاحِ ٱلْأَرْجَاسِ مُخَرِّبٌ حَتَّى يَتِمَّ وَيُصَبَّ ٱلْمَقْضِيُّ عَلَى ٱلْمُخَرِّبِ»." (الآية ٢٧).هذا هو عمل القوى المُختلطة وآخر قوة من الأمم قبل أن يجلس الرب يسوع على عرش داود.

الله هو ملك شعب إسرائيل من إبراهيم إلى شاول. بدءًا من شاول، حكم إسرائيل ملوكٌ من البشر. انقسمت تلك المملكة. فسدت القبائل الشمالية وانتهى بها المطاف إلى الارتداد، ثم إلى العبودية للأشوروبين. أما القبائل الجنوبية، فقد حافظت على ولائها لله اسميًا لفترة من الزمن، بفضل قلة من الملوك الصالحين، ولكن سرعان ما بلغ ارتدادهم حدًا جعل الله يبتعد عنهم (حزقيال ٩-١١) فسقط تاجهم، وسُبيت يهوذا في بابل سبعين عامًا. خلال ذلك السبي، كشف الله لنبوخذنصر عن طريق دانيال مستقبل قوة الأمم.

في دانيال ٩ كشف الله لدانيال مفتاح جميع الوعود اللاحقة المتعلقة بإسرائيل. وفي دانيال ٢ كشف نبوءة تخص الأمم.

في نهاية المرحلة الأولى من النبوءة (٤٨٣ سنة) قُطِعَ المسيح. أُعلن عن المملكة على لسان يوحنا: "قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ" (متى ٣: ٢) ثم على لسان يسوع: "قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ" (متى ٤: ١٧) ثم بواسطة الاثني عشر رسولًا والسبعين تلميذاً (متى ١٠: ٧).

قال يسوع بخصوص هذه الرسالة: "بَلِ ٱذْهَبُوا بِٱلْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ ٱلضَّالَّةِ." (متى ١٠: ٥-٦). لا تذهبوا إلى الأمم. اذهبوا إلى إسرائيل وأخبروهم أن الملكوت قد اقترب.

رُفض الملك وصُلب. حدث هذا بعد تسعة وستين أسبوعًا من صدور المرسوم الذي أصدره الملك كورش معلنًا نهاية السبي البابلي. يقول دانيال (٩) "وَبَعْدَ ٱثْنَيْنِ وَسِتِّينَ أُسْبُوعًا يُقْطَعُ ٱلْمَسِيحُ وَلَيْسَ لَهُ، وَشَعْبُ" (الآية ٢٦).وبعد قرون، أعلن مبشر الإنجيل أنه نُجّي بتدبير الله المُسبق وعلمه المُسبق (أعمال الرسل ٢: ٢٣).

هذا يعني أن أسبوعًا واحدًا من النبوءة المتعلقة بإسرائيل ينتظر التحقق. تُظهر دراسة مُفصّلة للأحداث المؤرخة والتسلسل الزمني

الوارد في العهد القديم أن الله لا يحسب الوقت عندما لا تُسيطر إسرائيل على أوروشليم. فالوقت لا يمضي بينما ننتظر تحقق الأسبوع السبعين من نبوءة دانيال. (لهذا السبب لا يستطيع أحد تحديد موعدٍ للاختطاف أو المجيء الثاني. فالساعة لا تعمل. لا أيام، ولا أسابيع، ولا شهور، ولا سنوات. الله وحده يحسب الوقت بالنسبة لليهود. فلماذا يحسبه بالنسبة للكنيسة؟ لنا حياة أبدية، بلا بداية ولا نهاية.) في هذه الأثناء، تُحكم ممالك هذا العالم بمزيج من القوى الأممية والرئاسات. المملكة في صورة غامضة. خلال هذا العصر، الكنيسة هي اللؤلؤة الثمينة، وإسرائيل هي الكنز المخفي في الحقل (متى ١٣انظر أدناه.)

بمجرد أن يستعيد اليهود سيطرتهم الكاملة على أوروشليم، ستبدأ العد التنازلي من جديد. ستبدأ السنوات السبع المتبقية بالسلام والرخاء، وسيصل ضد المسيح إلى السلطة مُضلِّلًا العالم وموهمًا إياهم بأن كل شيء على ما يرام. في منتصف الأسبوع، سيُكشف الوحش على حقيقته التي عرفها دارسو الكتاب المقدس، ألا وهي رجل الخطيئة. سيكون هدفه إبادة نسل إبراهيم. لن ينجو إلا الإسرائيليون الذين يؤمنون بكلمة الله ويهربون إلى الجبال. وستبقى هذه البقية حتى نهاية زمن ضيق يعقوب. خلال هذه السنوات السبع، ستُمنح ممالك هذا العالم لرب يسوع المسيح من قِبَل الله الآب. وفي نهاية السنوات السبع، سيعود الملك، ويدمر جميع أعدائه، ويقيم ملكوته.

لنقرأ من سفر دانيال (٧).

"كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ وُضِعَتْ عُرُوشٌ، وَجَلَسَ ٱلْقَدِيمُ ٱلْأَيَّامِ. لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَٱلثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَٱلصُّوفِ ٱلنَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ، وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ." (الآية ٩).هذا هو الله الآب جالسًا على العرش الموصوف في حزقيال ١ و ١٠.

"نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ، وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ. فَجَلَسَ ٱلدِّينُ، وَفُتِحَتِ ٱلْأَسْفَارُ. كُنْتُ أَنْظُرُ حِينَئِذٍ مِنْ أَجْلِ صَوْتِ ٱلْكَلِمَاتِ ٱلْعَظِيمَةِ ٱلَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا ٱلْقَرْنُ." (الآيتان ١٠-١١أ). وقد رأينا سابقًا في دانيال ٧ أن هذا القرن هو الوحش.

"كُنْتُ أَرَى إِلَى أَنْ قُتِلَ ٱلْحَيَوَانُ وَهَلَكَ جِسْمُهُ وَدُفِعَ لِوَقِيدِ ٱلنَّارِ. أَمَّا بَاقِي ٱلْحَيَوَانَاتِ فَنُزِعَ عَنْهُمْ سُلْطَانُهُمْ، وَلَكِنْ أُعْطُوا طُولَ حَيَاةٍ إِلَى زَمَانٍ وَوَقْتٍ." (الآيات ١١ب -١٢).هذا هو حكم الرئاسات والسلاطين (أفسس ٦: ١٠-١٨) الذين حكموا ممالك الأرض (لوقا ٤)تحت قيادة إله هذا العالم (٢كورنثوس ٤: ٤).

»"كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى ٱللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ ٱلسَّمَاءِ مِثْلُ ٱبْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى ٱلْقَدِيمِ ٱلْأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ." (الآية ١٣). يقف الله الابن أمام الله الآب.

"فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ ٱلشُّعُوبِ وَٱلْأُمَمِ وَٱلْأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ." (الآية ١٤).هذا هو الابن الذي ينال سلطانه على ممالك هذه الأرض في احتفال يُقام في السماء الثانية قبل عودة الرب ليطأ جبل الزيتون.

وبينما يعطي الآب الابن مكافأته، هناك إعلان: "ثُمَّ بَوَّقَ ٱلْمَلَاكُ ٱلسَّابِعُ، فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي ٱلسَّمَاءِ قَائِلَةً: «قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ ٱلْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ ٱلْآبِدِينَ»." (رؤيا ١١: ١٥).

عندما تنتهي سنوات ضيقة يعقوب السبع (إرميا ٣٠: ٧) سيعود يسوع المسيح لينتصر. ستُسبّحه الجموع المُتعبّدة قائلةً: "لِأَنَّكَ أَخَذْتَ قُدْرَتَكَ ٱلْعَظِيمَةَ وَمَلَكْتَ." (رؤيا ١١: ١٧). أتذكرون حين قام من بين الأموات حين قال: "فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي ٱلسَّمَاءِ وَعَلَى ٱلْأَرْضِ" (متى ٢٨: ١٨). كان له الحُق حين قام من بين الأموات. وسيكون له الأمر حين يُنهي الآب سلطان الشرِّ الروحي في السماويات (دانيال ٧).وسيكون له الحُق حين يعود (رؤيا ١١).

أعطى آدم السلطة للشيطان، فأعطاها الشيطان لأتباعه. سيأتي يومٌ يسلبها فيه الآب من الشيطان ويعطيها لابنه. المجد للرب!

لنعد الآن بالزمن إلى الوراء. "«وَأَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي ٱلَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ ٱلْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ ٱلْأَزَلِ»." (ميخا ٥: ٢). لاحظ الأزمنة الثلاثة في هذه الآية. في الساعة التي تجسد فيها الله في بيت لحم، كان هناك تطلع إلى اليوم الذي سيحكم فيه إسرائيل. المولود في مذود هو من يستطيع أن ينظر إلى الوراء إلى وجوده الأزلي.

يُقدّم إنجيل متى ربنا يسوع المسيح ملكًا، آتيًا ليُقدّم نفسه لإسرائيل وفقًا لنبوءات أسفار العهد القديم. ولأن ملكوت السماوات سيحكمه المسيح في نهاية المطاف، ولأن عرشه سيكون في أورشليم، فليس من المستغرب أن نجد مصطلح "ملكوت السماوات" في إنجيل متى وحده، دون غيره من الأناجيل الأخرى. وهذا أمرٌ ذو دلالة. فقد حصر الروح القدس هذا التعبير في إنجيل متى، لأنه امتدادٌ لسفر ملاخي. ومن حيث الزمان والعقيدة، يُعدّ إنجيل متى في جوهره آخر أسفار العهد القديم، إذ يُكمل سرد التاريخ حتى لحظة رحيل المسيح. ولم يُصرّح المسيح بهذا المصطلح إلا في متى ٢٦ حيث قال: "لِأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي ٱلَّذِي لِلْعَهْدِ ٱلْجَدِيدِ ٱلَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ ٱلْخَطَايَا." العهد الجديد (الآية ٢٨).كل ما سبق هذه النقطة هو خلاصة العهد القديم.

يبدأ إنجيل متى بنسب المسيح الملك وميلاده. بينما يتتبع لوقا النسب إلى آدم، يتناول متى العرش منذ البداية، مُتتبعًا نسب الرب إلى داود وإبراهيم. ينتقل متى مباشرةً إلى إعلان الملكوت المعروض على إسرائيل وشروط التوبة الضرورية التي وضعها يوحنا المعمدان والرب نفسه. يلي ذلك توجيهات لمن سيخضعون للملك (متى ٥-٧).يقول يوحنا: "قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ." (متى ٣: ٢). ويقول يسوع: "قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ." (متى ٤: ١٧). ثم في الموعظة على الجبل، يُبين الملك كيف سيُحكم ملكوته. لكن الملك رُفض. وبشكل عام، يتناول باقي الكتاب العصر الذي نعيش فيه واليوم الآتي الذي سيأتي فيه المسيح بقوة ومجد عظيم ليحكم. لقد جاء أول مرة في أيام الوحش الرابع، حين كانت روما في السلطة. في سفر دانيال، رأينا أنه لن يكون هناك تغيير في السلطة العالمية الحاكمة بين المجيء الأول والمجيء الثاني. هذا مهم، لأنه يُعلم القارئ أن الصينيين لن يغزوا الحضارة الغربية،

وأن المسلمين لن يسيطروا على العالم. قد لا يُشجع هذا الكتاب المسيحيين الذين يفضلون الخوف والإثارة على العقيدة الصحيحة، لكن كلمة الله واضحة. المملكة التي كانت قائمة عند المجيء الأول هي نفسها المملكة التي ستكون قائمة عند المجيء الثاني. معرفة النهاية من البداية تمنحك حرية عظيمة.

عندما قال اليهود: "«لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلَّا قَيْصَرَ!»." (يوحنا ١٩: ١٥) رفضوا ملك السماء على الأرض. ورددوا كلمات أسلافهم الذين أرادوا ملكًا ليصبحوا مثل الأمم الأخرى. أرادوا ملكًا فاسدًا، لأنهم كانوا فاسدين. أرادوا ملكًا ضعيفًا فانيًا. وبخ صموئيل الشعب لرفضهم حكم الله. وفعل يسوع ويوحنا والرسل الشيء نفسه.

لم يأتِ يسوع المسيح لإصلاح مملكة الأمم. ولم يأتِ لإعادة الممالك الفاسدة في إسرائيل ويهوذا. بل جاء ليقيم ملكوت الله القدير البار، المقدس، الذي يسحق الخطيئة، والمحب حقًا على الأرض. تأمل في بشارة المبشر. صرخ يوحنا المعمدان: "«تُوبُوا، لِأَنَّهُ قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ." (متى ٣: ٢) وفي متى (٤: ١٧) يقول يسوع الشيء نفسه. ومنذ ذلك الحين بدأ يسوع يبشر ويقول: "«تُوبُوا، لِأَنَّهُ قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ".

وردت عبارة "ملكوت السماوات" اثنتين وثلاثين مرة في إنجيل متى، ولم ترد في أي موضع آخر من العهد الجديد. والسبب في ذلك هو أن الملكوت سيكون لملك اليهود.

في متى (١٠: ١ \\ ٥-٧) نقرأ: "ثُمَّ دَعَا تَلَامِيذَهُ ٱلِٱثْنَيْ عَشَرَ... هَؤُلَاءِ ٱلِٱثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلِ ٱذْهَبُوا بِٱلْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ ٱلضَّالَّةِ. وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ ٱكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ.".

في إنجيل لوقا، أرسل يسوع هؤلاء الناس دون هذا القيد. وفي نهاية إنجيل مرقس، أرسلهم أيضًا دون هذا القيد. لم يكن القيد يعني منع التبشير إلا لليهود، بل كان يعني أن إسرائيل وحدها هي من يُعرض عليها ملكوت السماوات. لم يكن القيد: "لا تبشروا أحدًا غيرهم"، بل كان: "لا تعرضوا ملكوت السماوات على أحدٍ غيرهم لأنه ليس لهم".

في الوقت نفسه، في إنجيل لوقا، يُعرض ملكوت الله على جميع الناس (لوقا ٨: ١ \\ ٩: ٢) إن النظام التدبيري الخاطئ الذي يُعلّم أن ملكوت السماوات عُرض لفترة زمنية محددة، وعندما فشلت تلك الخطة أو رُفضت، لجأ الله إلى الخطة البديلة وعرض ملكوت الله.

كان الرب وأتباعه يبشرون بملكوت الله وملكوت السماوات في آن واحد، لكنهم لم يبشروا بملكوت السماوات إلا لليهود لأن الآخرين لا يستحقونه. هذا هو التقسيم الصحيح.

كان على يوحنا أن يمهد الطريق للرب ويجعل السبل مستقيمة لقدميه. لقد كانت خطيئة الشعب هي التي أعاقت مسيرتهم بعد استقبال الملك، دعاهم يوحنا إلى التوبة. وبينما استجاب بعضهم للرسالة وأظهروا توبتهم بتواضع من خلال المعمودية، حضر كثير من القادة منافقين أو كمتفرجين. قال لهم يوحنا أن يثمروا ثمارًا تليق بالتوبة (متى ٣: ٨). لم يكن كافيًا أن يقولوا إنهم يتوبون، بل كان عليهم أن يثبتوا ذلك.

يصف إنجيل متى (٩-١١) تزايد كراهية قادة إسرائيل للملك. وفي متى (١١: ٢٠ – ٢٤) ينتقد يسوع حماقتهم، ويوبخهم لرفضهم سيادته. "حِينَئِذٍ ٱبْتَدَأَ يُوَبِّخُ ٱلْمُدُنَ ٱلَّتِي صُنِعَتْ فِيهَا أَكْثَرُ قُوَّاتِهِ لِأَنَّهَا لَمْ تَتُبْ: «وَيْلٌ لَكِ يا كُورَزِينُ! وَيْلٌ لَكِ يا بَيْتَ صَيْدَا! لِأَنَّهُ لَوْ صُنِعَتْ فِي صُورَ وَصَيْدَاءَ ٱلْقُوَّاتُ ٱلْمَصْنُوعَةُ فِيكُمَا، لَتَابَتَا قَدِيمًا فِي ٱلْمُسُوحِ وَٱلرَّمَادِ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ صُورَ وَصَيْدَاءَ تَكُونُ لَهُمَا حَالَةٌ أَكْثَرُ ٱحْتِمَالًا يَوْمَ ٱلدِّينِ مِمَّا لَكُمَا. وَأَنْتِ يا كَفْرَنَاحُومَ ٱلْمُرْتَفِعَةَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ! سَتُهْبَطِينَ إِلَى ٱلْهَاوِيَةِ. لِأَنَّهُ لَوْ صُنِعَتْ فِي سَدُومَ ٱلْقُوَّاتُ ٱلْمَصْنُوعَةُ فِيكِ لَبَقِيَتْ إِلَى ٱلْيَوْمِ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَرْضَ سَدُومَ تَكُونُ لَهَا حَالَةٌ أَكْثَرُ ٱحْتِمَالًا يَوْمَ ٱلدِّينِ مِمَّا لَكِ".«

إنّ إنجيل متى ١٢هو في الحقيقة خاتمة عرض الربّ ملكوت السماوات على الأمة. في هذا الفصل، يخبرهم أنهم لن يروا علامة أخرى، وأن عليهم أن يتطلعوا إلى موت يونان ودفنه وقيامته. ويخبرهم أن عليهم أن يقتدوا بملكة سبأ، وهي ملكة من الأمم، وأن يطلبوا الربّ. وقد وجدوا هذا الكلام مهينًا للغاية. ويخبرهم أن إصلاحهم الذي تحقق على يد يوحنا لم يكن توبة حقيقية، وأن الروح النجس سيعود، وسيكون حالهم أسوأ من ذي قبل.

ويختم حديثه بغضب: لستم إخوتي، لستم شعبي. "وبينما هو يكلم الناس، إذا بأمه وإخوته واقفين في الخارج، يريدون التحدث إليه. فقال له أحدهم: ها هي أمك وإخوتك واقفون في الخارج، يريدون التحدث إليك. فأجاب الذي أخبره: من هي أمي؟ ومن هم إخوتي؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال: ها هي أمي وإخوتي! لأن كل من سأفعل إرادة أبي الذي في السماء، وهو أخي وأختي وأمي." (متى ١٢: ٤٦-٥٠).

ومن هذه النقطة ننتقل مباشرة إلى أمثال ملكوت السماوات، حيث يعلم يسوع أنه لن يُعرض علانية بعد الآن بل سيُحاط بالغموض. يُظهر هذا خطأ العديد من النظريات التدبيرية، إذ لا يُشير إنجيل متى ١٣ إلى أي أمل في أن يُتوّج اليهود مسيحهم، أو أن يُعرض عليهم الملكوت مرة أخرى بعد قيامته. تُنبئ هذه الأمثال بما حدث بالفعل: غياب طويل للملك، وفساد المملكة على يد مغتصبيها من الأمم. وتُفنّد أمثال متى ١٣ فكرة أن الأمة كان بإمكانها فعل شيء خلال السنوات المذكورة في سفر أعمال الرسل لإقامة المملكة الأرضية.

أحد المجالات التي تُعتبر فيها النظرية الإنجيلية المتوافقة (التي تفترض أن متى ومرقس ولوقا يُعلّمون الشيء نفسه) قاصرةً هو الخلاف حول رسالة ملكوت السماوات، الذي يبرز بوضوح في إنجيل متى ويغيب تمامًا في إنجيلي مرقس ولوقا. فالإنجيل الأول يتميز بخصائص فريدة كالإنجيل الرابع. فمن متى ٣ إلى متى ١٢ يُقدّم الرب لإسرائيل بصفته ملكهم، الذي أشارت إليه نبوءات العهد القديم. لكنه رُفض، وفي أمثال ملكوت السماوات، يتنبأ الرب بمستقبل إسرائيل خلال عصر الكنيسة القادم.

إن مستقبل إسرائيل المُحدد في العهد القديم هو مملكة على الأرض يحكمها المسيح ملكًا. هذا كل ما كان يُنظر إليه. لم يُذكر أمر

الكنيسة بوضوح، ولا نرى أي إشارة إليها إلا بالنظر إلى الماضي في ضوء العهد الجديد. حتى بعد قيامة المسيح من بين الأموات، سأله تلاميذه مجددًا السؤال الذي أجاب عنه في متى ٢٤. "أَمَّا هُمُ ٱلْمُجْتَمِعُونَ فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: «يَا رَبُّ، هَلْ فِي هَذَا ٱلْوَقْتِ تَرُدُّ ٱلْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ؟»." (أعمال الرسل ١: ٦). لم يُكشف عن الكنيسة في العهد القديم، وحتى خلال خدمة الرب على الأرض، لم يفهم تلاميذه ما قاله يسوع عن الكنيسة.

لا يعني هذا تأييد الفكرة الخاطئة القائلة بأن الله لم يضع الكنيسة في اعتباره قط، أو الفكرة الخاطئة المماثلة القائلة بأنه بما أن الله تنبأ برفض اليهود للملكوت، فإن عرضه لم يكن حقيقةً. كان الله الآب يعلم أن يسوع سيموت على جبل الجلجلة. وكان يعلم أن بني إسرائيل سيرفضونه ويصلبونه. وهناك العديد من النبوءات التي تتحدث عن كلا الحدثين. يقول سفر أعمال الرسل (٢: ٢٣) "هَذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ ٱللهِ ٱلْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ ٱلسَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ." لكن هذا لا يُغيّر بأي حال من الأحوال حقيقة أن الرب قدّم نفسه ملكًا وعرض المملكة على بني إسرائيل. لا يوجد أي تناقض.

نُبشّر بحِّق بأنّ من شاء فله الخلاص، مع علمنا بأنّ الخلاص ليس للجميع. يُبشّر بالإنجيل لجميع الناس على حدّ سواء، مع علمنا أنّ كثيرين سيرفضون المسيح. لو لم يكن العرض مُتاحًا للجميع، لكان بإمكان الناس اتهام الله بعدم منحهم فرصة الخلاص. الإنجيل للجميع. إذا مات شخصٌ في حالة ضلال، فذلك لأنّه رفض الحقّ. هو المُذنب، لا الله. مع أنّ الله يعلم أنّ بعض الناس لن يخلصوا، إلا أنّ العرض لا يزال مُتاحًا لهم.

وبالمثل، كان الله يعلم أن المسيح سيُستأصل. ومع ذلك، عرض المملكة على إسرائيل لأنه بار. وعندما رُفض هذا العرض المشروع، كانت إسرائيل هي المذنبة، لا الله. فالعرض يُلقي بالمسؤولية على اليهود. إن علم الله المسبق لا يعني أن العرض لم يكن صحيحًا.

في إنجيل متى ١٣نجد سبعة أمثال تُعطينا لمحة عامة عن حال ملكوت السماوات في عصر الكنيسة. يُشير إليها الرب بالأسرار (الآية ١١)وهو مصطلح كتابي يُشير إلى أمرٍ معروف، ولكن ما كان ليُعرف لولا أن كشفه الله. فبدلًا من أن يُخاطب الناس بوضوح كما كان يفعل سابقاً، بدأ الرب يُخاطبهم بالأمثال لأن الناس لم يرغبوا في السماع، بل تعمّدوا غضّ الطرف عن رسالته. ولأن معظم سامعيه لم يرغبوا في الحق، اتخذ يسوع هذا الأسلوب في التعليم حتى يأتي إليه من أراد المعرفة طالباً التفسير. ولما سأله تلاميذه، أعطاهم حلّ الأسرار. أما الذين لم يسعوا إلى النور، فقد تُركوا في الظلام.

قارن الآية ٢ بالآيتين ١٦و ١٧. "فَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ... وَلَكِنْ طُوبَى لِعُيُونِكُمْ لِأَنَّهَا تُبْصِرُ، وَلآذَانِكُمْ لِأَنَّهَا تَسْمَعُ. فَإِنِّي ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَبْرَارًا كَثِيرِينَ ٱشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا".

يمكن لأي شخص أن يخلص. ربما كان اليهود على دراية بحقيقة هذه الأمثال. في كل حالة نرى تطبيق مبدأ "اطلبوا تجدوا" (متى ٧:٧).

تقدم لنا الأمثال السبعة في إنجيل متى ١٣ نظرة روحية شاملة لما سيحدث في الأيام الممتدة من موت المسيح إلى مجيئه الثاني، أو الفترة الفاصلة بين الأسبوعين التاسع والستين والسبعين من سفر دانيال ٩. وهناك مجموعتان أخريان من الرقم سبعة في الكتاب المقدس تغطيان الفترة الزمنية نفسها -المعنى المعتاد للأعياد السبعة (سفر اللاويين ٢٣)والرسائل الموجهة إلى الكنائس السبع (سفر الرؤيا ٢-٣).

لقد بيّنا أن المسيح حين يتحدث في إنجيل متى (فقط) عن ملكوت السماوات، إنما يقصد الملكوت المرئي والحرفي المعروض على إسرائيل، والذي سينالونه عند ملك المسيح. أما حين يتحدث في إنجيل لوقا وفي مواضع أخرى عن ملكوت الله، فإنه يقصد حكم الله غير المرئي على جميع المؤمنين. ولأن كلا الملكوتين موجودان في آن واحد، فإن الكثير مما ينطبق على أحدهما (كما ورد في إنجيل متى) ينطبق على الآخر (كما ورد في إنجيلي مرقس ولوقا.) وهذا لا يجعلهما متطابقين.

فعلى سبيل المثال، نقرأ في متى (١٩: ١٤) "أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: «دَعُوا ٱلأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ»." وفي لوقا (١٨: ١٦) نجد "أَمَّا يَسُوعُ فَدَعَاهُمْ وَقَالَ: «دَعُوا ٱلأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ مَلَكُوتَ ٱللهِ." الإيمان كالأطفال مطلوب لدخول أي من الملكوتين والتمتع بهما.

مثال آخر هو متى (١٩: ٢٣-٢٤) "فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ! وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ ٱللهِ!»." قارن لوقا (١٨: ٢٤-٢٥). "فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ قَدْ حَزِنَ، قَالَ: «مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي ٱلأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ ٱللهِ! لِأَنَّ دُخُولَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ ٱللهِ".«!

ولأن هناك حقائق واضحة تنطبق على كلتا المملكتين، فإن معظم الناس يعتقدون أنهما مملكة واحدة. وهذا غير صحيح. لو رسمنا ثلاث دوائر، إحداها داخل الأخرى، لكانت الدائرة الداخلية هي الكنيسة، المؤلفة من جميع المؤمنين الحقيقيين، الذين تعمّدوا بالروح القدس في جسد واحد. أما الدائرة الثانية فكانت ملكوت الله، المؤلف من جميع المؤمنين الحقيقيين، ليس فقط في هذا الزمان، بل منذ بدء الخليقة وإلى الأبد. والدائرة الخارجية كانت ملكوت السماوات. وهو لا يضم المؤمنين الحقيقيين فحسب، بل يضم أيضًا من يدّعون الإيمان والمزيفين، كما ورد في مثل القمح والزوان وغيره. هؤلاء ربما قاموا بأعمال صالحة كافية للمشاركة في الملكوت الأرضي، أو أفلتوا من العقاب والكشف للبقاء فيه، لكنهم لم ينالوا الخلاص قط.

إنّ إمكانية بقاء غير المؤمنين لفترة في ملكوت السماوات واضحة من نصوص مثل متى (١٣: ٤١) "يُرْسِلُ ٱبْنُ ٱلإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ ٱلْمَعَاثِرِ وَفَاعِلِي ٱلإِثْمِ" كان لا بدّ لهؤلاء أن يكونوا في الملكوت ليُجمعوا منه. تتضمن أمثال ملكوت السماوات الزوان وما شابه ذلك، داخل هذا الملكوت. أما ملكوت الله فليس كذلك.

والآن دعونا نلقي نظرة فاحصة على أمثال متى ١٣. تغطي هذه الأمثال السبعة ما لا يقل عن ٢٠٠٠ عام من التاريخ. وهي مقسمة إلى مجموعتين. في الأمثال الأربعة الأولى، يظهر الشيطان فاعلًا. في المثل الأول، يسلب البذرة الحقيقية. وفي الثاني، يزرع بذرة

زائفة من عنده. وفي المثل الثالث، يُصوَّر الشيطان ساكناً بين الجماعة. وفي الرابع، يُصوَّر كخليط من الخميرة. في المثلين الأولين نرى المملكة مؤلفة من أفراد. أما في المثلين التاليين فنرى منظورًا جماعيًا.
هذه الأمثال الأربعة ألقاها الرب جميعها أمام الجموع. وقد كانت موجهة للعامة. كل الناس، حتى أولئك الذين لا يؤمنون بكلمة الله، يمكنهم أن يروا الحالة العامة للحق والباطل في العالم.
أُلقيت الأمثال الثلاثة الأخيرة في بيت (الآية ٣٦) بعد أن صرف يسوع الجموع. وهي تُعطي نظرةً باطنيةً للملكوت. لا يُذكر الشيطان في هذه الأمثال الثلاثة، بل تتناول عمل الروح القدس. ورغم أن جميعها تتناول ملكوت السماوات، إلا أن لها بعض التطبيقات على الكنيسة أيضًا.
المثل الأول هو مثل الزارع، وقد ورد في الآيات من ٣ إلى ٩ وشُرح في الآيات من ١٨ إلى ٢٣. ينتج عن زرع البذرة أربع نتائج، واحدة منها فقط تنجح. وحتى في هذه الحالة، نجد درجات متفاوتة من الإثمار. والدرس الواضح هو أن العالم لن يهتدي بمجرد التبشير بالإنجيل. ففي المحاولات الثلاث الفاشلة لزرع الكلمة، نرى أن الأولى أعاقها الشيطان، والثانية أعاقتها شهوات الجسد، والثالثة أعاقتها العالم.
يُعلّم المثل الثاني (الآيات ٢٤-٣٠) (الآيات ٣٧-٤٣)أنه على مرّ العصور الكنسية، لن يكون بالإمكان التمييز بين المؤمن وغير المؤمن من خلال المظهر الخارجي. وسواء أكان الأمر يتعلق بأشخاص ضالين يعيشون حياةً أخلاقيةً سليمةً أم بأشخاص مُخلَّصين يعيشون حياةً متناغمةً، فإنّ المملكة الظاهرة ستكون مزيجًا من المؤمنين وغير المؤمنين، والله وحده هو القادر على التمييز بينهم. من الواضح أن هذه ليست الكنيسة. ومن الواضح أيضاً أن هذه ليست ملكوت الله. فكلاهما خالٍ من الزوان. لا يوجد غير مؤمنين في جسد المسيح. ولن يُطرد أحدٌ طُهر بدم المسيح ويُحرق. ولا يمكن أن يكون المقصود هنا تجمع المؤمنين، لأن رسائل العهد الجديد لا تُعلِّمنا التسامح مع الزوان، بل تدعو إلى طرد من يُدنِّسون شهادة الكنيسة. ولا يجوز لنا تركهم حتى مجيء الرب.
تأمل في المثل المتعلق بالكنيسة البروتستانتية، والكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة الأرثوذكسية. جميعها تقول إن يسوع هو الرب، وأن علينا أن نحب قريبنا، وأن الإجهاض خطأ، وما إلى ذلك. هذه مبادئ ملكوتية تُدَّرس على الأرض. كما أنها جميعًا تُعلِّم رَّش الماء على الأطفال للخلاص، وتنكر سلطة كلمة الله. نُوصينا بتركها وشأنها. سيحرقها الله في نهاية الزمان. ونُوصينا بالانشغال بالتبشير بالإنجيل حتى يخلص الرجال والنساء. جميع الأديان الكبرى، باستثناء الإسلام، تُعلّم مبادئ الملكوت. جميع الأديان الكبرى تُنكرابن الله. مسؤوليتنا تجاه هؤلاء الناس هي تبشير كل فرد منهم بالإنجيل. نحن لا نشنّ الحروب، ولا نقتل، ولا نحرق ولا نعذب. الرب سيُطهّر الأرض من زؤانها عند عودته.
إذا سعى أي ممثل لهذه الجماعات إلى الانضمام إلى تجمع للمسيحيين، فلن يُسمح لهم بذلك إلا إذا تخلوا عن دينهم الباطل وخضعوا للحقيقة الكتابية.
حيثما يكون ملكوت السماوات ظاهراً، يُسمح لهم بالبقاء. أما حيثما يكون ملكوت الله ظاهراً، فلا يُسمح لهم بالبقاء.
وكما في المثل الأول، يُظهر هذا المثل حماقة الاعتقاد بأن الكنيسة أو التبشير بالإنجيل سيؤديان إلى إقامة الملكوت. المثل التالي هو مثل حبة الخردل التي نمت لتصبح شجرة عظيمة، فأصبحت مأوى لطيور السماء (الآيات ٣١-٣٢). هذه البذره الصغيرة، التي خالفت طبيعتها بهذا النمو المذهل، يرمز عند كثيرين إلى الانتشار التدريجي للإنجيل حتى يصبح للعالم أجمع نصيب فيه. هذا التفسير يتعارض تمامًا مع تعاليم المثلين الأولين.
تُمثل حبة الخردل انتشارًا عالميًا، ولكن ليس انتشار المسيحية. تذكر أن المقصود هنا هو الملكوت، وليس الكنيسة. عندما تُذكر طيور السماء في الكتاب المقدس، فإنها عادةً ما تُشير إلى أعمال الشر. ويمكن الاستشهاد بالمثل الأول في إنجيل متى ١٣لدعم هذه الفكرة.
ما نراه في هذا المثل هو التأثير المتزايد لتعاليم الملك يسوع على البشرية، ولكن دون قبول الملك نفسه. لقد استفادت الدول الأوروبية استفادة عظيمة من تأثير مبادئ الملكوت التي جلبها المبشرون، بعضهم مسيحيون، وبعضهم الآخر يحمل الاسم فقط. وينطبق الأمر نفسه على أفريقيا والأمريكتين والشرق الأقصى. ففي كل مكان تُنشر فيه تعاليم كلمة الله، ترتقي حياة الإنسان. تُقدم الإغاثة الغذائية، وملاجئ المشردين، والمستشفيات، والصليب الأحمر، ومساعدات الكوارث، والتدخل العسكري، وألف عمل خيري آخر من قِبل البعض للآخرين. تنبع جميع هذه الأعمال تقريبًا من جذور مسيحية، ولكن في هذه الأعمال الصالحة لم يُذكر اسم المسيح الحقيقي. يسكن في هذه الفروع البابويون والمورمون والكفارمن شتى المشارب. يجوبون الأرض يفعلون الخير للآخرين، لكن دون محبة أو طاعة للرب. إنها محاولة لإقامة ملكوت مع رفض ملكه. ستنتج هذه الأعمال النبيلة بتتويج الوحش.
في شجرة بذور الخردل يوجد أناس يعتقدون أنهم مسيحيون لأنهم ليسوا مسلمين أو بوذيين ولأنهم يتبنون بعض تعاليم يسوع المسيح. ثمة أمرٌ مثيرٌ للاهتمام بشأن حبة الخردل هذه. يقول متى إنها زُرعت في حقل، ويقول مرقس إنها زُرعت في الأرض، ويقول لوقا إنها زُرعت في بستان. الحقل يرمز إلى العالم (متى ١٣: ٣٨) لذا يقدم لنا متى أوسع رؤية. هذا هو التأثير العالمي لفلسفة مسيحية نوعًا ما، لكنها ليست المسيحية نفسها. في إنجيل مرقس، غالبًا ما تُستخدم الأرض كرمزٍ لإسرائيل. أما في إنجيل لوقا فقد يشير البستان إلى القديسين، وهو وحيٌ أقلّ أهمية.
ثم نأتي إلى الخميرة. "قَالَ لَهُمْ مَثَلًا آخَرَ: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا ٱمْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلَاثَةِ أَكْيَالِ دَقِيقٍ حَتَّى ٱخْتَمَرَ ٱلْجَمِيعُ»." (الآية ٣٣).يقول كثير من المفسرين إن هذا يمثل الانتشار التدريجي للمسيحية حتى يصبح الجميع مؤمنين. لكن هذا لا يتوافق مع ما ورد في الأمثال الأخرى. فالشجرة تعطينا صورة خارجية للملكوت، بينما الخميرة تعطينا صورة داخلية. في الشجرة نرى الكمية، وهنا نرى الجودة.
من اللافت للنظر أننا نجد في كُلٍّ من المثل الرابع (الخميرة) وفي كنيسة ثياتيرا الرابعة في سفر الرؤيا امرأةً تقوم بالعمل القذر. ولا

شك أن لهما المعنى نفسه. ففي سفر الرؤيا، تُعلِّم المرأة وتُغوي، بينما هنا تُضيف الخميرة إلى الدقيق. وفي كلتا الحالتين، تكمن المشكلة في تحريف العقيدة. كانت الخميرة تُعتبر عاملًا مُفسدًا يُضاف إلى الدقيق (تذكروا الخبز غير المُخَّمر الذي كان يُطلب في عيد الفصح.) في كلا هذين المقطعين من العهد الجديد، نجد عقيدةً زائفةً تُدخَل إلى عقيدةٍ سليمة، مما يُؤدي إلى تحريفها بالكامل.
بينما يقول العديد من المعلمين إن المرأة المذكورة في متى ١٣ هي عروس المسيح، فإن المقطع المقابل في رؤيا ٢ يقول غير ذلك. هي إيزابل. لقد أدخلت عبادة البعل إلى إسرائيل. كانت امرأةً أتت من ثقافة وثنية، وجلبت ضلالها إلى جماعة شعب الله. لم تنكر إلههم ولم تهدم هيكلهم، ولكن سرعان ما بدأوا يعبدون أصنامها وإلهها الزائف. وبالمثل، فإن المرأة التي حذر منها يسوع لم تنكر وجود المسيح ولم تشن حربًا على الكنيسة، بل أدخلت إليها عقائد تخالف الكتاب المقدس. وفي نهاية المطاف، انتشرت هذه العقائد حتى أصبحت طائفة أو حركة بأكملها باطلة وفاسدة. ونتيجة لذلك، اضطرت حفنة من المؤمنين الحقيقيين إلى الانفصال والبدء من جديد. صمدوا لفترة، ثم تكررت العملية. وهذا ما يحدث منذ ألفي عام.
تكاد جميع الكنائس تتبنى مبادئ الملكوت التي علمها يسوع المسيح. وتنكر معظم تعاليم العهد الجديد. نجد يسوع الطفل، لكننا لا نجد ولادته من عذراء. نجد الصلب والقداس. نجد القبر الفارغ والخلاص بالأعمال. نجد الولادة الجديدة ومعمودية الأطفال. نجد وعد الملكوت وحركة بيئية. نجد أدبيات مناهضة للإجهاض، ولا نجد إدانة للسلوك الجنسي غير اللائق. نجد قراءة الكتاب المقدس، ولكن من ترجمة غير ترجمات الملك جيمس.يبقى الطعام، لكنه مليء بالخميرة.
بعد الجلجثة، اختفى الشيطان عن الأنظار. لا تذكر الرسائل شيئًا عن مس الشيطان أو كيفية التعامل معه. أسلوبه في هذا العصر هو السعي لحمل الناس والكنائس على تبني مبادئ الملكوت دون يسوع المسيح. وقد نجح في ذلك نجاحًا باهرًا. "ٱلَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هَذَا ٱلدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ" (كورنثوس الثانية ٤:٤).أي سبيلٍ أعظم لإعمائهم من جعلهم يُسمّون أنفسهم مسيحيين دون اشتراط الإيمان بالمسيح (ماذا كان سيفعل يسوع؟، الوفاء بالوعود، العمل الهادف، لا يُثني الوعاظ عن الإيمان.) هناك مظهرٌ للتقوى، ولكن إنكار قوتها يكمن في إنكارها (تيموثاوس الثانية ٣: ٥).
المثل التالي موجود في الآية ٤٤.مرة أخرى "«أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفًى فِي حَقْلٍ، وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَٱشْتَرَى ذَلِكَ ٱلْحَقْلَ." بين الأسبوعين الأخيرين من نبوءة دانيال، تشتت بنو إسرائيل. بذل المسيح حياته الثمينة، اشترى الرب العالم. الشيطان عرض على ربنا ممالك هذا العالم إن سجد له وعبده، فاختار يسوع أن يشتريها ببذل حياته. ووفقًا لهذا المثل، لم يمت يسوع ليخلص الخطاة فحسب، بل مات ليشتري الأرض ليتمكن يومًا ما من فداء إسرائيل وجمعهم من الشتات وإقامة المملكة التي وعد بها آباؤهم.
يقول الكتاب المقدس في عبرانيين (١٢: ٢) "نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ ٱلْإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِ ٱلسُّرُورِ ٱلْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، ٱحْتَمَلَ ٱلصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِٱلْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ ٱللهِ." وكان جزء من هذا الفرح هو فداء الكنز (إسرائيل) الذي كان مخبأً في الحقل (العالم) وإقامة المملكة الموعودة.
يشبه ذلك مثل اللؤلؤة الوارد في الآيتين ٤٥-٤٦."أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لَآلِئَ حَسَنَةً، فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ ٱلثَّمَنِ، مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَٱشْتَرَاهَا".
تتكون اللؤلؤة في البحر وتُستخرج منه ليضعها صاحبها في مكانة مرموقة. وبحسب سفر الرؤيا ١٧يرمز البحر إلى الشعوب والأمم والقبائل. ومن الواضح أن الكنيسة هي المقصودة. هذه اللؤلؤة الواحدة (وحدة جميع القديسين ١كورنثوس ١٢ \\ أفسس ٤) التي أُخذت من بين الأمم (أعمال الرسل ١٥) ليضعها صاحبها في مكانة مرموقة (أفسس ١)اشتراها الرب يسوع بدمه الثمين (١بطرس ١: ١٨-١٩).
يقول آخر الأمثال: "أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ شَبَكَةً مَطْرُوحَةً فِي ٱلْبَحْرِ، وَجَامِعَةً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. فَلَمَّا ٱمْتَلَأَتْ أَصْعَدُوهَا عَلَى ٱلشَّاطِئِ، وَجَلَسُوا وَجَمَعُوا ٱلْجِيَادَ إِلَى أَوْعِيَةٍ، وَأَمَّا ٱلْأَرْدِيَاءُ فَطَرَحُوهَا خَارِجًا. هَكَذَا يَكُونُ فِي ٱنْقِضَاءِ ٱلْعَالَمِ: يَخْرُجُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَيُفْرِزُونَ ٱلْأَشْرَارَ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَبْرَارِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ ٱلنَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ ٱلْبُكَاءُ وَصَرِيرُ ٱلْأَسْنَانِ»." (الآيات ٤٧-٥٠).
لقد رأينا أن البحر يرمز إلى الأمم غير اليهودية. والشبكة التي تُلقى في البحر إشارة واضحة إلى المحاولات المبذولة لسحب الأفراد من الأمم وجمعهم. ومع ذلك، فإن هذا المثل الأخير قد نقلنا إلى ما وراء عصر الكنيسة وإلى الأسبوع الأخير من نبوءة دانيال. وهذا ما نراه، من أجل:
١.إن التجمع ليس في المسيح بل في ملكوت السماوات.
٢.لا يتم هذا التجمع بواسطة البشر بل بواسطة الملائكة.
٣.لا يتم تمديد الحدث، بل يقتصر على نهاية.
٤.بعض الذين تم جمعهم ينجون، بينما يهلك البعض الآخر.
من الواضح أن هذا العمل يتم لتخليص الأرض من أولئك الذين نجوا من الضيقه العظيمة ولكنهم غير مؤهلين لمكان في مملكة الرب يسوع المسيح الأرضية.
يتم تعليم هذه الحقيقة نفسها في مثل الرجل الذي دخل العرس ولكنه لم يكن يرتدي ملابس مناسبة (متى ٢٢: ١١) وتم طرده نتيجة لذلك.
هذا المقطع يُوازيه ما جاء في إشعياء (٦٦: ١٩-٢٠). "وَأَجْعَلُ فِيهِمْ آيَةً، وَأُرْسِلُ مِنْهُمْ نَاجِينَ إِلَى ٱلْأُمَمِ، إِلَى تَرْشِيشَ وَفُولَ وَلُودَ ٱلنَّازِعِينَ فِي ٱلْقَوْسِ، إِلَى تُوبَالَ وَيَاوَانَ، إِلَى ٱلْجَزَائِرِ ٱلْبَعِيدَةِ ٱلَّتِي لَمْ تَسْمَعْ خَبَرِي وَلَا رَأَتْ مَجْدِي، فَيُخْبِرُونَ بِمَجْدِي بَيْنَ ٱلْأُمَمِ. وَيُحْضِرُونَ كُلَّ إِخْوَتِكُمْ مِنْ كُلِّ ٱلْأُمَمِ، تَقْدِمَةً لِلرَّبِّ، عَلَى خَيْلٍ وَبِمَرْكَبَاتٍ وَبِهَوَادِجَ وَبِغَالٍ وَهُجُنٍ إِلَى جَبَلِ قُدْسِي أُورُشَلِيمَ، قَالَ

ٱلرَّبُّ، كَمَا يُحْضِرُ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَقْدِمَةً فِي إِنَاءٍ طَاهِرٍ إِلَى بَيْتِ ٱلرَّبِّ".
مرة أخرى نرى أنه من الممكن أن يكون المرء في ملكوت السماوات دون أن يولد من جديد. إن عبارة "من يصبر إلى المنتهى فذاك يخلص" (متى ١٠: ٢٢ \\ ٢٤: ١٣) لا تشير إلى خلاص النفس أثناء الضيقة، كما زعم البعض المخطئين، بل إلى خلاص الجسد (متى ٢٤: ٢٢) من الموت. قد يدخل هؤلاء الناجون الملكوت، ولكن هل سيُسمح لهم بالبقاء والتمتع به؟ بعض الأسماك تُصطاد من الشباك وتُحتفظ بها لأنها عاشت وفقًا لمبادئ الملكوت. بينما تُصطاد أسماك أخرى من الشباك وتُلقى في النار لأن أعمالها تجعلها غير لائقة بالملكوت.
وهنا يقع دارس الكتاب المقدس المهمل في مأزق حقيقي.
١ .قد ينال الناس الخلاص الروحي بالإيمان بيسوع المسيح، مما يجعلهم جزءًا من ملكوت الله. وسيُكشف أمرهم قبل حلول غضب الله. سيعودون ليملكوا معه عندما يحكم ملكوت السماوات.
٢ .قد ينجو الناس من الموت الجسدي عن طريق المكر أو فرصةٌ سانحةٌ لدخول ملكوت السماوات تحت حكم الملك يسوع. أما من ماتوا دون إيمان بيسوع المسيح، فسيُلقون في جهنم، لأنهم لم يكونوا قط جزءًا من ملكوت الله.

العنصر الأساسي التالي في دراسة ملكوت السماوات هو المقطع الذي أثار حيرة البابويين والبروتستانت. يقول متى (١٦: ١٨-١٩) "وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ ٱلصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ ٱلْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ".«
بما أن ملكوت السماوات هو ملكوت الأرض المادي، فلا علاقة لهذه الآية بالولادة الجديدة أو نيل الحياة الأبدية. في البداية، تخلى بطرس عن كل شيء ليتبع يسوع. لكنه لاحقًا غضب من الرب، وتخلى عنه، وأنكره. ثم تاب، وآمن بالمسيح القائم من بين الأموات، وأصبح من أتباعه. هذه هي مفاتيح ملكوت السماوات.
في البداية، تخلى اليهود عن كل شيء ليتبعوا يسوع استجابةً لتبشير يوحنا، وتوافدوا على صانع المعجزات. لكنهم لاحقًا غضبوا من الرب، وتركوه، وأنكروه. بكلمات مثل: "«ٱصْلِبْهُ! ٱصْلِبْهُ!»." (لوقا ٢٣: ٢١) "«لَيْسَ هَذَا بَلْ بَارَابَاسَ!»." (يوحنا ١٨: ٤٠) "«دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا»." (متى ٢٧: ٢٥) انصرفوا عن مسيحهم. مع ذلك، إن تابوا بعد ذلك، وآمنوا بالمسيح القائم من بين الأموات، وأصبحوا من أتباعه، فسيدخلون ملكوت السماوات. وهذا ما سيحدث لبقية المؤمنين في نهاية الزمان.
لا يفتح بطرس بابًا ويسمح للناس بالدخول إلى السماء، بل يحمل في يده المفتاح الذي سيسمح لليهود التائبين بدخول المملكة الأرضية.
ومن هنا يأخذنا متى إلى المقاطع المعروفة عن العلامات التي تسبق تولي الرب الملكوت (٢٤)و حكم الأمم في بداية الملكوت ،(٢٥)وهي أمور مفصلة في عملنا على سفر الرؤيا والتي لا يمكن الخوض فيها هنا.
لنقارن الآن بين إنجيل متى وإنجيل مرقس. يسجل كلا الإنجيليين انتقال الله من العهد القديم إلى العهد الجديد. يشهد إنجيل مرقس تحولًا واضحًا في الإصحاح الرابع وآخر في الإصحاح الثاني عشر، وهما مشابهان للتحول الذي نراه في إنجيل متى الإصحاح الثالث عشر.
يسجل إنجيل مرقس ٣ تعامل الرب مع الرجل ذي اليد اليابسة. على حد علمنا، كان باقي جسده سليمًا، لكن يده اليابسة جعلته مُقعدًا. يُمثل هذا الرجل الفريسيين. لم يكن في الشريعة عيب، ولا في الهيكل عيب، ولا في الذبائح عيب. لكن أولئك الذين كان من المفترض أن يكونوا عونًا لله فقدوا محبته وحوّلوا عبادة الله إلى دينٍ يُقصيه.
يصطدم يسوع بالفريسيين في إنجيل مرقس ٣. شُفي الرجل المذكور آنفًا، ثم دخلت عائلة يسوع في المشهد. يسجل مرقس (٣: ٣١) "فَجَاءَتْ حِينَئِذٍ إِخْوَتُهُ وَأُمُّهُ وَوَقَفُوا خَارِجًا وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَدْعُونَهُ" تأملوا هذا المشهد جيدًا. كان يسوع المسيح، ملك اليهود، يُبشّر. وكان أقاربه، وهم يلمسون جسده، واقفين في الخارج، قائلين: "تعال إلى هنا حيث نحن." وكان يسوع جالسًا في الداخل، قائلًا: "لا، بل عليكم أنتم أن تدخلوا إلى هنا حيث أنا." فقال: "لن أبرح مكاني"، فقالوا: "لن نبرح مكاننا." وهكذا كان الافتراق في بداية إنجيل مرقس ٤.اتخذ يسوع قرارًا حاسمًا بالابتعاد عن ملكوت السماوات وأمة إسرائيل، وبدأ يأخذ الحقائق الروحية إلى عوالم خاصة مع تلاميذه.
انتبه جيدًا. يقول إنجيل مرقس (٣: ٣٢-٣٥) "وَكَانَ ٱلْجَمْعُ جَالِسًا حَوْلَهُ، فَقَالُوا لَهُ: «هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ خَارِجًا يَطْلُبُونَكَ»."... إن روابط يسوع الجسدية والأرضية تنادي... "فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا: «مَنْ أُمِّي وَإِخْوَتِي؟». ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى ٱلْجَالِسِينَ وَقَالَ: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي، لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ ٱللهِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي»." إنه يقطع الروابط المادية لصالح الروابط الروحية.
ثم يبدأ إنجيل مرقس ٤ بالآية: "وَٱبْتَدَأَ أَيْضًا يُعَلِّمُ عِنْدَ ٱلْبَحْرِ، فَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ ٱلسَّفِينَةَ وَجَلَسَ عَلَى ٱلْبَحْرِ، وَٱلْجَمْعُ كُلُّهُ كَانَ عِنْدَ ٱلْبَحْرِ عَلَى ٱلْأَرْضِ." (الآية ١).لاحظ مرة أخرى كيف أنه ينفصل عن جموع اليهود الواقفين على البر، وهو الآن جالس على البحر. وهذا يُعيدنا إلى رؤيا (١٧: ١ \\ ١٥) "ثُمَّ جَاءَ وَاحِدٌ مِنَ ٱلسَّبْعَةِ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلَّذِينَ مَعَهُمُ ٱلسَّبْعَةُ ٱلْجَامَاتُ، وَتَكَلَّمَ مَعِي قَائِلًا لِي: «هَلُمَّ فَأُرِيَكَ دَيْنُونَةَ ٱلزَّانِيَةِ ٱلْعَظِيمَةِ ٱلْجَالِسَةِ عَلَى ٱلْمِيَاهِ ٱلْكَثِيرَةِ"..."ثُمَّ قَالَ لِي: «ٱلْمِيَاهُ ٱلَّتِي رَأَيْتَ حَيْثُ ٱلزَّانِيَةُ جَالِسَةٌ، هِيَ شُعُوبٌ وَجُمُوعٌ وَأُمَمٌ وَأَلْسِنَةٌ".
في نهاية إنجيل مرقس ٣ وبداية إنجيل مرقس ٤ نرى يسوع ينفصل عن روابطه الوطنية.
في الآية الثانية، نتابع بالقول: "فَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيرًا بِأَمْثَالٍ." لم تكن هناك أمثال حتى ذلك الحين. ما كان علانيًا أصبح الآن خاصًا.
"وَلَمَّا كَانَ وَحْدَهُ سَأَلَهُ ٱلَّذِينَ حَوْلَهُ مَعَ ٱلْٱثْنَيْ عَشَرَ عَنِ ٱلْمَثَلِ، فَقَالَ لَهُمْ: (لا لعائلته، ولا للأمة، بل للتلاميذ المؤمنين) «قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا سِرَّ مَلَكُوتِ ٱللهِ. وَأَمَّا ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ (عائلته الأرضية، أمته الأرضية)، فَبِٱلْأَمْثَالِ يَكُونُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ، لِكَيْ يُبْصِرُوا

مُبْصِرِينَ (بمعنى مادي) وَلَا يَنْظُرُوا (بمعنى روحي)، وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ (بمعنى مادي) وَلَا يَفْهَمُوا (بمعنى روحي)، لِئَلَّا يَرْجِعُوا فَتُغْفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ».” (الآيات ١٠-١٢). وهكذا نرى في بداية إنجيل مرقس أن يسوع وضع حدًا لأولئك الذين رفضوا من داخل الأمة إعلانه مسيحًا لهم.

لو كان بنو إسرائيل مخلصين ليهوه، لما كان بينهم مرض. لقد شفى يسوع مرضاهم. ولو كانوا ملتزمين بالشريعة المقدسة، لما كان بينهم مسّ شيطان. لقد أخرج يسوع شياطينهم. أظهر نفسه إلهًا قديرًا متجسدًا، ليطهرهم برحمته. لكنهم رفضوه. ونتيجة لذلك، حُرموا من الحق الذي أُعلن لهم سابقًا. ليس الأمر مرسوماً كالفينياً باللعنة، بل هو الظلام الذي ينشأ عندما يُحتقر النور.

لاحظ الانتقال المماثل في متى (١٢: ٤٦-٥٠). ” وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُ ٱلْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ. فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ». فَأَجَابَ وَقَالَ لِلْقَائِلِ لَهُ: «مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟». ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي. لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي”.«

هذه المقاطع التي تبدو متطابقة تحمل بعض الاختلافات المهمة. يقول مرقس (٣: ٣٥) ”لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ ٱللهِ” ويقول متى (١٢: ٥٠) ”يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ” إنجيل متى هو كتاب يهودي يتناول ملكوت السماوات، ولذا نجد فيه إشارة إلى الآب وعلاقته بالأمة. أما إنجيل مرقس فهو كتاب غير يهودي يتناول ملكوت الله. لم يكن لدى غير اليهود أب في السماء، لكنهم لطالما آمنوا بإله.

يقول يوحنا (٣: ١-٥)” **كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ ٱلْفَرِّيسِيِّينَ ٱسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ، رَئِيسٌ لِلْيَهُودِ. هَذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلًا وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ ٱللهِ مُعَلِّمًا، لِأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ ٱلْآيَاتِ ٱلَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ ٱللهُ مَعَهُ** ....«أقنعت المعجزات اليهود، لكنهم رفضوا ما أراهم الله إياه. كانت لديهم المعرفة ولكن ليس لديهم الإيمان ...**أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «ٱلْحَقَّ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ ٱللهِ)** .«روحي (**قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ ٱلْإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟)** .«جسدي (**أَجَابَ يَسُوعُ: «ٱلْحَقَّ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ ٱلْمَاءِ وَٱلرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ ٱللهِ** .(روحي)” إذا أردت دخول ملكوت السماوات، فعليك أن تبقى على قيد الحياة حتى يجلس الملك على العرش. إذا أردتَ دخول ملكوت الله، فلا بدّ لك من ولادة ثانية -ولادة روحية. لا يمكن لأي ولادة جسدية أن تُدخلك ملكوت الله.

انظر إلى لوقا (١٧: ٢٠-٢١). ”وَلَمَّا سَأَلَهُ ٱلْفَرِّيسِيُّونَ: «مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ ٱللهِ؟». أَجَابَهُمْ وَقَالَ: «لَا يَأْتِي مَلَكُوتُ ٱللهِ بِمُرَاقَبَةٍ، وَلَا يَقُولُونَ: هُوَذَا هَهُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لِأَنْ هَا مَلَكُوتُ ٱللهِ دَاخِلَكُمْ».” هناك مئات الأمور التي يذكرها العهد القديم والتي يمكن للمرء ملاحظتها فيما يتعلق بملكوت السماوات. ليس هناك شيء مرئي في ملكوت الله. يولد الإنسان فيه روحياً، وهو يسكن في قلب المؤمن.

قارن مرة أخرى بين مرقس (٤: ١١) ومتى (١٣: ١١). ”فَقَالَ لَهُمْ: «قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا **سِرَّ** مَلَكُوتِ ٱللهِ...” مرقس (٤: ١١). ”فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «لِأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا **أَسْرَارَ** مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا لِأُولَئِكَ فَلَمْ يُعْطَ.” متى (١٣: ١١).

هل لاحظتَ أن أحدهما لغزٌ واحد، بينما الآخر مجموعةٌ من الألغاز؟ ملكوت السماوات ليس لغزًا، فكل كتابٍ في العهد القديم مليءٌ بالمعلومات عنه. ما تكشفه الأمثال في إنجيل متى ”١٣” هو بعض الأمور الغريبة وغير المتوقعة عن ذلك الملكوت، لأنه لم يُهيئهم شيءٌ في العهد القديم لفترة عصر الكنيسة بين الأسبوعين الأخيرين من سفر دانيال ”٩”.ملكوت السماوات ليس لغزًا، لكن بعض التفاصيل المتعلقة به تبقى غامضة.

أما فيما يتعلق بملكوت الله، فإن الأمر برمته لغز، لأنه لم يتم الكشف عن أي شيء منه في العهد القديم. إن إنجيلي متى ومرقس ليسا إنجيلين متطابقين. فهما بالتأكيد لا يقدمان نفس الرؤية لأي شيء. بل يعلمان حقائق مختلفة تماماً.

في إنجيل مرقس (٤: ١٤-٢٠) نقرأ مثل الزارع وعلاقته بالملكوت الروحي. ”اَلزَّارِعُ يَزْرَعُ ٱلْكَلِمَةَ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ ٱلَّذِينَ عَلَى ٱلطَّرِيقِ: حَيْثُ تُزْرَعُ ٱلْكَلِمَةُ، وَحِينَمَا يَسْمَعُونَ يَأْتِي ٱلشَّيْطَانُ لِلْوَقْتِ وَيَنْزِعُ ٱلْكَلِمَةَ ٱلْمَزْرُوعَةَ فِي قُلُوبِهِمْ. وَهَؤُلَاءِ كَذَلِكَ هُمُ ٱلَّذِينَ زُرِعُوا عَلَى ٱلْأَمَاكِنِ ٱلْمُحْجِرَةِ: ٱلَّذِينَ حِينَمَا يَسْمَعُونَ ٱلْكَلِمَةَ يَقْبَلُونَهَا لِلْوَقْتِ بِفَرَحٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ فِي ذَوَاتِهِمْ، بَلْ هُمْ إِلَى حِينٍ. فَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا حَدَثَ ضِيقٌ أَوِ ٱضْطِهَادٌ مِنْ أَجْلِ ٱلْكَلِمَةِ، فَلِلْوَقْتِ يَعْثُرُونَ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ ٱلَّذِينَ زُرِعُوا بَيْنَ ٱلشَّوْكِ: هَؤُلَاءِ هُمُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ٱلْكَلِمَةَ، وَهُمُومُ هَذَا ٱلْعَالَمِ وَغُرُورُ ٱلْغِنَى وَشَهَوَاتُ سَائِرِ ٱلْأَشْيَاءِ تَدْخُلُ وَتَخْنُقُ ٱلْكَلِمَةَ فَتَصِيرُ بِلَا ثَمَرٍ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ ٱلَّذِينَ زُرِعُوا عَلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجَيِّدَةِ: ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ٱلْكَلِمَةَ وَيَقْبَلُونَهَا، وَيُثْمِرُونَ: وَاحِدٌ ثَلَاثِينَ وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ مِئَةً”.«

أول ما نتعلمه عن هذه المملكة أنها لا سيوف فيها، ولا بنادق، ولا أسلحة، ولا حدود، ولا عاصمة، ولا ملك بشري، ولا قائد عسكري، ولا مال، ولا ثروات، ولا تنظيم -إنما رجال ينطلقون ويبشرون بالكلمة. هذا كل ما في الأمر. ليس لها مقر رئيسي، ولا تسلسل هرمي، و برنامج، ولا دعم من جهة أو أخرى. ليست سياسية، ولا اجتماعية، ولا عسكرية. إنها مجرد أناس يخرجون ويخبرون الآخرين عن يسوع المسيح. بعضهم يؤمن، وبعضهم لا، وكل من يؤمن يثمر. تلك هي مملكة الله.

إذا كنت لا تعتقد أن هذا لغز، فارجع واقرأ عن ملكوت السماوات في جميع أنحاء العهد القديم. إنه يتحدث عن الحدود، والأرض، والقوانين، والملوك، والوصايا، والأعياد، والقرابين. كل شيء مادي وملموس. اقرأ العهد الجديد وسترى أن كل يوم متشابه. لدينا عيد واحد، وهو مائدة الرب. لا توجد أعياد. كل يوم يوم مقدس. لا ملوك، ولا أمراء، ولا حكام، ولا قائد أعلى. كلنا إخوة في الرب. إنه مختلف تمامًا عن أي شيء حدث من قبل. الأمر برمته سرٌّ.

”ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ يُؤْتَى بِسِرَاجٍ لِيُوضَعَ تَحْتَ ٱلْمِكْيَالِ (للتجارة) أَوْ تَحْتَ ٱلسَّرِيرِ؟ (للمنزل) أَلَيْسَ لِيُوضَعَ عَلَى ٱلْمَنَارَةِ؟” (الآية ٢١).المنارة، بحسب سفر الرؤيا ”١” هي الكنيسة. الرب لا يُرسل شعبه ليعيشوا ويخدموا في عزلة، بل يُريدهم أن يعيشوا ويخدموا في شركةٍ فيما بينهم.

"لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ خَفِيٌّ لَا يُظْهَرُ، وَلَا صَارَ مَكْتُومًا إِلَّا لِيُعْلَنَ." (الآية ٢٢).وكما خرج الزارع ليزرع في إنجيل متى، كذلك هنا لا يُحجب نور الشمعدان بل يُضيء للجميع. وفي كلتا الحالتين، الفكرة هي أن على مواطني المملكة نشر رسالتها.
"إِنْ كَانَ لِأَحَدٍ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ».وَقَالَ لَهُمْ: «اُنْظُرُوا مَا تَسْمَعُونَ! بِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ وَيُزَادُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ." (الآيات ٢٣-٢٤). هذا وعدٌ عظيم. كلما ازددنا فهمًا لكلمة الله وتطبيقًا لها، كلما أظهر لنا المزيد. بعض الناس يتعلمون من الكتاب المقدس أكثر من غيرهم لأنهم يقبلون حقائقه أكثر من غيرهم.
أعطى الله بني إسرائيل تسعة وثلاثين كتابًا، فرفضوا نورها. ويخبرنا رومية "١١" أن الرب قرر أنه إذا لم ترغب الأغصان الأصلية في الحق، فإنه سيقدم الغذاء لأغصان جديدة. فالحق متاح لمن يرغب فيه.
"وَقَالَ: «هَكَذَا مَلَكُوتُ اللهِ: كَأَنَّ إِنْسَانًا يُلْقِي الْبِذَارَ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ، لِأَنَّ الْأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِثَمَرٍ. أَوَّلًا نَبَاتًا، ثُمَّ سُنْبُلًا، ثُمَّ قَمْحًا مَلآنَ فِي السُّنْبُلِ. وَأَمَّا مَتَى أَدْرَكَ الثَّمَرُ، فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُ الْمِنْجَلَ لأَنَّ الْحَصَادَ قَدْ حَضَرَ»."(الآيات ٢٦-٢٩).هنا نرى أن كل السهر والقلق في العالم لا يُضيف شيئاً إلى قوة البذرة أو طبيعتها. فإن وجدت أرضاً خصبة، نمت. وإن لم تجد، ذبلت. هكذا هو ملكوت الله. لا تستطيعون أن تُخلصوا النفوس. لا تستطيعون أن تجعلوا إنساناً يؤمن. لا تستطيعون أن تجعلوا طفلًا في المسيح ينمو في الرب. كل ما تستطيعون فعله هو نشر الكلمة. ومع ذلك، عندما نزرع البذرة، فإنها تُودي عملها العجيب وتُثمر. نحن نعمل للرب، ولكن الرب هو الذي يقوم بالعمل. قد يبتكر الإنسان برامج للتلاعب بالنتائج الزائفة، لكن الإنجازات الدائمة والاهتداءات الحقيقية ستكون بفضل قوة الكلمة لا بفضل العامل. قد يزرع المرء ويسقي، لكن الله هو من يُنبت (كورنثوس الأولى ٣: ٦-٧).
"وَقَالَ: «بِمَاذَا نُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللهِ؟ أَوْ بِأَيِّ مَثَلٍ نُمَثِّلُهُ؟ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ، مَتَى زُرِعَتْ فِي الْأَرْضِ فَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ الَّتِي عَلَى الْأَرْضِ. وَلَكِنْ مَتَى زُرِعَتْ تَطْلُعُ وَتَصِيرُ أَكْبَرَ جَمِيعِ الْبُقُولِ، وَتَصْنَعُ أَغْصَانًا كَبِيرَةً، حَتَّى تَسْتَطِيعَ طُيُورُ السَّمَاءِ أَنْ **تَتَآوَى تَحْتَ ظِلِّهَا**".«(الآيات ٣٠-٣٢).هذا مثير للاهتمام حقًا. إن الاختلاف بين إنجيل مرقس وإنجيل متى لافتٌ ومجيد. هنا ينتشر ليس من الشجرة بل من الأغصان. لا يتحول نبات الخردل إلى شجرة كما في متى (١٣: ٣٢). بل يبقى على طبيعته، ولكنه ينتشر في كل الأرض. تمتد هذه الأغصان من علية في أورشليم إلى آسيا وأفريقيا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وغرينلاند وأستراليا، لكنها تبقى على حالها منذ البداية. لا يتحول ملكوت الله من كنيسة إلى حركة سياسية، ولا من التبشير إلى جيوش، ولا من العطاء والأخذ إلى تكديس الثروات. بل يبقى كما بدأ.
يكمن اللغز في أنه قبل ألفي عام، في شوارع مدينة صغيرة، روى الصيادون وجباة الضرائب والرجال غير المتعلمين والأمهات والنجارون قصة مُخلص مات وقام من بين الأموات. آمن بعضهم ونشروا هذه الكلمة. انتقلت من بلدة إلى أخرى، ومن البر الرئيسي إلى الجزيرة، ومن قارة إلى أخرى. من شمال الدائرة القطبية الشمالية إلى أقصى جنوب الأرجنتين، ومن قلب غابات أفريقيا إلى أعماق لندن، ومن قمم منغوليا إلى صحاري الجزيرة العربية، لا يفعل الرجال والنساء البسطاء أكثر ولا أقل مما فعلوه في اليوم الأول الذي نبتت فيه حبة الخردل من أرض طيبة.
على الطالب أن يتأمل أيضًا فرقًا بديعًا آخر بين مَثَل متى "حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي **أَغْصَانِهَا**".«(١٣: ٣٢)ومَثَل مرقس "حَتَّى تَسْتَطِيعَ طُيُورُ السَّمَاءِ أَنْ تَتَآوَى **تَحْتَ ظِلِّهَا**".«(٤: ٣٢). يا له من كتاب! هناك طيور في ملكوت السماوات، ولا وجود لها في ملكوت الله. قد تقع تحت تأثيره، لكنها لن تدخله أبدًا.
"وَأَمَّا مَتَى أَدْرَكَ الثَّمَرُ، فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُ الْمِنْجَلَ لِأَنَّ الْحَصَادَ قَدْ حَضَرَ»." (الآية ٢٩). سبب فرحنا التالي
هو أن سرًا من أسرار ملكوت السماوات غائبٌ عن سر ملكوت الله. لا يوجد مثل الزوان. في نهاية الزمان، لا يوجد سوى حصاد لملكوت الله. لا يوجد جمع وحرق. لا يوجد ما يُعثر عليه. لا يوجد ما يُطرد. لا يوجد شيء مُزيّف. لا يوجد ادعاء كاذب في ملكوت الله. يوجد ادعاء كاذب في الملكوت المادي، لكن ليس في الملكوت الروحي. كل من في ذلك الملكوت قد وُلِد من جديد، لذلك لا يُؤخذ شيء إلى النار.
انظر إلى شيء آخر في متى (١٣: ٢٤-٢٥). "قَدَّمَ لَهُمْ مَثَلًا آخَرَ قَائِلًا: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا زَرَعَ زَرْعًا جَيِّدًا فِي حَقْلِهِ. وَفِيمَا النَّاسُ نِيَامٌ جَاءَ عَدُوُّهُ وَزَرَعَ زَوَانًا فِي وَسْطِ الْحِنْطَةِ وَمَضَى." ويقول مرقس (٤: ٢٦) "وَقَالَ: «هَكَذَا مَلَكُوتُ اللهِ: كَأَنَّ إِنْسَانًا يُلْقِي الْبِذَارَ عَلَى الْأَرْضِ وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلًا وَنَهَارًا" في مثل ملكوت السماوات، كان على الرجال (بصيغة الجمع) حراسة الحقل. ومن الواضح أنهم قصّروا في واجبهم. أما في مثل ملكوت الله، فالرجل (الرب يسوع) هو من يحرس الحقل، فيبقى نقياً.
ثمة فرق آخر يدعم هذا الموضوع، وهو المصاعب التي واجهها سامعو الأرض الحجرية. ففي إنجيل مرقس، واجهوا ضِيقٌ أَوِ اضْطِهَادٌ (٤: ١٧) بينما في إنجيل متى (١٣: ٢١) واجهوا الشدائد (مترجمة من لغه الأنجليزية من الكتاب المقدس النسخة الموحاه من الرب الملك جيمس) أو الاضطهاد.
لا ينبغي أن تُثير أيٌّ من هذه الاختلافات الدهشة. فمع تفسير يسوع للمثل الأول في كل سفر، يُقَّدم لنا دليل. ففي متى (١٣: ١٩) كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ كَلِمَةَ الْمَلَكُوتِ، بينما في مرقس (٤: ١٤) اَلزَّارِعُ يَزْرَعُ الْكَلِمَةَ. لاحظ أن الموضوع الرئيسي لأمثال متى كان الفشل. لكن كل مثل يتعلق بسر ملكوت الله يعد بالنجاح من البذرة. لم يلمح أي من تلك الأمثال إلى عدم وجود نتيجة. بل ضمن كل منها نمو شيء أعظم مما هو متوقع.
كخلاصة لهذه الأمثال، تأملوا ما يُفقد لمن لا يقبل كلمة الله. في نص ملكوت السماوات، نقرأ في متى (١٣: ١٥) أن جهل الناس حرمهم من هذه البركة، وأنه سيشفيهم، بينما في مرقس (٤: ١٢) كانت رغبة الرب أن تُغفر خطاياهم. هذان الفكران المختلفان تمامًا يتوافقان تمامًا مع ما نعرفه عن كل ملكوت.

يكفينا مثالان آخران. في إنجيل مرقس (١١: ١٧) يقتبس المسيح من إشعياء (٥٦: ٧) "قَائِلًا لَهُمْ: «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا: بَيْتِي بَيْتَ صَلَاةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ **الْأُمَمِ**؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ»." ومع ذلك، عندما يستخدم هذه الآية في إنجيل متى (٢١: ١٣) "وَقَالَ لَهُمْ: «مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلَاةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!»." هنا، الأمم مستثناة. من الواضح أن متى كان مهتماً بشكل خاص بملكوت السماوات اليهودي.

تأملوا في المقدمة التي تُمهّد لظهور يسوع في مجده على جبل التجلي. يقول متى (١٦: ٢٧-٢٨) "فَإِنَّ ابْنَ **الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ** مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ»." وهكذا نرى مجد الآب مُتجسدًا في الابن. إنه ملكوت الابن، وبعد عودته يُحاسب الناس على أعمالهم.

يقول إنجيل مرقس (٨: ٣٨) "لِأَنَّ مَنِ ٱسْتَحَى بِي وَبِكَلَامِي فِي هَذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ، فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ **مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ** مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْقِدِّيسِينَ»." في إنجيل مرقس، يُخْتَزَى الرب من بعض الناس، ولكن لا يوجد أي دينونة. لدينا إشارة إلى مرافقة ملائكية، ولكن لا يوجد ذكر للملكوت.

يقول لوقا (٩: ٢٦-٢٧) "لِأَنَّ مَنِ ٱسْتَحَى بِي وَبِكَلَامِي، فَبِهَذَا يَسْتَحِي ابْنُ الْإِنْسَانِ مَتَى **جَاءَ بِمَجْدِهِ وَمَجْدِ الْآبِ** وَالْمَلَائِكَةِ الْقِدِّيسِينَ. حَقًّا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ»." في هذا المقطع، المجد هو مجد الابن، إضافةً إلى مجد الآب والملائكة. نرى أنه في ملكوت الله، يتمجد الابن، بينما في ملكوت السماوات، يتجلى مجد الآب في حكم الابن.

ومن الجدير بالذكر أيضًا أنه في إنجيل متى، يُذكر أن الوحي يتعلق بملكوت السماوات، ولذا يتبع رواية التجلي سؤالٌ عن مجيء إيليا، مما يربطنا بالوعد الأخير في العهد القديم (ملاخي ٤: ٥-٦). أما في إنجيل لوقا، فيُذكر أن الوحي يتعلق بملكوت الله، لذا لا يتبع ذلك أي نقاش من هذا القبيل.

لنعد إلى مرقس (٤: ١). "وَٱبْتَدَأَ أَيْضًا يُعَلِّمُ عِنْدَ الْبَحْرِ، فَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ عَلَى الْبَحْرِ، وَالْجَمْعُ كُلُّهُ كَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ عَلَى الْأَرْضِ."... هنا نشهد تحولًا، إذ يبتعد الرب عن عائلته وعن اليهود (تذكروا نهاية الإصحاح ٣).إنهم ينطلقون حاملين رسالة ملكوت الله إلى ممالك وأمم وقبائل وألسنة.

يختتم الفصل بصورة للكنيسة بين الأمم في عصر النعمة هذا. "وَقَالَ لَهُمْ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ: «لِنَجْتَزْ إِلَى الْعَبْرِ». فَصَرَفُوا الْجَمْعَ وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي السَّفِينَةِ. وَكَانَتْ مَعَهُ أَيْضًا سُفُنٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ. فَحَدَثَ نَوْءُ رِيحٍ عَظِيمٌ، فَكَانَتِ الْأَمْوَاجُ تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِئُ." (مرقس ٤: ٣٥-٣٧).

ما كادوا يبحرون مع يسوع إلى الضفة الأخرى حتى هبت عاصفة. أوحى الروح القدس إلى مرقس أن يسجل هذه الحقيقة لنعلم أن الأمور لن تسير على ما يرام، وأن هناك متاعب ومخاطر وخوفًا. صمدت السفينة الصغيرة أمام العاصفة، لكنها لم تنجُ من الرياح العاتية والأمواج الهائجة.

"وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِمًا. فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟». فَقَامَ وَٱنْتَهَرَ الرِّيحَ، وَقَالَ لِلْبَحْرِ: «اُسْكُتْ! اِبْكَمْ!». فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هٰكَذَا؟ كَيْفَ لَا إِيمَانَ لَكُمْ؟». فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا، وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ هٰذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضًا وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ!»." (الآيات ٣٨-٤١).

كانوا خائفين. شكّوا في عناية الرب بهم. كانوا يشكّون في نجاتهم. لقد عرفت كنيسة الله الحيّ عواصف كثيرة كهذه، وواجه أعضاؤها مصاعب مماثلة من الداخل والخارج منذ أن أبحروا مع يسوع إلى الضفة الأخرى. لكن لم يهلك أحد. لم يسقط أحد في البحر. أبحرت السفينة. في زمنه، جلب يسوع الطمأنينة للبحر والبحارة. عند الضرورة، وبخ من رافقوه. فقدوا إيمانهم، لكنهم لم يفقدوا مكانتهم. راودتهم الشكوك، لكنهم ظلوا مع ربهم. تساءلوا عن محبته، فأحبهم. كل من غامر بالخروج وصل سالمًا إلى الضفة الأخرى.

في إنجيل مرقس "٥" لدينا صورة رائعة أخرى لتعامل الرب مع إسرائيل والكنيسة. في الآية "٢٢" سقط رئيس المجمع عند قدمي يسوع. كانت له ابنة على وشك الموت (الآية ٢٣) فذهب يسوع لمساعدتها (الآية ٢٤).ثم ينقطع السرد بقصة امرأة لم تكن قد شفيت تمامًا (الآية ٢٥).لقد عانت، وبذلت كل ما تملك لشفائها، لكن حالتها تدهورت تدريجيًا (الآية ٢٦).لم يستطع أحد مساعدتها. بالإيمان، أتت إلى يسوع، ولمسته، فشفيت (الآيتان ٢٧-٢٨).لم تنل الشفاء فحسب، بل خرجت من يسوع قوةٌ وأُعطيت لها (الآيتان ٢٩-٣٠).استمتعت المرأة بسماع كلمة الرب، وتعزّت به، ونالت السلام (الآية ٣٤). ثم اختفت من المكان.

ثم استؤنف حديث الرب مع الحاكم اليهودي من النقطة التي قاطعت فيها المرأة السرد. كانت الفتاة قد ماتت (الآية ٣٥) وفقد كثيرون الأمل (الآية ٣٥).لكن يسوع دعا الرجل إلى الإيمان (الآية ٣٦).ولما وصل إلى البيت، كان هناك حزن شديد وكرب (الآية ٣٨).فدخل على الجمع وأخبرهم أن هذا الموت ليس دائمًا بل مؤقتًا (الآية ٣٩). ولما أكد الرب بجرأة أن الموت ليس عائقًا أمام قدرته، سخر منه كثيرون من الجماعة واستهزأوا بكلامه (الآية ٣٩).فأبعدهم عن المكان (الآية ٣٩).أما الذين آمنوا بكلامه، فبقيوا معه ورافقوه إلى المكان الذي سيعيد فيه الحياة للفتاة (الآيات ٤٠-٤١).وبكلمة قدرته أقامها من بين الأموات، فعادت تمشي على الأرض مرة أخرى (الآية ٤٢).

والآن، تأملوا في حال بني إسرائيل. فبسبب خطاياهم الجماعية واستهانتهم بالشريعة، هم على وشك الهلاك. لكن بينهم قلة من المؤمنين الذين يلتمسون العون من الرب، فيسعى جاهداً لمساعدة شعبه المختار. لكنّ السرد يُقاطع بظهور امرأة (رمز للكنيسة) لم تُشفَ تمامًا. لقد عانى أبناء آدم معاناةً شديدة. بذلوا كلّ ما في وسعهم في سبيل دينٍ أو فلسفةٍ تلو الأخرى، ولكن بدلًا من أن يتحسّنوا، ازدادوا تدهورًا. لم يستطع أحدٌ مساعدتهم. ثمّ بالإيمان شقّوا طريقهم عبر الجموع المُعيقة ووصلوا إلى يسوع. إيمانهم به شفاهم. في جميع معجزات الشفاء التي أجراها الربّ على بني إسرائيل، لا نقرأ عن فضيلةٍ خرجت منه. في جميع أنحاء العهد القديم، غُفرت ذنوب الكثيرين ونالوا الخلاص بالنعمة، لكنّ الكنيسة وحدها هي التي مُنحت برّ يسوع المسيح المنسوب إليها. الكنيسة وحدها هي

التي لديها روح الله الحيّ المُرسَل من الآب ليسكن في كلّ واحدٍ منها. عروس المسيح تستمتع بسماع كلمة الربّ، وتُعزّى به، وتُمنح السلام. ثمّ تختفي من المشهد.
ثم يستأنف الرب تعامله مع اليهود من النقطة التي قاطعت عندها المرأة السرد. الأمة هي يُعتبرون الآن أمواتًا (مقطوعين رومية ١١)وقد فقد الكثيرون الأمل في عودتهم للحياة. لكن يسوع يدعو أبناء إبراهيم إلى الإيمان. عندما يظهر، سيكون ذلك في وقت حزن وضيق شديدين؛ ضيقه لم يشهد العالم مثلها من قبل. يتدخل في شؤونهم ويخبرهم أن موتهم ليس دائمًا بل مؤقتًا. يستهزئ به الكثيرون ويرفضونه، كما فعلوا عندما جاء في المرة الأولى. يطردهم من المكان، كما هو موضح في قسم الأناجيل النبوي وفي سفر الرؤيا. أما الذين يؤمنون بكلامه فيبقون معه ويرافقونه إلى المكان الذي سيعيد فيه بقية إسرائيل إلى الحياة الموعودة لآبائهم. بكلمة قدرته يقيم المؤمنين من الأموات (حزقيال ٣٧)ويسيرون على الأرض مرة أخرى.
لاحظ أن المرأة كانت مريضة لمدة اثنتي عشرة سنة (الآية ٢٥).وهذه هي نفس المدة التي عاشتها الفتاة (الآية ٤٢).لقد ظلّ الأمم بلا أمل ولا علاقة عهد مع الله منذ أن أصبح بنو إسرائيل أمة. لا تغفل حقيقة أن كلا الطرفين قد تم شفاؤهما بقوة الله، وبتوجيه من نعمة الله، استجابة للإيمان، وليس بالأعمال أو الالتزام بالشريعة.

باختصار، دعونا نحدد الفروق الخمسة الرئيسية بين ملكوت الله وملكوت السماوات:.
١.ملكوت الله شاملٌ للجميع، فهو يضم جميع المخلوقات التي تخضع لله طواعيةً، بما في ذلك الملائكة والقديسين على مرّ العصور. يقول لوقا (١٣: ٢٨) "هُنَاكَ يَكُونُ ٱلْبُكَاءُ وَصَرِيرُ ٱلْأَسْنَانِ، مَتَى رَأَيْتُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَمِيعَ ٱلْأَنْبِيَاءِ فِي مَلَكُوتِ ٱللهِ، وَأَنْتُمْ مَطْرُوحُونَ خَارِجًا." وهناك قديسون من العهد القديم دخلوا ملكوت الله بالإيمان.
يقول الكتاب المقدس في عبرانيين (١٢: ٢٢-٢٣) "بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ ٱللهِ ٱلْحَيِّ، أُورُشَلِيمَ ٱلسَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلَائِكَةٍ، وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، وَإِلَى ٱللهِ دَيَّانِ ٱلْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ" الملائكة، والكنيسة، وكل من بلغ الكمال بالإيمان بالرب، جميعهم في ملكوت الله. إن ملكوت السماوات محصورٌ في عرشٍ أرضي وشعبٍ أرضي. وفي النهاية، سيكون ملكاً ليسوع، ملك اليهود، الذي سيحكم في أورشليم.

٢.لا يُدخل ملكوت الله إلا بالإيمان (يوحنا ٣: ٣-٧).يدخل ملكوت السماوات من هم أبرار ظاهريًا، لكنهم لم يضعوا ثقتهم في الرب قط. يروي سفر الرؤيا (٢٠: ٧-٨) عن أولئك الذين نالوا مكانة في ملكوت السماوات، لكن قلوبهم تابعة للشيطان. "ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ ٱلْأَلْفُ ٱلسَّنَةِ يُحَلُّ ٱلشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ ٱلْأُمَمَ ٱلَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا ٱلْأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، ٱلَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ ٱلْبَحْرِ." من الواضح أن هناك أناسًا سيعيشون في ملكوت السماوات ويتمتعون به، وهم لا يدينون بالولاء ليسوع.

٣.بما أن ملكوت السماوات هو، من بعض النواحي، تجلٍّ أرضي أو مادي لملكوت الله، فإن بينهما قواسم مشتركة كثيرة. ومع ذلك، لا يُقال أبدًا إنهما متطابقان. فملكوت الله ليس مُتاحًا للمُنتزعين، كما قال يسوع عن ملكوت السماوات. "وَمِنْ أَيَّامِ يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانِ إِلَى ٱلْآنَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَٱلْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ." (متى ١١: ١٢). لا يستطيع أحدٌ أن يقتحم ملكوت الله، ولا تستطيع أي قوة أن تُطيح بالله وتنتزع منه زمام المملكة الروحية. تأمل كيف استولى داريوس على السلطة من بلطاصر، أو كيف سيُطيح الملك يسوع بالوحش. هذا هو تاريخ ملكوت السماوات. ومع ذلك، في أورشليم الجديدة التي في السماء، كان وسيظل هناك ملك واحد يحكم إلى الأبد.

٤.يأتي ملكوت الله دون دليل ظاهري أو مرئي (لوقا ١٧: ٢٠). إنه داخلي وروحي (رومية ١٤: ١٧). كثيرون ممن في هذا الملكوت لم يروا ملكه قط (١ بطرس ١: ٨). ملكوت السماوات كان دائمًا مرئيًا. عندما يعود ملكه المنتصر، ستراه كل عين (رؤيا ١: ٧).

٥.ستندمج مملكة السماوات في النهاية مع مملكة الله. انظر إلى ١كورنثوس (١٥: ٢٤-٢٦). "وَبَعْدَ ذَلِكَ ٱلنِّهَايَةُ، مَتَى سَلَّمَ ٱلْمُلْكَ لِلهِ ٱلْآبِ، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ. لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى «يَضَعَ جَمِيعَ ٱلْأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ». آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ ٱلْمَوْتُ." وعندما يزول كل أثر لعدم الايمان، لن تكون هناك حاجة لفصل المملكتين.

الفصل الخامس: المجيء الأول والثاني للمسيح.

من الأهمية بمكان أن يؤمن دارس كلمة الله بأن الرب يسوع نفسه الذي جاء إلى الأرض متجسدًا في جسد بشري ليموت من أجل خطايا العالم (١ تيموثاوس ٣: ١٦) سيعود ثانيةً في الجسد نفسه إلى هذه الأرض. ومن الضروري أيضًا التمييز بين النصوص النبوية التي تشير إلى مجيئه الأول وتلك التي تشير إلى مجيئه الثاني.
نعلم أنه في ملء الزمان (غلاطية ٤: ٤)اتخذ الخالق (١ بطرس ٤: ١٩)جسدًا بشريًا ووُلد لمريم العذراء في بيت لحم. دُعي اسمه يسوع (لوقا ١ :٣١)وسار على هذه الأرض ٣٣ سنة ونصف قبل صلبه. في أورشليم، بذل حياته ومات على الصليب ليكفّر عن خطايا العالم. بعد ثلاثة أيام قام من بين الأموات. ثم بعد أربعين يومًا (أعمال١ :٣) رآه خلالها تلاميذه مرارًا وصعد (أعمال ١: ٩ - ١١)إلى يمين الآب (عبرانيين ١٢ :٢).
هذه قصة عودته إلى السماء. "وَأَخْرَجَهُمْ خَارِجًا إِلَى بَيْتِ عَنْيَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ. وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ، ٱنْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ، وَكَانُوا كُلَّ حِينٍ فِي ٱلْهَيْكَلِ يُسَبِّحُونَ وَيُبَارِكُونَ ٱللهَ. آمِينَ." (لوقا ٢٤: ٥٠-٥٣).
يُلقي سفر أعمال الرسل (١: ٩-١٠) مزيدًا من الضوء على الحدث نفسه. "وَلَمَّا قَالَ هَذَا ٱرْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ. وَفِيمَا كَانُوا يَشْخَصُونَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ، إِذَا رَجُلَانِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ".
إن يسوع نفسه الذي وقف على جبل الزيتون وصعد إلى السماء بجسده المادي، وكان مرئيًا للحاضرين، سيعكس هذا الحدث في يومٍ ما. سيأتي من السماء بجسده المُقام إلى الأرض، ويهبط على جبل الزيتون، ويكون مرئيًا لجميع الحاضرين. هذا قولٌ بالغ الأهمية. فالكتاب المقدس لا يقول فقط إنه سيأتي هكذا، بل يقول إنه سيأتي بهذه الطريقة. سيكون مجيئه كذهابه، وعودته كرحيله.
لن يتجسد يسوع من جديد. لن يعود للمرة الثانية كما فعل في المرة الأولى. لن يأتي كطفل مولود من أم بشرية. لن يأتي روحياً. لن يأتي مجازياً. لن يأتي في صورة حركة أو ثورة أو نهضة. لن يأتي من خلال حلوله في قلوب المؤمنين. سيكون هناك عودة حرفية وجسدية ليسوع المسيح بنفس الجسد الذي كان يعيش فيه عندما غادر هذه الأرض.
يُعلن سفر زكريا المُهمل هذه الحقائق. "وَتَقِفُ قَدَمَاهُ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ عَلَى جَبَلِ ٱلزَّيْتُونِ" (زكريا ١٤: ٤). " فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، ٱلَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ" (زكريا ١٢: ١٠). "فَيَقُولُ لَهُ: مَا هَذِهِ ٱلْجُرُوحُ فِي يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هِيَ ٱلَّتِي جُرِحْتُ بِهَا فِي بَيْتِ أَحِبَّائِي." (زكريا ١٣: ٦).
دعونا نستمتع بثلاثة مقاطع من الكتاب المقدس تؤكد حقيقة صعود الرب.
في سفر أعمال الرسل (٧: ٥٥) كان استفانوس يعظ، ويقول الكتاب المقدس: "وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ، (قارن ذلك بالعبارة الواردة في أعمال الرسل "١") فَرَأَى مَجْدَ ٱللهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ ٱللهِ." لا شك في المكان الذي ذهب إليه يسوع. لم يبتعد ويختبئ في مغارة. لم يقم بأي خدعة ليخدعهم ويظنوا أنه يصعد. لم يتسلل دون أن يُكتشف أمره ليتزوج مريم المجدلية. نظر استفانوس إلى السماء فوجد يسوع هناك.
يقول الكتاب المقدس في عبرانيين (١: ١-٣) "ٱللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ ٱلْآبَاءَ بِٱلْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ ٱلْأَيَّامِ ٱلْأَخِيرَةِ فِي ٱبْنِهِ، ٱلَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، ٱلَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ ٱلْعَالَمِينَ، ٱلَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ ٱلْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ ٱلْعَظَمَةِ فِي ٱلْأَعَالِي" عاد يسوع إلى عرشه الأبيض العظيم عن يمين الآب.
يحثّنا كولوسي (٣: ١) قائلًا: "فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ ٱلْمَسِيحِ فَٱطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ ٱلْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ ٱللهِ." في هذا العصر، عصر العهد الجديد، يُطلب منا أن نؤمن ونعلم ونفهم أن يسوع المسيح جالس عن يمين الله الآب في السماء الثالثة.
ثم ننتقل إلى تيطس (٢: ١١-١٣) حيث نقرأ: "لِأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ ٱللهِ ٱلْمُخَلِّصَةُ لِجَمِيعِ ٱلنَّاسِ، مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ ٱلْفُجُورَ وَٱلشَّهَوَاتِ ٱلْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِٱلتَّعَقُّلِ وَٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى فِي ٱلْعَالَمِ ٱلْحَاضِرِ، مُنْتَظِرِينَ ٱلرَّجَاءَ ٱلْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ ٱللهِ ٱلْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ" لقد رحل الرب. نعرف المكان الذي رحل منه. نعرف المكان الذي ذهب إليه بالتحديد. نعرف أين هو جالس وماذا يفعل. نعرف أنه سيعود ثانية، ونعرف الوجهة التي سيأتي إليها. كل شيء واضح إذا أخذنا الكتاب المقدس حرفيًا.

مفاهيم خاطئة بشأن المجيء الثاني للمسيح.

هناك العديد من الأفكار الخاطئة حول المجيء الثاني للمسيح، يروج لها من لا يقبلون صحة الكتاب المقدس برمته أو يرفضون تفسيره حرفيًا. فلنتناول كل فكرة من هذه الأفكار ونبين خطئها.

١ .حلول الروح القدس في عيد الخمسين.

يؤمن كثيرون بأن النبوءات المتعلقة بعودة الرب قد تحققت بنزول الروح القدس يوم الخمسين. ولعلكم تذكرون قول يسوع: "لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ." (يوحنا ١٤: ١٨). ولكن بعد أن ترسخ لدينا عقيدة الثالوث، ننتقل إلى يوحنا (١٤: ١٦) حيث يقول: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ ٱلْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى ٱلْأَبَدِ" نقرأ هنا أن هناك مُعزّيًا آخر. لم يقل يسوع " أنه المُعزّي نفسه" أو

"أنا هو هذا المُعزّي" بل قال: "سأعطيكم مُعزّيًا آخر".
يقول يوحنا (١٦: ٧) "لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ ٱلْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيكُمُ ٱلْمُعَزِّي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ." من الواضح أن المعزي ليس يسوع المسيح. إذا كنا نؤمن بالآب والكلمة والروح القدس، وأن هؤلاء الثلاثة واحد (١ يوحنا ٥: ٧) لكان بإمكان يسوع أن يقول: "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠). وكان بإمكانه أن يقول: "ٱلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى ٱلْآبَ" (يوحنا ١٤: ٧-٨). وكان بإمكانه أن يقول: "لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ." (يوحنا ١٤: ١٨) ثم يرسل الروح القدس.
وهذا يفسر لماذا عندما قال يسوع: "سأعود ثانيةً" قالت الملائكة: "هذا هو يسوع نفسه... سيعود ثانيةً." ولم يكن حلول الروح القدس في يوم الخمسين تحقيقًا لهذا الوعد لعدة أسباب.
أ. لم يكن ذلك المجيء على نفس المنوال. لقد جاء الروح، وليس الجسد.
ب. حلّ الروح القدس وسكن في أجساد الذين كانوا في العلية. لم يكن ذلك هو الرب الذي صُلب وقام من بين الأموات، واضعاً قدمه على جبل الزيتون.
ج. من سفر أعمال الرسل إلى سفر الرؤيا، يذكر كتّاب الكتاب المقدس عودة الرب عشرات المرات، ويتحدثون عنها دائمًا على أنها حدث مستقبلي. لم يشر أيٌّ من كتّاب العهد الجديد، الذين كتبوا بعد يوم الخمسين، إلى أن ذلك الحدث كان تحقيقًا لمجيء الرب يسوع المسيح.
د. لم يقع أيٌّ من الأحداث التي تنبأ بها الكتاب المقدس بشأن المجيء الثاني للمسيح في يوم الخمسين. تأمل في بعض الأمور التي ذكرها الكتاب المقدس والتي تسبق عودة يسوع إلى الأرض، ولاحظ أن أياً منها لم يحدث في سفر أعمال الرسل "٢" ولم يحدث أيٌّ منها منذ ذلك اليوم.
"ثُمَّ لَا أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ ٱلرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا كَٱلْبَاقِينَ ٱلَّذِينَ لَا رَجَاءَ لَهُمْ. لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذٰلِكَ ٱلرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ ٱللهُ أَيْضًا مَعَهُ. فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هَذَا بِكَلِمَةِ ٱلرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ ٱلْأَحْيَاءَ ٱلْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ ٱلرَّبِّ، لَا نَسْبِقُ ٱلرَّاقِدِينَ. لِأَنَّ ٱلرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلَائِكَةٍ وَبُوقِ ٱللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَمْوَاتُ فِي ٱلْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلًا." (١تسالونيكي ٤: ١٣-١٦). لم يحدث هذا يوم الخمسين. لم يقم الأموات.
"هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لَا نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلٰكِنَّنَا كُلُّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ ٱلْبُوقِ ٱلْأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ ٱلْأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لِأَنَّ هَذَا ٱلْفَاسِدَ لَابُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهَذَا ٱلْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ." (كورنثوس الأولى ١٥: ٥١-٥٣). وهذا لم يحدث بعد.
"ثُمَّ نَحْنُ ٱلْأَحْيَاءَ ٱلْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي ٱلسُّحُبِ لِمُلَاقَاةِ ٱلرَّبِّ فِي ٱلْهَوَاءِ، وَهٰكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ ٱلرَّبِّ." (١تسالونيكي ٤: ١٧). لم يحدث هذا.
"فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، ٱلَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ ٱلرَّبُّ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ، ٱلَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ ٱسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ." (فيلبي ٣: ٢٠-٢١). من الواضح من انتقال هذه المجموعة من الرجال والنساء من الاختباء في غرفة علوية إلى التبشير في الشوارع أنهم قد تغيروا. لكن أجسادهم لم تتغير. لم يتخلوا عن جسدهم الفاسد الحقير ويلبسوا جسدًا ممجدًا لا يفنى يوم الخمسين.
»"وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ تُظْلِمُ ٱلشَّمْسُ، وَٱلْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَٱلنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ ٱلسَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ٱبْنِ ٱلْإِنْسَانِ فِي ٱلسَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ ٱلْأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ ٱلسَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ." (متى ٢٤: ٢٩-٣٠). هذه الحقائق الحرفية تنتظر تحقيقًا مستقبليًا.
"هُوَذَا يَأْتِي مَعَ ٱلسَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَٱلَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ ٱلْأَرْضِ. نَعَمْ آمِينَ." (رؤيا ١: ٧). من الواضح أن شيئًا من هذا لم يحدث في سفر أعمال الرسل ٢.لم تره كل عين. لم تُظلم الشمس والقمر. لم تنوح قبائل الأرض ولم تنوح عليه.
لذلك فإن أولئك منا الذين يؤمنون بصحة الكتاب المقدس كما هو مكتوب يرفضون فكرة أن نزول الروح القدس كان المجيء الثاني للمسيح.

٢.اهتداء الخاطئ.

ثمة فكرة أخرى، تُروج لها في الغالب الجماعات الليبرالية والطوائف البروتستانتية الرئيسية، مفادها أن اهتداء الخاطئ هو المجيء الثاني للمسيح. وهناك بعض المنطق وراء هذه الفكرة. فالكتاب المقدس يقول إن يسوع المسيح يأتي ليسكن في أجساد المؤمنين الذين يصبحون بذلك هيكله. على سبيل المثال، المسيح فيكم، رجاء المجد (كولوسي ١: ٢٧).
من المهم ألا ننكر هذه الحقائق. ومع ذلك، من المهم بنفس القدر ألا نستخدم مجموعة من الحقائق كأساس لإنكار مجموعة أخرى.
وفقًا لهذه النظرية، فإن توبة الخاطئ هي مجيء الرب، ولكن في الواقع العكس تمامًا هو الصحيح. فالتوبة ليست مجيء المسيح إلى الخاطئ، بل مجيء الخاطئ إلى المسيح. انظر إلى الآيات التالية.
"تَعَالَوْا إِلَيَّ يا جَمِيعَ ٱلْمُتْعَبِينَ وَٱلثَّقِيلِي ٱلْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ." (متى ١١: ٢٨). "وَلَا تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ." (يوحنا ٥: ٤٠). "كُلُّ مَا يُعْطِينِي ٱلْآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ، وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لَا أُخْرِجْهُ خَارِجًا." (يوحنا ٦: ٣٧). "وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِيرِ ٱلْعَظِيمِ مِنَ ٱلْعِيدِ وَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَى قَائِلًا: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ." (يوحنا ٧: ٣٧).
أ. أقول مرة أخرى، بالمصطلحات الكتابية، الخلاص ليس مجيء المسيح إلى الخاطئ؛ بل هو مجيء الخاطئ إلى المسيح.

ب. الحجة الثانية ضد هذه النظرية هي نفسها التي فندت الفكرة الخاطئة الأولى. لا يحدث أي من الأحداث الموعودة المتعلقة بالمجيء الثاني عند ولادة الخاطئ من جديد. لن يشك أحد في خلاصه لو أنه نال جسدًا ممجدًا لحظة ولادته من جديد. ولن يبقى أحد ليشهد لو أنه رُفع للقاء الرب في الهواء لحظة خلاصه. تخيل لو أن الشمس والقمر أظلما في كل مرة تُفتدى فيها نفس. لكي يُعتبر توبة الخاطئ مجيءً ثانيًا، يجب تجاهل أو تبرير جميع الأقوال المتعلقة بالأحداث التي ستحدث عند عودة المسيح.
صحيح أن هناك تعبيراً أو تعبيرين من الكتاب المقدس يبدو أنهما يدعمان التفسيرين الخاطئين للمجيء الثاني، لكن الوزن الهائل من الأدلة يستبعدهما.

٣.موت المسيحي.

أما المفهوم الخاطئ الثالث فهو أن موت المسيحي هو مجيء المسيح. فالموسيقى الإنجيلية والوعظ العاطفي مليئة بصور يسوع وهو يأتي ليضم طفلًا آخر إلى حظيرة السماء.
يُفنّد يوحنا (٢١: ٢١ – ٢٤) هذا التصور. "فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ هَذَا، قَالَ لِيَسُوعَ: «يَا رَبُّ، وَهَذَا مَا لَهُ؟». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ، فَمَاذَا لَكَ؟ اُتْبَعْنِي أَنْتَ!». فَذَاعَ هَذَا ٱلْقَوْلُ بَيْنَ ٱلإِخْوَةِ: إِنَّ ذٰلِكَ ٱلتِّلْمِيذَ لاَ يَمُوتُ. وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَهُ يَسُوعُ إِنَّهُ لاَ يَمُوتُ، بَلْ: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ، فَمَاذَا لَكَ؟».هَذَا هُوَ ٱلتِّلْمِيذُ ٱلَّذِي يَشْهَدُ بِهَذَا وَكَتَبَ هَذَا. وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ".
أ. من الواضح أن الموت ومجيء الرب ليسا شيئًا واحدًا. قال يسوع: "هذا الرجل سيموت قبل مجيئي، فماذا لو لم يمت حتى مجيئي؟" يُفرّق الرب بين موت أحد تلاميذه ومجيئه إلى الأرض.
ب. الحجة الثانية ضد هذا التعليم هي أن موت المسيحي يُشار إليه غالبًا على أنه رحيل لا مجيء. لا يدعونا الكتاب المقدس إلى التفكير: "أنا على وشك الموت، والرب قادم لأخذي." بل يرى الكتاب المقدس أن: "أنا على وشك الموت، وسأذهب حيث هو." الموت ليس مجيء الرب، بل هو رحيل المؤمن.
على سبيل المثال، يقول بولس في رسالته إلى أهل فيلبي (١: ٢٣) "فَإِنِّي مَحْصُورٌ مِنْ ٱلاَثْنَيْنِ: لِيَ ٱشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ ٱلْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا." وفي رسالته الثانية إلى تيموثاوس (٤: ٦) نقرأ: "فَإِنِّي أَنَا ٱلآنَ أُسْكَبُ سَكِيبًا، وَوَقْتُ ٱنْحِلاَلِي قَدْ حَضَرَ." بولس راحل، ويسوع لم يأتِ. وينطبق الأمر نفسه على رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (٥: ٨) "فَنَثِقُ وَنُسَرُّ بِٱلأَوْلَى أَنْ نَتَغَرَّبَ عَنِ ٱلْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ ٱلرَّبِّ".
حتى أولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة (١ تسالونيكي ٤)لا يأملون في مجيء المسيح بل في أن يُختطفوا للانضمام إليه. لم يقل استفانوس: "أرى ابن الإنسان آتيًا." بل قال: "»ها أنا أرى السماوات مفتوحة، وابن الإنسان قائمًا عن يمين الله«" (أعمال الرسل ٧: ٥٥). لم يكن يسوع ينوي الذهاب إلى مكان استفانوس، بل كان ينتظر عودته إلى حيث ذهب. هذه ليست عودة الرب، بل رحيل استفانوس.
ج. الحجة الثالثة هي مرة أخرى أن أياً من الأحداث الموعودة التي ستحدث عند عودة الرب لن تحدث عند موت المسيحي.

٤.تدمير أورشليم.

من بين التعاليم الشائعة الأخرى بين الجماعات التي لا تأخذ الكتاب المقدس حرفيًا، الاعتقاد بأن تدمير الرومان لأورشليم كان بمثابة المجيء الثاني للمسيح. ورغم أن الأساس لهذا الاعتقاد قد لا يكون واضحًا، إلا أنه يستند إلى تفسير فضفاض لما قاله يسوع في إنجيل متى "٢٤".فعندما تحدث الرب عن هدم الأسوار وخراب المباني العظيمة، فعل ذلك كعلامات على عودته. وقد حدث جزء من هذه الأحداث عام ٧٠ ميلاديًا، عندما نهب الرومان بقيادة تيتوس أوروشليم.
أ. إذا تحققت معظم النبوءات، ولكن لم تتحقق جميعها، فلن يكون ذلك تحقيقًا لوعد الرب. من المفهوم أن التلاميذ كانوا في حيرة من أمرهم بشأن هذه الأمور، ولكن لا ينبغي لأحد منذ ذلك الحين أن يقع في حيرة بعد أن أوضح يسوع الأمر.
انظروا إلى متى (٢٤: ١-٣). "ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ ٱلْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَيْ يُرُوهُ أَبْنِيَةَ ٱلْهَيْكَلِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هٰذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ هٰهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!».وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ ٱلزَّيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ ٱلتَّلاَمِيذُ عَلَى ٱنْفِرَادٍ قَائِلِينَ: «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هٰذَا؟ وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَٱنْقِضَاءِ ٱلدَّهْرِ؟".«
هنا يكمن الخطأ. هذان سؤالان منفصلان: مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَٱنْقِضَاءِ ٱلدَّهْرِ؟ يفصل بين الإجابتين أكثر من ألفي عام.
ستُظلم الشمس، ويتحول القمر إلى دم، وتنطفئ النجوم. سيظهر يسوع المسيح في السماء ليراه الجميع. لم يحدث ذلك في عام ٧٠ ميلادي.
ب. أما الحجة الثانية ضد هذا التصور، فانظر إلى سفر الرؤيا ١-٣ و ٢٢ الكلمات التي سنقرأها الآن كتبها رجل في السجن، بعد عشرين عامًا من تدمير أورشليم. دُمرت المدينة عام ٧٠ميلاديًا. يكتب يوحنا سفر الرؤيا في جزيرة بطمس عام ٩٠ميلاديًا.
رؤيا (١: ٤) "يُوحَنَّا، إِلَى ٱلسَّبْعِ ٱلْكَنَائِسِ ٱلَّتِي فِي أَسِيَّا: نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ ٱلْكَائِنِ وَٱلَّذِي كَانَ وَٱلَّذِي يَأْتِي، وَمِنَ ٱلسَّبْعَةِ ٱلأَرْوَاحِ ٱلَّتِي أَمَامَ عَرْشِهِ".
رؤيا – ١: ٧ "هُوَذَا يَأْتِي مَعَ ٱلسَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَٱلَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ ٱلأَرْضِ. نَعَمْ آمِينَ".
رؤيا – ٢: ٢٥ "وَإِنَّمَا ٱلَّذِي عِنْدَكُمْ تَمَسَّكُوا بِهِ إِلَى أَنْ أَجِيءَ".

رؤيا – ٣: ١١ "هَا أَنَا آتِي سَرِيعًا. تَمَسَّكْ بِمَا عِنْدَكَ لِئَلَّا يَأْخُذَ أَحَدٌ إِكْلِيلَكَ".
رؤيا – ٢٢: ٧ "«هَا أَنَا آتِي سَرِيعًا. طُوبَى لِمَنْ يَحْفَظُ أَقْوَالَ نُبُوَّةِ هَذَا ٱلْكِتَابِ".«
رؤيا – ٢٢: ١٢ "«وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِي لِأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ".
رؤيا – ٢٢: ٢٠ "يَقُولُ ٱلشَّاهِدُ بِهَذَا: «نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعًا». آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا ٱلرَّبُّ يَسُوعُ".
في سفر الرؤيا، الذي كُتب بعد عشرين عامًا من تدمير أورشليم، ذكر الروح القدس، من خلال يوحنا، سبع مرات أن مجيء يسوع المسيح سيحدث في المستقبل. ومن الواضح أن أحداث عام ٧٠ ميلاديًا لم تُحقق وعد المجيء الثاني.

٥.انتشار المسيحية.

من الأفكار الخاطئة الأخرى أن انتشار المسيحية هو المجيء الثاني للمسيح. تُروّج لهذه الفكرة جماعاتٌ تؤمن، استنادًا إلى تفسيرٍ خاطئٍ لأمثال متى "١٣" بوجود مملكةٍ عالميةٍ شاملة، لكنها لن تُقام بمجيء يسوع المسيح. بل يعتقدون أن الكنيسة، من خلال نشر الإنجيل، ستُقيم المملكة، ثم يأتي يسوع ويملك على المملكة التي أسستها له الكنيسة. والمؤسف أن الكنائس التي تتبنى هذا الرأي لا تُبشّر بالإنجيل، بل تسعى إلى تحسين المجتمع من خلال برامج إنسانية.
أ. لا يُعلّم الكتاب المقدس بالانتشار التدريجي للملكوت، بل بعودة مفاجئة للملك ليُقيم سلطته بقوته وجبروته. وتتلخص الآيات التي قرأناها للتو في سفر الرؤيا في هذه الكلمة: نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعًا.
يحذرنا متى (٢٤: ٢٧) قائلًا: "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ ٱلْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى ٱلْمَغَارِبِ، هَكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ٱبْنِ ٱلْإِنْسَانِ".
يقول متى (٢٤: ٣٦-٥٠) "«وَأَمَّا ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ وَتِلْكَ ٱلسَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ. وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ... لِأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلَّتِي قَبْلَ ٱلطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوِّجُونَ، إِلَى ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ ٱلْفُلْكَ، وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ ٱلطُّوفَانُ وَأَخَذَ ٱلْجَمِيعَ، كَذٰلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ٱبْنِ ٱلْإِنْسَانِ. حِينَئِذٍ يَكُونُ ٱثْنَانِ فِي ٱلْحَقْلِ، يُؤْخَذُ ٱلْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ ٱلْآخَرُ. ٱثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ عَلَى ٱلرَّحَى، تُؤْخَذُ ٱلْوَاحِدَةُ وَتُتْرَكُ ٱلْأُخْرَى.«ٱسْهَرُوا إِذًا لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ.... إنه أمر مفاجئ، وسريع، وعاجل.... لِذٰلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ."
إن العودة سريعة وجلية، تُحدث انقلابًا فوريًا وكاملًا في نظام العالم. وقد أدى فشل الكنيسة في إحراز أي تقدم نحو هذه المملكة على مدى عشرين قرنًا إلى حقيقة لافتة، وهي أن معظم الجماعات التي تتبنى هذا الرأي عن المجيء الثاني تتبنى أيضًا المذهب الكالفيني. وهذا يُتيح لهم إلقاء اللوم على الله بسهولة في فشلهم.
وقد وردت الحقيقة نفسها في رسالة بطرس الثانية (٣: ١٠)."وَلٰكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي ٱللَّيْلِ، يَوْمُ ٱلرَّبِّ، ٱلَّذِي فِيهِ تَزُولُ ٱلسَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ ٱلْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْمَصْنُوعَاتُ ٱلَّتِي فِيهَا".
يحذرنا سفر الرؤيا (٣: ٣) قائلًا: "فَٱذْكُرْ كَيْفَ أَخَذْتَ وَسَمِعْتَ، وَٱحْفَظْ وَتُبْ، فَإِنِّي إِنْ لَمْ تَسْهَرْ، أُقْدِمْ عَلَيْكَ كَلِصٍّ، وَلَا تَعْلَمُ أَيَّةَ سَاعَةٍ أُقْدِمُ عَلَيْكَ." كل هذا يدل على عمل سريع ومفاجئ من جانب الرب، وليس على غزو تدريجي من قبل كنيسته البطيئة.
ب. الحجة الثانية ضد الرأي القائل بأن انتشار المسيحية يجلب الملكوت هي أن مجيء المسيح يقال إنه يجلب الدمار، وليس الخلاص، للناس.
"لِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِٱلتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ ٱلرَّبِّ كَلِصٍّ فِي ٱللَّيْلِ هٰكَذَا يَجِيءُ. لِأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ: «سَلَامٌ وَأَمَانٌ»، حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلَاكٌ بَغْتَةً، كَٱلْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى، فَلَا يَنْجُونَ." (١ تسالونيكي ٥: ٢-٣).
"وَإِيَّاكُمُ ٱلَّذِينَ تَتَضَايَقُونَ رَاحَةً مَعَنَا، عِنْدَ ٱسْتِعْلَانِ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَعَ مَلَائِكَةِ قُوَّتِهِ، فِي نَارٍ لَهِيبٍ، مُعْطِيًا نَقْمَةً لِلَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ ٱللهَ، وَٱلَّذِينَ لَا يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلَاكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ ٱلرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ، مَتَى جَاءَ لِيَتَمَجَّدَ فِي قِدِّيسِيهِ وَيُتَعَجَّبَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. لِأَنَّ شَهَادَتَنَا عِنْدَكُمْ صُدِّقَتْ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ." (٢ تسالونيكي ١: ٧-١٠).
إنه ليس يوماً سعيداً للناس.
يحذرنا ملاخي (٤: ١-٢) قائلًا: "«فَهُوَذَا يَأْتِي ٱلْيَوْمُ ٱلْمُتَّقِدُ كَٱلتَّنُّورِ، وَكُلُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي ٱلشَّرِّ يَكُونُونَ قَشًّا، وَيُحْرِقُهُمُ ٱلْيَوْمُ ٱلْآتِي، قَالَ رَبُّ ٱلْجُنُودِ، فَلَا يُبْقِي لَهُمْ أَصْلًا وَلَا فَرْعًا.«وَلٰكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُتَّقُونَ ٱسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ ٱلْبِرِّ وَٱلشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا، فَتَخْرُجُونَ وَتَنْشَأُونَ كَعُجُولِ ٱلصِّيرَةِ".
ج- يقول أصحاب عقيدة أن الكنيسة تُعلن الملكوت: إن المجيء الثاني لا يمكن أن يحدث إلا بعد أن يهتدي العالم ببشارة الإنجيل.
ويضيف البعض أنه لن يعود الرب إلا بعد أن يخضع البشر لحكم المسيح ألف عام. هذا أمرٌ لا يُصدق. يقول الكتاب المقدس إن حال العالم عند مجيئه سيكون حالًا مليئًا بالشر والفساد. "وَكَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ... كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ لُوطٍ... "(لوقا ١٧: ٢٦-٣٢).
وتخبرنا نصوص أخرى كثيرة، مثل "تكوين ٦: ٥-٧ \\ ١٣: ١٣ \\ لوقا ١٨: ٨ \\ ٢١: ٢٥-٢٧" أن حال العالم عند المجيء الثاني ليسوع سيكون حالًا مليئًا بالخطيئة.
لا تُشير الكتب المقدسة إلى أي احتمال لاعتناق العالم للمسيحية. فالزوان والقمح، وأنواع التربة الرديئة الثلاثة التي تسقط عليها البذور، وطيور السماء التي تحط على أغصان الشجرة العظيمة، كلها تُنبئ بالفشل. تأمل في تحذيرات متى ١٣: ٣٦-٥٠ \\ ٢٥: ١-١٠ \\ ١ تيموثاوس ٤: ١ و ٢ \\ تيموثاوس ٣: ١-٩ \\ ٤: ١-٤ \\ ٢ بطرس ٣: ٣-٤ \\ يهوذا ١: ١٤-١٥.
في رسالة رومية (١: ٥) نقرأ: "ٱلَّذِي بِهِ، لِأَجْلِ ٱسْمِهِ، قَبِلْنَا نِعْمَةً وَرِسَالَةً، لِإِطَاعَةِ ٱلْإِيمَانِ فِي جَمِيعِ ٱلْأُمَمِ." فلماذا تحتاج جميع الأمم إلى شهادة فيما بينها إذا كانت قد اهتدت؟
يخبرنا رومية (١١: ١٤) أن بعض الناس مُكرَّسون لله، ولكن في الغالب يسود الارتداد وعدم الايمان."لَعَلِّي أُغِيرُ أَنْسِبَائِي وَأُخَلِّصُ

أُنَاسًا مِنْهُمْ".
في رسالة كورنثوس الأولى (٩: ٢٢) نقرأ: "صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لِأَرْبَحَ ٱلضُّعَفَاءَ. صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لِأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْمًا." لم يكن الرسول يأمل في خلاص الجميع، بل بعضهم فقط.
يقول الكتاب المقدس في سفر الرؤيا (٥: ٩) "وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: «مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ ٱلسِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لِأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَٱشْتَرَيْتَنَا بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ" لم يُهتدِ يسوع كل قبيلة ولسان وأمة، بل هدى أناسًا من كل قبيلة ولسان وأمة.
يؤكد الكتاب المقدس أن الله تجسد في صورة بشرية. جاء الكلمة في المرة الأولى ليتألم ويموت على جبل الجلجلة ليكفر عن خطايا العالم. ويؤكد الكتاب المقدس أيضًا أن الرب يسوع المسيح نفسه سيعود إلى الأرض ويحكم من أورشليم لمدة ألف عام. لقد حدث المجيء الأول وتحققت كل النبوءات المتعلقة به حرفيًا. وسيحدث المجيء الثاني، وستتحقق كل النبوءات المتعلقة به حرفيًا.

الفصل السادس: أنواع مختلفة من الناس

لا يقتصر كلام الله على تقسيم الجنس البشري إلى ثلاث مجموعات (يهود، وأمميون، وكنيسة الله)، بل يقسمه إلى ثلاثة أنواع من الأشخاص. كما يقسم كل شخص مُخلَّص إلى قسمين. هذه دراسة بالغة الأهمية والضرورة.

المؤمن مُخلَّصٌ قُسِّمَ على اثنين

يمتلك المؤمن المولود من جديد ما يسميه الكتاب المقدس بالإنسان العتيق والإنسان الجديد. ويُشار إلى هذه الشخصية المزدوجة أيضاً بالإنسان الظاهر والإنسان الباطن.
نبدأ برسالة كورنثوس الثانية (٤: ١٦) لبيان واضح لهذه الحقيقة. "لِذَلِكَ لَا نَفْشَلُ، بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا ٱلْخَارِجُ يَفْنَى، فَٱلدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا." في هذه الآية، يُنظر إلى الشخص الواحد على أنه شخصان مختلفان؛ أحدهما ظاهر والآخر باطني. الأول لم يُفتدى بعد وسيدفع ثمن خطيئته. أما الثاني فلم يُجدد فحسب، بل يُحفظ في حالة التجديد هذه بفضل الروح القدس. الإنسان العتيق يزحف نحو القبر، أما الإنسان الجديد فقد نال الحياة الأبدية.
يقول الكتاب المقدس في غلاطية (٢ :٢٠) عن المؤمن: "مَعَ ٱلْمَسِيحِ صُلِبْتُ (الصلب هو الموت؛ الإنسان العتيق)، فَأَحْيَا (الإنسان الجديد) لَا أَنَا، بَلِ ٱلْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ ٱلْآنَ فِي ٱلْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي ٱلْإِيمَانِ، إِيمَانِ ٱبْنِ ٱللهِ، ٱلَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي." من الواضح أن هناك إنسانًا مولودًا من آدم، جسدًا بشريًا، ميتًا ويُحسب ميتًا. ومن الواضح أيضًا أن هناك إنسانًا مولودًا من الله يحيا كما يحيا المسيح، منتصرًا على الموت إلى الأبد.
يوضح رومية (٧ :٢٢-٢٧) هذا الأمر بشكل واضح للغاية.
"فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ ٱللهِ بِحَسَبِ ٱلْإِنْسَانِ ٱلْبَاطِنِ."... أي الإنسان المولود من جديد داخل الجسد.
"وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي"... ألا وهو الجسد المادي للرجل المولود من جديد.
"يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ ٱلْخَطِيَّةِ ٱلْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي." للإنسان شخصيتان، وهما في حالة حربٍ دائمة.
"وَيْحِي أَنَا ٱلْإِنْسَانُ ٱلشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي (الإنسان الجديد) مِنْ جَسَدِ (الإنسان العتيق) هَذَا ٱلْمَوْتِ؟ أَشْكُرُ ٱللهَ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ رَبِّنَا! إِذًا أَنَا نَفْسِي بِذِهْنِي (الإنسان الجديد) أَخْدِمُ نَامُوسَ ٱللهِ، وَلَكِنْ بِٱلْجَسَدِ (الإنسان العتيق) نَامُوسَ ٱلْخَطِيَّةِ." إنه صراعٌ داخلي. إنه إنسانٌ يُحارب نفسه، يُحارب ما كان عليه دائمًا، ويُقاوم ما خلقه المسيح وما يُشكّله المسيح. ميولنا ونزعاتنا الطبيعية التي امتلكتنا منذ الولادة، والتي ترسخت عبر سنوات من العيش وفقًا لشهوات الجسد، والتي أصبحت عادةً لدينا باتباعنا مسار العالم، وشهوات جسدنا، ورغبات عقولنا، هي كل ما عرفناه. وفجأةً، وُلدتُ من جديد. الآن يسعى الروح القدس إلى قيادتنا وإرشادنا إلى الحق كله. هناك صراعٌ دائمٌ ومستمرٌ بين الاثنين.
تتحدث الآيات السابقة عن هذه المعركة. "لِأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ"... هناك من يقول نعم، ومن يقول لا. ..."إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ، فَإِنِّي أُصَادِقُ ٱلنَّامُوسَ أَنَّهُ حَسَنٌ. فَٱلْآنَ لَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَا، بَلِ ٱلْخَطِيَّةُ ٱلسَّاكِنَةُ فِيَّ. فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لِأَنَّ ٱلْإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ ٱلْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ." (رومية ٧: ١٥-١٨).
لا يسعنا إلا أن نرى أن الإنسان يخوض صراع إرادات بين شخصين، كيانين، ولادتين، مجموعتين من المعتقدات، مجموعتين من الرغبات، مجموعتين من الولاءات، سيدين. إنه صراع مستمر. يُقال إن المسيحي إنسان جديد، يُقال إنه نتاج كامل، ومع ذلك لا يزال يسعى نحو الهدف، عاجزًا عن إدراكه، متقدمًا نحو الكمال (فيلبي ٣: ١١-١٤).
"مَنْ يَفْعَلُ ٱلْخَطِيَّةَ فَهُوَ مِنْ إِبْلِيسَ، لِأَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ ٱلْبَدْءِ يُخْطِئُ. لِأَجْلِ هَذَا أُظْهِرَ ٱبْنُ ٱللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ." (١ يوحنا ٣: ٨).
عندما نرتكب الخطايا، فإننا نظهر أننا تحت تأثير إبليس وسيطرته.
لكن الآية التالية تقول: "كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ ٱللهِ لَا يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لِأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لِأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ ٱللهِ." (١ يوحنا ٣: ٩). إذا أخذنا هذه الآية بمعناها الحرفي، فلا يوجد إلا خياران:
١.إن ابن الله المخلص لا يخطئ أبداً، وإذا أخطأ فإنه يفقد الخلاص.
٢.أنتما اثنان.
هل يُعلّم الكتاب المقدس بوجود إنسان قديم، مولود من آدم، لم يُفتدى بعد، ولا يزال أسيراً للخطيئة؟ وهل يُعلّم في الوقت نفسه بوجود إنسان جديد مولود من الله لا يستطيع أن يخطئ؟ الإجابة على كلا السؤالين هي نعم.
انظر إلى رومية (٨: ٢٣). "وَلَيْسَ هَكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ ٱلَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ ٱلرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ ٱلتَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا." ها هو رجلٌ نال الخلاص بنعمة الله. له فكر المسيح. له طبيعة جديدة. لا يستطيع أن يخطئ. الروح القدس يسكن فيه.
يُقال لهذا الرجل نفسه إنه يجب عليه أن يُخضع كل فكرٍ لطاعة المسيح (كورنثوس الأولى ١٠: ٤-٥). وهذا لا يتوافق مع فكر المسيح (كورنثوس الأولى ٢: ١٦). ويُقال له أيضًا إنه يجب أن يسلك بالروح ولا يُرضي شهوات الجسد (غلاطية ٥: ١٦). ويُقال له كذلك إنه لا ينبغي له أن يتبع شهواته. ويُقال له إنه رجلٌ بائس (رومية ٧: ٢٤). وهذا الرجل نفسه مُتأثرٌ بالروح البشرية، كما جاء في كورنثوس الأولى (٢: ١١).
لقد فُدي (١بطرس ١: ١٨-١٩) لكن الجسد البشري الذي يسكنه لم يُفدى (رومية ٨: ٢١-٢٤). إنه يتأوه في هذا الجسد ويتوق إلى التحرر (٢كورنثوس ٤: ١٦ – ٥: ٨).

إن حياة الإنسان المؤمن صراع مستمر. هناك معركة دائمة حول ما سيفكر فيه، وما سيمنحه قلبه، وأي الرغبات ستؤثر عليه، وأي روح ستسيطر عليه.
هناك إنسان مُفتدى يسكن جسدًا فانيًا. يُسمى أحدهما الإنسان الظاهر، والآخر الإنسان الباطن. وهما في صراع دائم، إذ تتعارض رغباتهما وشهواتهما تعارضًا تامًا. ولذلك، نتأوه في دواخل أنفسنا (رومية ٨: ٢٣)نتوق إلى اليوم الذي يأتي فيه يسوع ويحررنا من أنفسنا.
كثيرًا ما نسمع رجال الدين يشرحون الطبيعة المزدوجة للمؤمن بالقول إن أحد الإنسانين في آدم والآخر في المسيح. هذا الوصف غير صحيح، إذ لا يمكن للمرء أن يكون في آدم وفي المسيح في آنٍ واحد. الأصح أن نقول إن الجسد مولود من الجسد (يوحنا ٣: ٧) ويعاني من جميع تبعات سقوط آدم. والأصح أن نقول إن الإنسان المخلص مولود من الله (١ يوحنا ٣: ٩) أو مولود من الروح (يوحنا ٣: ٦ و٨) ويتمتع بجميع انتصارات قيامة المسيح يسوع. يشير مصطلح "في آدم" إلى وضع الإنسان بحكم ولادته الطبيعية، ويُستخدم في مقابل مصطلح "في المسيح" الذي يشير إلى وضع الإنسان بحكم ولادته الجديدة.

ثلاث أنواع من الناس

بينما من الواضح أنه يمكننا تقسيم البشرية، وفقًا للكتاب المقدس، إلى فئتين: المخلصين الهالكين، إلا أن هناك تقسيمًا آخر يجب أن ندركه. لقد لاحظنا حتى الآن في دراساتنا أن الألوهية تتجلى في الآب والكلمة والروح القدس. ورأينا التقسيم العرقي بين اليهودي والأممي وكنيسة الله. فلا عجب أن نجد الكتاب المقدس يتحدث عن ثلاثة أنواع من البشر في العالم: الإنسان الطبيعي، والإنسان الجسدي أو المؤمن الجسدي، والإنسان الروحي أو المؤمن الروحي.

١.الرجل الطبيعي

يُستخدم مصطلح "الإنسان الطبيعي" في الكتاب المقدس للإشارة إلى طبيعتنا الفطرية. ويشمل ذلك طبيعتنا الساقطة، وميلنا إلى الخطيئة، ورفضنا لوصايا الله، والعديد من الجوانب غير السارة الأخرى في حياتنا.
في رسالة أفسس (٢: ٣) نقرأ: "ٱلَّذِينَ نَحْنُ أَيْضًا جَمِيعًا تَصَرَّفْنَا قَبْلًا بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ ٱلْجَسَدِ وَٱلْأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِٱلطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ ٱلْغَضَبِ كَٱلْبَاقِينَ أَيْضًا" الإنسان بطبيعته خاضع تمامًا لشهوات الجسد، فلا سبيل لموازنتها. إنها كلها جسد. يمكنك كبح جماحه بالقوانين، ويمكنك كبح جماحه بالقوة، ويمكنك إخضاعه بالخوف من العقاب أو الانتقام. لكنه لا يرغب في فعل الصواب. إن رغبة الإنسان الطبيعية هي إشباع شهوات الجسد.
يقول يهوذا (١: ١٩) "هَؤُلَاءِ هُمُ ٱلْمُعْتَزِلُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، نَفْسَانِيُّونَ لَا رُوحَ لَهُمْ." والصفة الثانية التي تميز الإنسان الطبيعي هي أنه محكوم بحواسه. "شعرتُ بذلك. ما هو شعورك حيال ذلك؟ حسنًا، كما أشعر أنا. كيف جعلك ذلك تشعر؟ ماذا شعرتَ عندما سمعتَ ذلك؟ أشعر أن الله يكلمني. شعرتُ أن الله يرشدني." هذه هي الدوافع المحركة للإنسان الطبيعي. حتى أنه يستخدم هذه المصطلحات عندما يتخيل نفسه روحانيًا أو متدينًا.
الإنسان الطبيعي محكومٌ تمامًا بحواسه، ولا يهديه الرب بأي شكل من الأشكال. نقرأ في رسالة كورنثوس الأولى (٢: ١٤) "وَلَكِنَّ ٱلْإِنْسَانَ ٱلطَّبِيعِيَّ لَا يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ ٱللهِ لِأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا." فليس هناك أي تمييز يُرشد الإنسان غير المؤمن إلى العمل وفقًا لإرادة الله ومقاصده في حياته.
وهذا يفسر لماذا يجب تأديب الأطفال، ولماذا يجب تطبيق القوانين، ولماذا يجب معاقبة المجرمين، ولماذا يجب أن يكون لدى الدول جيوش نظامية، ولماذا لا يمكن لأي عمل تجاري أو نادٍ أو كنيسة أو مؤسسة أن تستمر بدون قواعد ووسائل لتطبيقها.
يتميز الإنسان الطبيعي بما يلي:
أ. تسيطر عليه شهوات الجسد.
ب. هو محكوم بحواسه الجسدية.
ج. ليس لديه بصيرة روحية.
من المحزن أن نقول إن العديد من المؤمنين يتسمون بهذه الصفات. هؤلاء هم من يقولون لك: "أنا لا أحب الوعظ في الشوارع، فهو يبدو لي قاسياً للغاية." أو "لا أفهم حقاً لماذا يجب عليك الذهاب إلى الكنيسة." إنهم لا يحبون الموسيقى المسيحية، ولا الأخلاق، ولا اللباس، ولا الصحبة، ولا أي شيء تقريباً يصب في مصلحة تكريم يسوع المسيح والابتعاد عن عالم الشر. قد يكون هؤلاء الأشخاص قد آمنوا بيسوع للخلاص في مرحلة ما من حياتهم، لكنهم لم يخضعوا قط لتأثير الروح القدس. إنهم يتحدثون ويتصرفون كالهالكين لأنهم يعيشون وفقًا لأهوائهم، لا وفقًا لما يقوله الله.
إن غالبية المؤمنين لا يرغبون في حضور كنيسة يتم فيها تدريس الكتاب المقدس لأن لديهم نفس الموقف تجاه سلطته الذي لدى جيرانهم غير المؤمنين. كثير من المؤمنين يرفضون الذهاب إلى الكنيسة التي يُلقي فيها الواعظ خطبة عن الجحيم، لأن ذلك يُشعرهم بالسوء. إنهم يعلمون أن الجحيم حقيقة، لكنهم يفتقرون إلى الفطنة الروحية التي تُمكنهم من إدراك قيمة توضيح حقيقته أمام الناس الذين لا يتصرفون باستقامة إلا تحت وطأة عواقب العصيان الوخيمة.
ليس من المستغرب أن يتصرف كثير من المؤمنين الجدد كضالين، فيتوقون إلى عروض استعراضية جذابة، أو إلى معابد كاثوليكية، أو إلى فرق موسيقى روك صاخبة بدلًا من معلم ديني. هؤلاء الأفراد لا يحكمهم إلا شهواتهم، لا عقلهم. عندما يؤثر المعلمون والمؤلفون على الكنائس المليئة بالمسيحيين ليجعلوهم يعتقدون أنهم يسمعون صوت الله، وأن تمييزهم يحمل وزناً أكبر من الكتاب

المقدس المكتوب، وأن التوجيهات الداخلية والمشاعر والانطباعات هي توجيهات الروح القدس، وأن الثرثرة غير المنضبطة هي قوة الرب، وما إلى ذلك، فقد تتعامل أو لا تتعامل مع أشخاص ضالين، لكنك تتعامل مع رجال ونساء يفكرون تماماً مثل الأشخاص الضالين. فكيف يصنف الكتاب المقدس الأشخاص الذين قد يكونون قد نالوا الخلاص ولكنهم يعيشون كما لو كانوا ضالين؟

٢.الإنسان الجسدي أو المؤمن الجسدي

يُستخدم في الكتاب المقدس مصطلح "جسدي" لوصف الإنسان الذي نجا ولكنه يعيش حياةً ضلالية. يتبادر إلى أذهاننا كلمات مثل "آكل اللحوم" و"مُتَشَبِّع باللحم". وللكتاب المقدس الكثير ليقوله عن هؤلاء الأشخاص.
يُخبرنا رومية ٨ عن أولئك الذين يتبعون شهوات الجسد. هذا لا يعني أنهم غير مُخلَّصين، بل يعني فقط أنهم لا يرغبون في أمور الرب، بل يُفَضِّلون الأمور التي كانوا مُنغمسين فيها قبل أن يؤمنوا بالمسيح مُخلِّصًا. هؤلاء هم الذين سمعوا الإنجيل، وآمنوا به، ودعوا يسوع لأنهم أرادوا الذهاب إلى السماء بدلًا من الجحيم. لقد نالوا الخلاص بنعمة الله. بعد ذلك، لا يرغبون في أي صلة تُذكر بالمسيح.
"فَإِنَّ ٱلَّذِينَ هُمْ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ فَبِمَا لِلْجَسَدِ يَهْتَمُّونَ، وَلَكِنَّ ٱلَّذِينَ حَسَبَ ٱلرُّوحِ فَبِمَا لِلرُّوحِ. لِأَنَّ ٱهْتِمَامَ ٱلْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلَكِنَّ ٱهْتِمَامَ ٱلرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلَامٌ." (رومية ٨: ٥-٦). مع أن الإنسان قد نُجّي من الموت (عبرانيين ٢: ١٤-١٥) وقام ليسلك في حياة جديدة (رومية ٦: ٤) وتحرر من شهواته السابقة (٢ بطرس ١: ١٣-١٤) إلا أنه يعيش كأنه ميت. يفكر فيما كان يفكر فيه وهو ميت، ويهتم بما كان يهتم به. لم يحل الكتاب المقدس محل التلفاز، ولم تحل الكنيسة محل الرياضة، ولم يحل الحياء محل الموضة، ولم يحل التواضع محل الكبرياء، ولم تحل الشهادة محل النميمة. تُخلَّص النفس، لكن العقل لا يزال شاردًا في القبور.
"لِأَنَّ ٱهْتِمَامَ ٱلْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ لِلهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ ٱللهِ، لِأَنَّهُ أَيْضًا لَا يَسْتَطِيعُ." (الآية ٧).ولا يعني التفكير الجسدي أن المرء ضال، بل يعني أنه ينظر إلى الحياة ويتخذ قراراته كشخص ضال. ولأن الرغبة لا تزال في الخطيئة، والشهوة لا تزال للدنيا، فإن هؤلاء يعتبرون الله عدوًا.
إن كنت تشك في هذا، فقل لمسيحي يدّعي الإيمان ويريد تطليق زوجته أن الله يكره الطلاق. لن يتوب واحد من كل ألف. وإن كنت تعتقد أن كلمة "عدو" مبالغ فيها، فقل لمسيحي يدّعي الإيمان ويعيش من أجل ملذات العالم أن يسوع يريده في الكنيسة لا في الملاعب. لن يتخلى واحد من كل ألف عن ملذات العالم من أجل الله. لقد تحولت الكنائس التي تُعلي شأن الإنسان ولا تُدين الخطيئة إلى كنائس ضخمة لأن روادها الذين يملؤون مقاعدها (التي هي في الواقع مقاعد فاخرة في مسارح ومنابرها) (التي هي في الواقع منصات) هم في عداوة مع إله الكتاب المقدس الحيّ الحق، مع أنهم ربما دعوه طلباً للخلاص في مرحلة ما من حياتهم.
الإنسان الهالك لا يخضع لكلمة الله. وقد لا يخضع الإنسان المخلص لكلمة الله أيضًا. وهذا يتطلب تصنيفًا آخر غير المخلص والضال. وهذا التصنيف الكتابي هو تصنيف جسدي. إن كنائسنا ليست عاجزة روحيًا لأنها مليئة بالبشر الجسديين، بل لأنها مليئة بالبشر الجسديين؛ أي المخلصين الذين لا يريدون أن يحكم الكتاب المقدس حياتهم. هؤلاء الناس لا يكرهون أفلام هوليوود. هؤلاء الناس لا يكرهون البرامج التلفزيونية المعادية للدين. هؤلاء الناس لا يكرهون وسائل الإعلام. هؤلاء الناس لا يكرهون العاملين في الحانات، أو تجار المخدرات، أو البغايا، أو المثليين. سيتسامحون معهم جميعًا، وسيفعلون يستمتعون بهم، وإذا تحدث أي مسيحي حقيقي ضد هؤلاء الخطاة، فإن الإنسان الجسدي سيدافع عنهم.
ما يكرهه المؤمنون الجسديون، وما لا يتسامحون معه، وما يتحدثون ضده هو التبشير الصريح والقوي بكلمة الله والناس الذين يعيشون حياة مقدسة من التفاني ليسوع المسيح.
هذا الوصف موجودٌ أيضاً في رسالة كورنثوس الأولى (٣: ١-٣). "وَأَنَا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ، بَلْ كَجَسَدِيِّينَ كَأَطْفَالٍ فِي ٱلْمَسِيحِ، سَقَيْتُكُمْ لَبَنًا لَا طَعَامًا، لِأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا بَعْدُ تَسْتَطِيعُونَ، بَلِ ٱلْآنَ أَيْضًا لَا تَسْتَطِيعُونَ، لِأَنَّكُمْ بَعْدُ جَسَدِيُّونَ. فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ وَٱنْشِقَاقٌ، أَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ ٱلْبَشَرِ؟"
إنّ مراجعة رسالة كورنثوس الأولى، الإصحاح الأول، لا تدع مجالًا للشك في أن متلقّي الرسالة كانوا من المؤمنين. ومع ذلك، لم يكن بالإمكان إطعامهم كلمة الله لأنهم كانوا غارقين في شهوات الجسد. والدليل على أن هؤلاء المؤمنين كانوا يعيشون حياةً أشبه بحياة الضالين هو عجزهم عن التمتع بفرح الجماعة المسيحية أو إضفائه عليها.
يُخلَّص أصحاب الشهوات الجسدية، لكن بإمكانهم قضاء أمسية كاملة في مباراة كرة قدم مع الهالكين. بإمكانهم قضاء يوم السبت بأكمله على ضفاف البحيرة أو في مضمار السباق مع الهالكين. بإمكانهم الاختلاط والتواصل مع أتباع الطوائف المتطرفة ومحبي الأطفال في مجموعات التعليم المنزلي. لكنهم لا يستطيعون التوافق مع نصف من يذهبون معهم إلى الكنيسة، إن كانوا يذهبون إليها أصلًا.
إنهم يحسدون من يُلقي المواعظ، ومن يُنشد، ومن حظي بالاهتمام. يكرهون بالفطرة الأثرياء، أو إن كانوا أثرياء، فهم عاجزون عن مصادقة الفقراء. كالهالكين، يعتقدون أن كل شيء يجب أن يُركز عليهم. وإن قاموا بأي خدمة في الكنيسة، فذلك لتعزيز صورتهم. وإذا نال غيرهم (أو الأسوأ، أبناء غيرهم) بعض التقدير أو الشهرة، استشاطوا غضبًا.
إنّ الشهوة الجسدية مصدر دائم للخلاف. هل هناك مشكلة في فصل مدرسة الأحد؟ هل يوجد خلاف بين الإخوة؟ هل هناك علاقة متوترة؟ هل هناك شخص لا يُخاطَب؟ قد تكون متأكدًا من أن الشهوة الجسدية هي المسيطرة.
ما يتغاضى عنه الرجل الشهواني في زملائه لاعبي فريق كرة القدم، لن يتغاضى عنه في بقية أطفال المجموعة الشبابية. وما يتسامح معه في زملائه في العمل، لن يتسامح معه في من يجلسون معه في الكنيسة. وما يسمح به في حياته الخاصة، يقطعه في حياته

الكنسية.
إنه غاضب، غيور، لا يسامح، وأناني. تشهد الخلافات المتكررة والمستمرة بينه وبين أعضاء الكنيسة على أنه يعيش حياة رجل غير مؤمن. هو الوحيد الذي لا يرى أن هذا الانقسام الذي يتباهى به هو من صنع شهوات الجسد. إنه يعتقد حقًا أن سبب نفور الناس منه هو انغماسه المفرط في الروحانية. ويعتقد أيضًا أن سبب عدم وجود أصدقاء لأبنائه هو انغماس الجميع في العالم.
يترك الإنسان الجسدي وراءه الضرر الذي أحدثه حبه لذاته، ولا ينظر إلى الوراء أبداً ليرى الضرر الذي ألحقه بجسد المسيح.
الصفة الثالثة للإنسان الشهواني هي رفضه التفكير في عواقب أفعاله. يقول الكتاب المقدس في غلاطية (٦: ٧) "لَا تَضِلُّوا! ٱللهُ لَا يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ ٱلَّذِي يَزْرَعُهُ ٱلْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا." لم يقل الله إن غير المؤمن سيحصد، بل إن كل إنسان سيحصد ما زرع.
الإنسان الجسدي يتصرف الآن ويفكر لاحقاً. الإنسان الجسدي يقفز دون أن ينظر ثم يندم على ما فعل. الإنسان الجسدي يقع في المشاكل ثم يقول: "يا إلهي، أنقذني من هذا." الإنسان الجسدي يزرع لشهواته ثم يدعو الله أن يفسد محصوله.
إن ألحقتَ الضرر بكنيسة اليوم، فستدفع ثمن ذلك غدًا. وإن ربيتَ أبناءك على حبّ الملذات أكثر من الله، فستدفع الثمن يومًا ما. وإن زنيتَ وحملت، فلن يُنقذك التوبة من الجنين. سنوات من الانغماس في شهوات الجسد ستؤثر سلبًا على الجسد. وسنوات من إهمال كلمة الله ستؤثر سلبًا على الحياة الروحية.
قد يخلص الرجل، ولكن إن لم يُحب زوجته قولًا وفعلًا، فسينهار ذلك البيت. وقد تخلص المرأة، ولكن إذا تمردت على أمر الله بالخضوع لزوجها، فسيكون لذلك عواقب معينة.
لا يُفكّر العقل الجسدي في شيء من هذا. لا يُفكّر في عواقب أفعال اليوم، ولا يُفكّر في مآل هذا الطريق بعد عام أو عقد. الإنسان الشهواني يُريد ما يُريد وقتما يُريد، ولا يُفكّر في المستقبل.
رابع ما يميز الإنسان الجسدي هو انخراطه في معارك دنيوية. يفعل ذلك لأنه يهتم بما يمس شهواته الجسدية أكثر مما يهتم بما يمس أرواح الناس. كما يفعل ذلك لأن خوض معركة الإيمان الحسنة يحمل في طياته الكثير من العار، بينما لا يشعر بالخجل من الصراعات المتعلقة بالأمور الدنيوية.
في رسالة كورنثوس الثانية (١٠: ٣-٥) نقرأ: "وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا طَعَامًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَٱلصَّخْرَةُ كَانَتِ ٱلْمَسِيحَ. لَكِنْ بِأَكْثَرِهِمْ لَمْ يُسَرَّ ٱللهُ، لِأَنَّهُمْ طُرِحُوا فِي ٱلْقَفْرِ".
يقول سفر أفسس (٦: ١٢) أن على المسيحي أن يصارع أعداءً غير مرئيين، وليس أعداءً من لحم ودم. سيوقع الرجل الجسدي عريضةً لوقف الإجهاض. ولن يُطالب زملاءه في العمل بالخلاص. وسيدعم المرشحين السياسيين طمعًا في تحسين وضعه المادي. ولن يسعى لارشاد أحد إلى المسيح. وسيعمل على إيصال فريق ابنه الصغير إلى البطولة. ولن يسعى لحث جيرانه على زيارة الكنيسة. وسيشن حربًا على المسيحيين الآخرين والوعاظ والمنظمات الدينية (دون مواجهتهم مباشرةً) إن حظوا باهتمام أكبر منه، لكنه لن يُحارب الشيطان من أجل أرواح الرجال والنساء والفتيان والفتيات المُستعبدين للخطيئة.
عدونا ليس مصلحة الضرائب، ولا الحاكم، ولا الجمهوريون، ولا المدارس الحكومية، ولا الحزب الآخر، ولا الديمقراطيون، ولا الأمم المتحدة، ولا حلف شمال الأطلسي، ولا المواد الكيميائية في الطعام، ولا كريات السم التي تغمر مياهنا، ولا آلاف الأعداء الآخرين الذين يحاربهم المسيحيون المزعومون طمعًا في تيسير حياتهم الدنيوية. عدونا هو الخطيئة في حياتنا. عدونا هو خداع الشيطان، ونظامه العالمي الذي يدمر بيوتنا وأطفالنا وكنائسنا. عدونا هو الدين الباطل.
الإنسان الجسدي لا يُميّز بين ملكوت الله وملكوت السماوات، ولا يفصل بين إسرائيل والكنيسة. ونتيجةً لذلك، يُحارب مستخدمًا وعودًا يهودية، طامحًا لإقامة مملكة يهودية على هذه الأرض، بينما ينبغي عليه أن يُحارب بوعود العهد الجديد لجلب النفوس إلى الملكوت الروحي.
باختصار، الإنسان الشهواني:
أ. لا يخضع لكلمة الله.
ب. يتميز بالصراع والنزاع.
ج. يرفض التفكير في عواقب أفعاله.
د. ينخرط في معارك دنيوية بدلًا من معارك روحية.

٣ .المؤمن الروحي

إن أبرز سمات الإنسان الذي يسير تحت سيطرة الروح القدس هي أنه في كل شيء يخضع لكلمة الله.
تعود الآيات التي سبق ذكرها عند الإشارة إلى مشاكل الإنسان الطبيعي والجسدي إلى الظهور، إذ نرى الآن الإنسان واقفًا على أرض صلبة كما وردت في تلك المقاطع نفسها.
في رسالة كورنثوس الأولى (٢: ١٣ و ١٥) نقرأ: "ٱلَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا، لَا بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ، قَارِنِينَ ٱلرُّوحِيَّاتِ بِٱلرُّوحِيَّاتِ....وَأَمَّا ٱلرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ لَايُحْكَمُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ".
هذا هو المسيحي الذي يتخذ جميع قراراته بناءً على اعتبار واحد: ماذا يقول الكتاب المقدس؟ هل أقبل هذه الوظيفة؟ ماذا يقول الكتاب المقدس؟ هل أُقيم تلك الصداقة؟ ماذا يقول الكتاب المقدس؟ هل أرتدي هذا النوع من الملابس؟ ماذا يقول الكتاب المقدس؟ هل أرتاد تلك الكنيسة؟ ماذا يقول الكتاب المقدس؟ من أتزوج؟ ماذا يقول الكتاب المقدس؟ كيف أعامل زوجتي؟ ماذا يقول الكتاب المقدس؟ كيف أربي أولادي؟ ماذا يقول الكتاب المقدس؟ ماذا أفعل بمالي؟ ماذا يقول الكتاب المقدس؟

يُخضع الإنسان الروحاني كل قرار، وكل علاقة، وكل استثمار، وكل عمل لكلمة الله. الله أعلم. الله يملك الإجابات. الله يملك الحكمة. الله يملك الفهم. يتم كبح جماح الجسد. يتم تجاهل الطبيعة القديمة. يتم استشارة كلمة الرب وطاعتها.

لا يوجد موقفٌ يطرأ، ولا موضوعٌ يخطر على البال، ولا خيارٌ يُتخذ، إلا وللكتاب المقدس إجابةٌ واضحةٌ له. قد تكون الإجابة في آيةٍ محددة، أو في المواضيع العامة، لكن الكتاب المقدس لن يترك الباحث الصادق عن حياةٍ موجهةٍ بالروح القدس في حيرةٍ من أمره.

الأمر التالي الجدير بالذكر فيما يتعلق بالرجل الروحي هو أنه يعيش من أجل الآخرين وليس من أجل نفسه. يقول الكتاب المقدس في غلاطية (٦: ١)" أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ، إِنِ ٱنْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ ٱلرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هَذَا بِرُوحِ ٱلْوَدَاعَةِ، نَاظِرًا إِلَى نَفْسِكَ لِئَلَّا تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضًا." لا يتجاهل الإنسان الروحي احتياجات الآخرين، ولا يمرّ مرور الكرام كما فعل الكاهن واللاوي حين رأيا رجلًا في خطر. بل يهتمّ الروحانيون الحقيقيون بكيفية خدمة جيرانهم.

لا ينتقد الرجل الروحاني أخاه الساقط أبدًا، لأنه يدرك دائمًا أنه هو أيضًا عرضة للسقوط. ولا يبالغ في انتقاد أخيه حين يكون في محنة، لأنه يتأمل في نفسه ويدرك أنه مرّ بتجارب مماثلة. ولا يسير الرجل الروحاني في طريق الإدانة، بل ينحني تعاطفًا ويسعى لرفع معنويات المحتاجين.

لا يسمح الإنسان الروحي لحدوده أو ميوله الطبيعية أن تمنعه من السعي لهداية الهالكين إلى المسيح، فاحتياجاتهم لها الأولوية. ولا يسمح لاعتراضات شهواته الجسدية أن تمنعه من حضور اجتماعات الكنيسة والمشاركة في جهودها التبشيرية، فواجبه تجاه الآخرين هو الأهم.

إن مجرد القيام بالأفعال لا يجعل المرء روحانياً، ولكن كون المرء روحانياً سيجعله عاملًا بالكلمة.

العلامة الثالثة للرجل الروحي هي أنه يتمتع بصحبة الله وسلامه. انظر إلى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (٨: ٦) "لِأَنَّ ٱهْتِمَامَ ٱلْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلَكِنَّ ٱهْتِمَامَ ٱلرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلَامٌ".

هناك كثيرون ممن هم أحياء في المسيح يسوع لأنهم آمنوا بالإنجيل في وقت ما ونالوا الخلاص، لكنهم لا ينعمون بالسلام مع الله، ولا ينعمون بالشركة المباركة مع الرب. إنهم لا يتمتعون بعلاقات متناغمة مع إخوتهم وأخواتهم في المسيح.

على النقيض من ذلك، فإن الإنسان الروحي مُخلَّص ويستمتع برحلته. قراءة الكتاب المقدس متعة. الصلاة راحة لا عبئ. اجتماع المؤمنين مُنعش. موعظة الكلمة شيقة. لا حاجة لأي ضغط لحثّ الناس على العطاء أو الخدمة، ففي العطاء لله الذي وهب كل شيء لذة.

إن الخلاص نعمة عظيمة، والأفضل أن يكون هذا الخلاص مصحوباً بفرح الرب. جاء يسوع لننال الحياة، وهي هبة مجانية لكل من يؤمن. لكنه يريدنا أن ننعم بحياة أفضل (يوحنا ١٠: ١٠). هذا من شأن الإنسان الروحي. تأمل في الثمرة التي ينتجها الروح القدس في الحياة الخاضعة لسيطرة الله (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣).

مَحَبَّةٌ – كثيرًا ما يُحبّ الرجال من قِبَل زوجاتهم، لكن خطاياهم وقلوبهم الضالة تجعلهم عاجزين عن التمتع بهذا الحب وردّه. وكثيرًا ما يُحبّ الأبناء من قِبَل آبائهم المؤمنين، لكنهم لا يُقدّرون هذا الحب ولا يتلقّونه. كذلك، يُحبّ أبوه السماوي أبناء الله، لكنّ السالكين في الروح القدس وحدهم القادرون على تقدير هذا الحب النقيّ الكامل، واحتضانه، وردّه، ونقله إلى الآخرين.

الفرح – إن رغبة مخلصنا هي أن يختبر جميع الذين وُلدوا من جديد فرحة خلاصهم كاملةً. ويمكن لأبناء الله الخاضعين لقيادة الروح القدس أن يعرفوا فرح الرب رغم كل متاعب الحياة وتجاربها وظروفها.

السلام – كما ذُكر آنفًا، فإن سلام الله الذي يفوق كل عقل (فيلبي ٤: ٧) مُتاحٌ لجميع المُفتدين. قد يثور الوثنيون، وقد تُشنّ ممالك العالم حروبها، وقد يُغرقنا أبناء آدم في مخاطرهم، لكن سلام الله سيسود إذا اخترنا أن نكون من بين الذين يُطلق عليهم الكتاب المقدس اسم الروحانيين.

طُولُ أَنَاةٍ – الحياة المسيحية لا تخلو من الألم والابتلاء. لقد عانى الكثير من المؤمنين معاناة شديدة. فبينما يفشل الإنسان الطبيعي عادةً عند الاختبار، ويزداد الإنسان الجسدي مرارةً تجاه مصدر الصعوبة، فإن الإنسان الروحي يتحمل كل شيء، ويصبر على كل شيء، ويبقى العمل الخيري. إن سيطرة الروح القدس تُبقي المرء على مثال المسيح في أصعب الظروف.

اللطف – كان ربنا حازمًا لكنه لم يؤذِ أحدًا. كان مُطالبًا لكنه لم يكسر أحدًا. لديه نير، لكنه سهل. لديه عبء ليحمله لكنه يُخففه. بينما قد يُشهّر الجسديون، ويشهدون، ويكسبون النفوس، ويبنون الكنائس، فإن الذين يحكمهم الروح يفعلون ذلك بنعمة ولطف.

صَلَاحٌ – في دراستنا لسفر التكوين ٣ تعلمنا أن الخير ثمرة البر، والشر ثمرة العصيان. قد يفعل الإنسان الطبيعي الجسدي أحيانًا ما هو صواب، لكن ما وُلد من الجسد يبقى جسدًا (يوحنا ٣: ٦). غالبًا ما نرى أن نتائج أفضل الأعمال على المدى البعيد سلبية ومؤذية. في المقابل، لا يكتفي الذين يعيشون في الروح بالعيش وفقًا لوصايا ومعايير سيد بار، بل تكون نتيجة أفعالهم على المدى البعيد خيرًا ونفعًا. هذه الغاية من سيرتهم (عبرانيين ١٣: ٧) جوهرية.

على من لم يستوعب هذا المفهوم أن يتأمل في حال الرجل المتكبر الطماع الذي يرعى كنيسة. فهو يبشر بالإنجيل، وتُخلص النفوس، لكن رغبته تكمن في المجد الزائف والشرف. وبينما يكسب النفوس ويعلم الكتاب المقدس، يختلس الأموال ويبرر فعله لأنه يظن نفسه رجل الله ويعتقد أنه يستحق المال. وعندما تُكشف الدوافع الخفية وراء أعماله المزعومة، لا تكون النتيجة خيرًا بل شرًا. ببساطة، الشخص الذي يسيطر عليه الروح يفعل الصواب بالطريقة الصحيحة وللسبب الصحيح.

الإيمان – من الطبيعي أن يتملك الخوف القلب في أوقات الشدة. فمن طبيعة الإنسان أن ييأس حين تضطرب الحياة. لكن الروح القدس هو الله. يعلم النهاية من البداية، ويعلم أن كل شيء يصب في مجد الرب، ويعلم أن مجمل الأمور هو لخير أبناء الرب. يسلك الإنسان الروحي طريق الإيمان، وينتصر دائمًا.

الوداعة -هذه القدرة على تقبل الخطأ والبقاء محباً ورحيماً لا يعرفها إلا أولئك الذين يحكمهم الروح القدس.
تَعَفُّفٌ – الإنسان الطبيعي يتبع غرائزه أينما قادته. الإنسان الشهواني يدرك ضرورة ضبط انفعالاته، لكنه يرفض الخضوع لها. أما الإنسان الروحاني، فيمتلك زمام دوافعه ونقاط ضعفه الفطرية.
في تناقض سعيد مع الإنسان الطبيعي والجسدي، الإنسان الروحي:
أ. يخضع لكلمة الله.
ب. يعيش من أجل الآخرين.
ج. يستمتع بالحياة والسلام من الله.
د. يدل على ثمار الروح.
إنّ الخلاص يضمن دخول السماء، ولا يُغيّر من الحياة اليومية على الأرض. إنما الروحانية هي التي تُحدث الفرق في مسيرتنا نحو الجنة.

الفصل السابع: المكانة والحالة.

إن الطبيعة المزدوجة للمسيحي (الإنسان العتيق، الإنسان الجديد) تقودنا إلى دراسة أخرى بالغة الأهمية. فلكل مؤمن مكانة وحالة. تشير المكانة إلى كيفية نظر الله إليه من منظور قانوني، استنادًا إلى عمل يسوع المسيح الكامل. أما الحالة فتشير إلى كيفية نظر الناس إليه، استنادًا إلى استحقاقه الشخصي. فعلى سبيل المثال، لي حياة أبدية ببر الرب يسوع (كورنثوس الأولى ١: ٣٠ \\ كورنثوس الثانية ٥: ٢١ وغيرهما)، وقيل لي إني إن عشت بحسب الجسد سأموت (رومية ٨: ١٣). الأولى هي مكانتي، والثانية هي حالتي.
نبدأ في سفر التكوين ٢٠ بالنظر في فشل إبراهيم في جرار.
"وَٱنْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ ٱلْجَنُوبِ، وَسَكَنَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ، وَتَغَرَّبَ فِي جَرَارَ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ ٱمْرَأَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي». فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ." (الآيتان ١-٢).هذه خطيئة قديمة تكررت. عندما حلّت مجاعة في أرض الميعاد، سافر إبراهيم إلى مصر. وهناك كذب على فرعون بشأن سارة، مدعيًا أنها أخته وليست زوجته. وهنا يُقدّم حبه لنفسه على حبه لزوجته.
"فَجَاءَ ٱللهُ إِلَى أَبِيمَالِكَ فِي حُلْمِ ٱللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ مَيِّتٌ مِنْ أَجْلِ ٱلْمَرْأَةِ ٱلَّتِي أَخَذْتَهَا، فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَةٌ بِبَعْلٍ»." (الآية ٣).هذه هي نظرة الله إلى الزنا. قد لا تكون هذه النظرة هي السائدة في أمريكا المعاصرة، أو رأي كثير من أعضاء الكنيسة، لكن الرب قال: "لَا تَزْنِ." (خروج ٢٠: ١٤) وجعل الزنا جريمة عقوبتها الموت. أوحى الله لأبيمالك بهذا الكلام، فاستجاب الرجل بالخوف والعمل الصحيحين.
"وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ أَبِيمَالِكُ قَدِ ٱقْتَرَبَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، أَأُمَّةً بَارَّةً تَقْتُلُ؟ أَلَمْ يَقُلْ هُوَ لِي: إِنَّهَا أُخْتِي، وَهِيَ أَيْضًا نَفْسُهَا قَالَتْ: هُوَ أَخِي؟ بِسَلَامَةِ قَلْبِي وَنَقَاوَةِ يَدَيَّ فَعَلْتُ هَذَا»." (الآيات ٤-٥).هذا الرجل لا مكانة له أمام الله. تذكروا هذا ما تعلمناه في الدروس السابقة عن الأمم. ومع ذلك، فإن موقفه صحيح. عندما يرى النور، يستجيب له. يعلن براءته في الأمر، وهو مُحِّق في ذلك.
"فَقَالَ لَهُ ٱللهُ فِي ٱلْحُلْمِ: «أَنَا أَيْضًا عَلِمْتُ أَنَّكَ بِسَلَامَةِ قَلْبِكَ فَعَلْتَ هَذَا. وَأَنَا أَيْضًا أَمْسَكْتُكَ عَنْ أَنْ تُخْطِئَ إِلَيَّ، لِذَلِكَ لَمْ أَدَعْكَ تَمَسُّهَا."
(الآية ٦).هنا مبدأان عظيمان: إذا كان القلب طاهرًا، فإن الله سيمنع الإنسان من الخطيئة، حتى وإن كان مخدوعًا. قد لا تعرف كل شيء في الكتاب المقدس، وقد لا تعرف كل حرف من وصايا الله، ولكن إذا حافظت على قلبك نقيًا أمام الله، فسيحفظك من فعل ما لم تكن تعلم أنه خطأ، بل سيرشدك إلى فعل ما لم تكن تعلم أنه واجب عليك فعله. إن معرفة الكتاب المقدس دون قلب طاهر لن تؤدي إلى البر، ولكن القلب الطاهر مع معرفة أساسية بالكتاب المقدس سيبقيك على الطريق الصحيح.
لاحظ أيضًا أنه قبل أن يُنزل الله عقابه على المذنب، يمنحه فرصة للتوبة. لم يُحرق سدوم قبل أن يُرسل إنذارًا. لم يُغرق رجال نوح في الطوفان قبل أن يُرسل إنذارًا. لن يُرسل نفسًا إلى جهنم دون أن يُرسل إنذارًا أولًا. لم يكن أبيمالك على صواب، وكان الله سيُحاسبه. لكن إلهنا الرحيم يُرسل إنذارًا أولًا.
"فَٱلْآنَ رُدَّ ٱمْرَأَةَ ٱلرَّجُلِ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَيُصَلِّيَ لِأَجْلِكَ فَتَحْيَا. وَإِنْ كُنْتَ لَسْتَ تَرُدُّهَا، فَٱعْلَمْ أَنَّكَ مَوْتًا تَمُوتُ، أَنْتَ وَكُلُّ مَنْ لَكَ». فَبَكَّرَ أَبِيمَالِكُ فِي ٱلْغَدِ وَدَعَا جَمِيعَ عَبِيدِهِ، وَتَكَلَّمَ بِكُلِّ هَذَا ٱلْكَلَامِ فِي مَسَامِعِهِمْ، فَخَافَ ٱلرِّجَالُ جِدًّا." (الآيات ٧-٨).هذا الرجل الوثني، الذي لم يقرأ صفحة واحدة من الكتاب المقدس، سمع الكلمة ولم يستطع الإسراع في طاعتها. كيف يُعقل أن يسمع الكثيرون في كنائسنا الكلمة أسبوعًا بعد أسبوع، ويبدو أنهم لا يتأثرون بها أبدًا؟
"ثُمَّ دَعَا أَبِيمَالِكُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لَهُ: «مَاذَا فَعَلْتَ بِنَا؟ وَبِمَاذَا أَخْطَأْتُ إِلَيْكَ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيَّ وَعَلَى مَمْلَكَتِي خَطِيَّةً عَظِيمَةً؟ أَعْمَالًا لَا تُعْمَلُ عَمِلْتَ بِي»." (الآية ٩).لقد وبّخ رجل وثني رجل الله المختار، أبو المؤمنين، أول الآباء، توبيخًا شديدًا، وكان محقًا في ذلك. كان يونان وبّخه بحارةٌ يعبدون آلهةً زائفة. بطرس ووبخته فتاةٌ صغيرةٌ حول نار المخيم. إنه لأمرٌ محزنٌ أن يُشير شخصٌ غير مؤمنٍ بإصبعه في وجه مسيحيٍّ ويقول: "أنا لا أدّعي أنني مسيحيّ، لكنني لن أفعل ذلك." حاشا لله أن تكون حياتنا بحيث يُبرَّر لغير المؤمنين أن يوبخونا.
"وَقَالَ أَبِيمَالِكُ لِإِبْرَاهِيمَ: «مَاذَا رَأَيْتَ حَتَّى عَمِلْتَ هَذَا ٱلشَّيْءَ؟» فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «إِنِّي قُلْتُ: لَيْسَ فِي هَذَا ٱلْمَوْضِعِ خَوْفُ ٱللهِ ٱلْبَتَّةَ، فَيَقْتُلُونَنِي لِأَجْلِ ٱمْرَأَتِي." (الآيات ١٠-١١).كان المؤمن يسير وفقًا لبصره. أما من سمع كلام الله فكان يبني أفعاله على خياله. من عرف الله لم يخشه. أما من لم يعرف الله فقد تصرف بحكمة حين تحركت فيه خشية الرب. كان الوثني صادقًا. أما المختار فقد كذب.
أرأيت كيف كان إبراهيم ماكراً وهو يسعى لتبرير أفعاله المشينة؟ كان لديه عذر غيابي، لكنه لم يكن كافياً للجريمة.
"وَبِٱلْحَقِيقَةِ أَيْضًا **هِيَ أُخْتِي ٱبْنَةُ أَبِي**، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتِ ٱبْنَةَ أُمِّي، فَصَارَتْ لِي زَوْجَةً. وَحَدَثَ لَمَّا أَتَاهَنِي ٱللهُ مِنْ بَيْتِ أَبِي أَنِّي قُلْتُ لَهَا: هَذَا مَعْرُوفُكِ ٱلَّذِي تَصْنَعِينَ إِلَيَّ: فِي كُلِّ مَكَانٍ نَأْتِي إِلَيْهِ قُولِي عَنِّي: هُوَ أَخِي».فَأَخَذَ أَبِيمَالِكُ غَنَمًا وَبَقَرًا وَعَبِيدًا وَإِمَاءً وَأَعْطَاهَا لِإِبْرَاهِيمَ، وَرَدَّ إِلَيْهِ سَارَةَ ٱمْرَأَتَهُ. وَقَالَ أَبِيمَالِكُ: «هُوَذَا أَرْضِي قُدَّامَكَ. ٱسْكُنْ فِي مَا حَسُنَ فِي عَيْنَيْكَ». وَقَالَ لِسَارَةَ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُ أَخَاكِ أَلْفًا مِنَ ٱلْفِضَّةِ. هَا هُوَ لَكِ غِطَاءُ عَيْنٍ مِنْ جِهَةِ كُلِّ مَا عِنْدَكِ وَعِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، فَأُنْصِفْتِ»." (الآيات ١٢-١٦). ثم سخر الرجل من إبراهيم، وقال لسارة إن زوجها يُعميها.
هذا مكتوبٌ لغرض التعلّم. فإلى جانب الدروس الواضحة حول الزنا والكذب وكشف الله للحق وحماية ذوي النزاهة، وإدراك الخطيئة، وما إلى ذلك، هناك مسألة المكانة الاجتماعية والوضع.
"فَصَلَّى إِبْرَاهِيمُ إِلَى ٱللهِ، فَشَفَى ٱللهُ أَبِيمَالِكَ وَٱمْرَأَتَهُ وَجَوَارِيَهُ فَوَلَدْنَ. لِأَنَّ ٱلرَّبَّ كَانَ قَدْ أَغْلَقَ كُلَّ رَحِمٍ لِبَيْتِ أَبِيمَالِكَ بِسَبَبِ سَارَةَ ٱمْرَأَةِ إِبْرَاهِيمَ." (الآيتان ١٧-١٨).وإذا أضفنا إلى ذلك كلمات الآية ٧:" فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَيُصَلِّيَ لِأَجْلِكَ فَتَحْيَا." فعلينا أن ننضم إلى أبيمالك في هز رؤوسنا استنكارًا.

من كان ليظن أن الخاطئ هو النبي، وأن النبيل كان في غفلة؟ من كان ليظن أن دعاء الكاذب كان ضرورياً لإنقاذ حياة الرجل الصادق؟ هذا يستحق دراسة متأنية.
كانت **حالة** إبراهيم، وحالته المؤقتة والظاهرة في نظر الناس، مروعة. يُنظر إليه على أنه رجل كاذب، ماكر، مخادع، كان يؤذي عائلته ويجلب غضب الله على من كان من المفترض أن يكون لهم قدوة. إنه لأمر مخزٍ.
مكانته عند الله أنه نبيٌّ وأبٌ ذو برٍّ محسوبٍ، بفضل إيمانه بكلمة الرب. تربطه علاقة شخصية بالله بنعمته، وهو الرجل الوحيد في المدينة القادر على الشفاعة لأبيمالك لأنه مرتبطٌ بعهدٍ مع يهوه.
سينظر الإنسان الجسدي إلى هذه الحقيقة ويتخذها ذريعةً للخبث، متجاهلًا كل أفعاله السيئة لأنه يتمتع بمكانة مرموقة بفضل نعمة الله الخلاصية. أما الإنسان الروحي فسيدرك فوراً الضرر الذي يلحق بسمعة الله العلي، والأسرة، والمجتمع، من قِبَل من يحوّل نعمة الله إلى دعاره (يهوذا ١: ٤).
ومع ذلك، تبقى الحقائق حقائق. الخلاص بالنعمة من خلال الإيمان. وبمجرد أن تُمنح الحياة الأبدية، يصبح المرء في نظر الله في المسيح، مُحياً ومُبرراً بالإيمان بابن الله.
إن هدف الروح القدس في حياة أبناء الله هو أن يجعل حالنا متوافقًا مع مكانتنا. إنه يريدنا أن ننمو إلى الحد الذي عندما يلاحظ الناس سلوكنا، يرون ما يراه الله عندما ينظر إلينا. المجد لله، فمكانتنا تحدد مصيرنا الأبدي. ولكن دعونا نتأمل هذه الحقيقة بتمعن قد يكون لحالتنا تأثير كبير على المصير الأبدي للآخرين.

تأمل في مثال لوط البليغ. في رسالة بطرس الثانية (٢: ٦-٩) يُوصف بأنه بار، ذلك الرجل البار، وصاحب النفس البارة. يُصنف ضمن الأتقياء، ويُقدم كمثال على كيفية نجاة الله لأتباعه من الدينونة.
إن هذا المقطع الجميل لن يؤدي إلا إلى الفرح لولا سرد حياته في سفر التكوين ١٩.عندما نقرأ تاريخه جنبًا إلى جنب مع كلمات الروح القدس في رسالة بطرس الثانية، لا يسعنا إلا أن نندهش.
في قصة زيارة الله لسدوم، ينادي لوط المنحرفين بـ"إخوتي" (الآية ٧)ويعرض عليهم بناته لإشباع رغباتهم (الآية ٨) وعندما تحدث عن الهلاك القادم، بدا كمن يسخر من أصهاره (الآية ١٤).وعندما حان وقت الهلاك، اضطروا إلى جره بيده لأن قلبه ظل متعلقًا بالمكان الذي أزعج نفسه فيه بأفعال الأشرار المحرمة (الآية ١٦).وعند نجاته، لم يشكر الله، بل عاقبه على جريمته الشنيعة بإنجاب طفل من كل واحدة من بناته بعد أن سكر (الآيات ٣٠-٣٨).
إن السبيل الوحيد للتوفيق بين هذه الروايات هو أن نفهم أن الله رأى في لوط رجلًا باراً ذا نفس صالحة. كانت تلك مكانته. أما جيران لوط فقد رأوا فيه رجلًا متألماً من شرور سدوم. كانت تلك حالته.
مرة أخرى، يجد القارئ نفسه مضطراً للاختيار. فإما أن يرتكز كل ثقله على نعمة الله ورحمته، ويعيش لنفسه فقط، وينجو كما لو كان بالنار (كورنثوس الأولى ٣: ١٥) أو أن يولي نفس القدر من الاهتمام لكيفية تأثير مساره في حياته على زوجته وبناته وعائلته الممتدة وجيرانه والأجيال القادمة إذا تجاهل وصايا الله المقدسة.

لننتقل إلى سفر العدد "٢٣" ونلقي نظرة على بلعام النبي المأجور. كان يعظ في أي مكان إذا كان العطاء كافياً. استأجر بالاق، الملك الفاسق، بلعام ليلعن بني إسرائيل.
لقد تحرر بنو إسرائيل من عبودية مصرعندما آمنوا بدم حملٍ فداء. وانفصلوا عن الموت بمعجزة انشقاق البحر الأحمر. ومع ذلك، ظلوا في البرية يعبدون الأصنام كانوا متمردين متذمرين على الله. من بين الذين خرجوا من مصر، مات جميعهم باستثناء اثنين في الصحراء بسبب عدم ثقتهم بالله الذي أنقذهم. كان حالهم مزريًا. أفعالهم وأقوالهم وأعمالهم كانت شنيعة.
صعد بلعام إلى قمة جبل وأطلّ على ذلك الجمع. يا له من منظر! ففي كل صباح، كان مليونا شخص يجمعون الطعام الذي أنزله الرب عليهم من السماء. وفي كل عصر، كانوا يقيمون جنازات لمن عصيا الله ودفعوا ثمن خطيئتهم بالموت.
استهزأ النبي الكاذب بهذا المشهد العجيب، وفتح فاه ليلعن الشعب. لكن الله تدخل ووضع كلماته في فم بلعام: "لَمْ يُبْصِرْ إِثْمًا فِي يَعْقُوبَ، وَلَا رَأَى تَعَبًا فِي إِسْرَائِيلَ. اَلرَّبُّ إِلَهُهُ مَعَهُ، وَهُتَافُ مَلِكٍ فِيهِ. اَللهُ أَخْرَجَهُ مِنْ مِصْرَ. لَهُ مِثْلُ سُرْعَةِ اَلرِّئْمِ. إِنَّهُ لَيْسَ عِيَافَةٌ عَلَى يَعْقُوبَ، وَلَا عِرَافَةٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ. فِي اَلْوَقْتِ يُقَالُ عَنْ يَعْقُوبَ وَعَنْ إِسْرَائِيلَ مَا فَعَلَ اَللهُ." (العدد ٢٣: ٢١-٢٣).
مذهل. لا ظلم؟ لا انحراف؟ قوة؟ هل نتحدث عن نفس الأشخاص؟ هذا مثالٌ آخر عظيم. أما مكانتهم، فكانت الأمة في مأمنٍ من أي مساس. إنهم شعب الله المختار، شعبه الذي افتداهم. إن بركة الأمة أو لعنتها تتوقف على كيفية التعامل مع هؤلاء الناس. هذه هي مكانتهم. في الوقت نفسه، الخطيئة عارٌ على أي شعب (أمثال ١٤: ٣٤) وكانوا يُدمرون أنفسهم ويُضيّعون تأثيرهم المحتمل على الآخرين من أجل الله بذنوبهم. هذه هي حالتهم.
سيتذكر القارئ العديد من الحالات المحزنة الأخرى التي تجسد هذه الحقيقة في العهد القديم. فحياة داود وشمشون وإيليا وغيرهم الكثير توضح بجلاء كيف يمكن للمرء أن يكون في وضعٍ رائع ولكنه يسير في خزي.
مع اقتراب نهاية العهد القديم، نُلقي نظرة على يهوشع الكاهن الأعظم. لقد كان يُمثّل رمزًا مُدنّسًا وقذرًا لكهنوت فاشل وشعب ضال. يقول زكريا (٣: ١-٤) "وَأَرَانِي يَهُوشَعَ اَلْكَاهِنَ اَلْعَظِيمَ قَائِمًا قُدَّامَ مَلَاكِ اَلرَّبِّ، وَاَلشَّيْطَانُ قَائِمٌ عَنْ يَمِينِهِ لِيُقَاوِمَهُ. فَقَالَ اَلرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «لِيَنْتَهِرْكَ اَلرَّبُّ يَا شَيْطَانُ! لِيَنْتَهِرْكَ اَلرَّبُّ اَلَّذِي اخْتَارَ أُورُشَلِيمَ! أَفَلَيْسَ هَذَا شُعْلَةً مُنْتَشَلَةً مِنَ اَلنَّارِ؟».وَكَانَ يَهُوشَعُ لَابِسًا ثِيَابًا قَذِرَةً وَوَاقِفًا قُدَّامَ اَلْمَلَاكِ. فَأَجَابَ وَكَلَّمَ اَلْوَاقِفِينَ قُدَّامَهُ قَائِلًا: «اَنْزِعُوا عَنْهُ اَلثِّيَابَ اَلْقَذِرَةَ». وَقَالَ لَهُ: «اُنْظُرْ. قَدْ أَذْهَبْتُ عَنْكَ إِثْمَكَ، وَأُلْبِسُكَ ثِيَابًا مُزَخْرَفَةً".«

نرى مرة أخرى أنه بعد زوال الإثم، وقف يشوع أمام الرب كجذوة أُخرجت من النار. رأى الشيطان القذارة والنجاسة، فظن أن هذا الجسد من صنعه. وبخ الرب الشيطان على خطئه. كانت حالة يهوشع متسخة، لكن مكانته كانت طاهرة. استحقت حالته اتهامات الشيطان، لكن مكانته كانت كاملة في نظر الله.

أرسل الرسول بولس هذه الرسالة الحزينة إلى تيموثاوس "لِأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ ٱلْعَالَمَ ٱلْحَاضِرَ" (٢ تيموثاوس ٤: ١٠). لا يُحصى عدد الذين سلكوا طريق هجره. كثيرون من أبناء الله صرفوا أبصارهم عن الرب يسوع المسيح، وساروا وراء شهوات الجسد لا الروح. أما لجميع الذين نالوا الخلاص حقًا، فيقول الكتاب المقدس في عبرانيين (١٣: ٥) "لِتَكُنْ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ ٱلْمَالِ. كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لِأَنَّهُ قَالَ: «لَا أُهْمِلُكَ وَلَا أَتْرُكُكَ»"

قد أكون قد ابتعدت عن طريق الطاعة، وهذا سيؤدي إلى ضرر كبير. لكن الرب لن يبتعد عني أبدًا، فَهُوَ يَبْقَى أَمِينًا (٢ تيموثاوس ٢: ١٣)

يقول الكتاب المقدس في رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي (١: ٥-٦) "لِسَبَبِ مُشَارَكَتِكُمْ فِي ٱلْإِنْجِيلِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ إِلَى ٱلْآنَ. وَاثِقًا بِهَذَا عَيْنِهِ أَنَّ ٱلَّذِي ٱبْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ." من المحتمل جدًا أن أنضم إلى أولئك الذين يُخزون مُخلصهم بالتوقف عن فعل الخير. سيكون ذلك وضعًا مُريعًا. لكنني أرى هنا أن مكانتي أمام الله لن تتغير أبدًا. سيُواصل عمله الصالح فيّ حتى أصل إلى بيتي السماوي.

يقول الكتاب المقدس في أفسس (٤: ٢٩-٣٠) "لَا تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ حَسَبَ ٱلْحَاجَةِ، كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ. وَلَا تُحْزِنُوا رُوحَ ٱللهِ ٱلْقُدُّوسَ ٱلَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ ٱلْفِدَاءِ." قد تختلف حالتنا اختلافًا كبيرًا. يمكننا أن نستخدم شفاهنا لنُسبّح الربّ، أو أن يكون كلامنا فاسداً. بإمكاننا أن نبني سامعينا ونُفيض عليهم بالنعمة، أو أن نتفوّه بكلمات الكراهية والكذب التي تُلحق بهم ضرراً بالغاً. بإمكاننا أن نسير في فيض الروح القدس، أو أن نُحزن الروح القدس.

رغم كل ذلك، يبقى وضعنا ثابتًا. تقول الآية ٣٠ "وَلَا تُحْزِنُوا رُوحَ ٱللهِ ٱلْقُدُّوسَ ٱلَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ ٱلْفِدَاءِ." حالتي: أنا أحزن الروح القدس. وضعي: الروح القدس هو الذي ختمني. قد نقصر في كل واجب مسيحي، لكن المسيح لن يقصر في واجبه تجاه المسيحي.

من الواضح أن رسالة رومية "٦" موجهة إلى المؤمنين. تتضمن الآيات من ٢ إلى ٦ "حَاشَا! نَحْنُ ٱلَّذِينَ مُتْنَا عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟... أَنَّنَا كُلَّ مَنِ ٱعْتَمَدَ لِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ... فَدُفِنَّا مَعَهُ بِٱلْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ... لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ".

في الفصل نفسه، موجهاً كلامه إلى الجمهور نفسه، يحذر الرب قائلًا: "لِأَنَّ أُجْرَةَ ٱلْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ" (الآية ٢٣).كثيراً ما تُستخدم هذه الآية بفعالية كبيرة في التعامل مع غير المؤمنين، لكنهم ليسوا موضوع هذا الفصل. إنما هو تحذيرٌ بشأن حال ابن الرب الذي يسلك وراء شهوات الجسد. ويلي ذلك بيانٌ قويٌّ بنفس القدر بشأن مكانة الشخص نفسه، لكن هبة الله هي الحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا. لاحظ أنه لا يوجد صيغة الماضي، بل صيغة الحاضر. فالهبة دائماً في صيغة المضارع.

يقول الكتاب المقدس في أفسس (٢: ٥-٦) "وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِٱلْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ ٱلْمَسِيحِ -بِٱلنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ- وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ" إن مكانة المؤمن في المسيح راسخةٌ لدرجة أن الرب يتحدث عنا وكأننا قد جلسنا معه في أمجاد السماء.

إن يقين مستقبلنا في المسيح مُبين في رسالة يوحنا الأولى (٣: ١-٢). "أُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا ٱلْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ ٱللهِ! مِنْ أَجْلِ هَذَا لَا يَعْرِفُنَا ٱلْعَالَمُ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ. أَيُّهَا ٱلْأَحِبَّاءُ، ٱلْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ ٱللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ." سيكون من الجميل لو أن مجد القيامة الذي ينتظر المسيحي المولود من جديد كان واضحًا للجميع. لكن الأمر ليس كذلك. لا يمكن لأحد أن يعرف شيئًا بمجرد النظر إليه، بل من خلال حالته الراهنة. وهذه الحالة قد تتغير، ليس من أسبوع لآخر، بل من لحظة لأخرى. ومع ذلك، فمن المؤكد أنه عندما تنتهي هذه الحياة، سيكون جميع الذين آمنوا بعمل الرب يسوع المسيح الكامل معه، وسيكونون مثله.

يقول الكتاب المقدس في رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي (٣: ١٢) "لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلًا، وَلَكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ ٱلَّذِي لِأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضًا ٱلْمَسِيحُ يَسُوعُ." هذه شهادة رجل مُخلَّص يرغب في أن يكون مثل يسوع. يشهد على حالته بقوله إنه لم يبلغ الكمال بعد. قارن ذلك بمكانة الذين غُسِلوا بالدم كما ورد في رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين (١٠: ١٠ و ١٤) "فَبِهَذِهِ ٱلْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً.... لِأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى ٱلْأَبَدِ ٱلْمُقَدَّسِينَ." هذه هي المفارقة الجميلة في الحياة المسيحية: إنسان كامل لم يبلغ الكمال بعد. من الواضح لماذا يُعدّ فهم الكلمة فهمًا صحيحًا أمرًا بالغ الأهمية.

في رسالة بطرس الأولى (١: ٣-٥) يقول الكتاب المقدس: "مُبَارَكٌ ٱللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ ٱلْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لَا يَفْنَى وَلَا يَتَدَنَّسُ وَلَا يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ لِأَجْلِكُمْ، أَنْتُمُ ٱلَّذِينَ بِقُوَّةِ ٱللهِ مَحْرُوسُونَ، بِإِيمَانٍ، لِخَلَاصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْأَخِيرِ." أما حالتي، فقد أكون فقيراً لا أملك شيئاً من أي عزيز رحل عني. أما مكانتي، فلدي ميراث. أما حالتي، فقد يكون كل ما أملكه في حالة خراب. أما مكانتي، فكل ما أعطاني الله إياه لا يفنى. أما حالتي، فقد أكون سمحت لأفكاري وأفعالي بالدخول في عوالم التدنيس. أما مكانتي، فعمل الروح القدس المُجدد يحفظني طاهراً. لا أحد يرى هذه الأمور، ولكنها مُعدّة أن تُعلن في الزمان الأخير.

تأمل في غلاطية (٢: ٢٠). "مَعَ ٱلْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ ٱلْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ ٱلْآنَ فِي ٱلْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي ٱلْإِيمَانِ، إِيمَانِ ٱبْنِ ٱللهِ، ٱلَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي." إيماني يُثمر أعمالًا ترضي الله. إيماني بيسوع يُثمر عمل الله الخلاصي في قلبي وحياتي.

انظر إلى كورنثوس الثانية (٤: ١٣-١٦).
"فَإِذْ لَنَا رُوحُ ٱلْإِيمَانِ عَيْنُهُ، حَسَبَ ٱلْمَكْتُوبِ: «آمَنْتُ لِذَلِكَ تَكَلَّمْتُ»، نَحْنُ أَيْضًا نُؤْمِنُ وَلِذَلِكَ نَتَكَلَّمُ أَيْضًا. عَالِمِينَ أَنَّ ٱلَّذِي أَقَامَ ٱلرَّبَّ يَسُوعَ سَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ، وَيُحْضِرُنَا مَعَكُمْ. لِأَنَّ جَمِيعَ ٱلْأَشْيَاءِ هِيَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لِكَيْ تَكُونَ ٱلنِّعْمَةُ وَهِيَ قَدْ كَثُرَتْ بِٱلْأَكْثَرِينَ، تَزِيدُ ٱلشُّكْرَ لِمَجْدِ ٱللهِ." لن يصل أحد إلى السماء ويقول: "احمدوني، فقد قمتُ من بين الأموات." لكننا لا نيأس، لأننا نعلم أن الإله نفسه الذي أقام يسوع قد وعد بإقامتنا نحن أيضًا.
"لِذَلِكَ لَا نَفْشَلُ، بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا ٱلْخَارِجُ يَفْنَى، فَٱلدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا." لا شيء يُظهر حقيقة حديثنا هذا بوضوح أكثر من هذه الكلمات. قد يأتي إنسانٌ منهكٌ من الخطيئة أو مُثقلٌ بسنواتٍ مضت إلى يسوع طلبًا للخلاص. سيمنح الله برحمته تلك الروح ولادةً ثانية. يستمر الجسد في مسيرته الثابتة نحو باب الموت، بينما تُمنح الروح حياةً أبدية. يرى الجميع أثر الخطيئة على الجسد البشري، لكن لا أحد يستطيع أن يرى ما صنعه الرب في منح الحياة الأبدية للإنسان. ومع ذلك، فإن كلا الأمرين صحيح.

ادرس رومية (٨: ٣١-٣٩).
"فَمَاذَا نَقُولُ لِهَذَا؟ إِنْ كَانَ ٱللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟ ٱلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ٱبْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟ مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي ٱللهِ؟ ٱللهُ هُوَ ٱلَّذِي يُبَرِّرُ. مَنْ هُوَ ٱلَّذِي يَدِينُ؟ ٱلْمَسِيحُ هُوَ ٱلَّذِي مَاتَ، بَلْ بِٱلْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، ٱلَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ ٱللهِ، ٱلَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا. مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ ٱلْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيقٌ أَمِ ٱضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟" (الآيات ٣١-٣٥).كل ما في هذه القائمة يتعلق بحالة من تبرر أمام الله بالإيمان بعمل المسيح الكامل. كل هذه الأمور تصيب الجسد، أما النفس فلا تصيبها. نفسي لا تعرف العري ولا تشعر بألم السيف. لا شيء مما يحدث للإنسان الظاهر يمكن أن يتسبب في انفصالنا عن محبة يسوع.
"كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ (الجسد) كُلَّ ٱلنَّهَارِ (لا مفر من هذه الحرب). قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ» (الموت الجسدي). وَلَكِنَّنَا فِي هَذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ ٱنْتِصَارُنَا (لأن حياة الإنسان الباطن سليمة) بِٱلَّذِي أَحَبَّنَا." (الآيات ٣٦-٣٧).الرجل الذي يُحرق هو منتصر. حالته عذاب، ومكانته مجيدة.
"فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ، وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤَسَاءَ وَلَا قُوَّاتٍ، وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلَا مُسْتَقْبَلَةً، وَلَا عُلُوَّ وَلَا عُمْقَ، وَلَا خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ ٱللهِ ٱلَّتِي فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا." (الآيات ٣٨-٣٩).ليس ما يصيب الجسد يهلك النفس.
في غلاطية (٦: ٧-٨) يحذر الرب ويعد قائلًا: "لَا تَضِلُّوا! ٱللهُ لَا يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ ٱلَّذِي يَزْرَعُهُ ٱلْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا. لِأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ ٱلْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ ٱلرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً." لا يُخاطب هذا الكلام الإنسان الضال، بل الإنسان بكليته. ينطبق هذا المبدأ على الجميع. في كل يوم من حياة المؤمن، يُواجه خيارًا: هل أزرع للجسد أم للروح؟ هل أعيش وفقًا للطبيعة الجسدية أم وفقًا للطبيعة الجديدة؟ سيظهر الأثر التراكمي لهذه الخيارات في حياة الإنسان لعقود. الإنسان الجسدي لا يفكر إلا في اللحظة الراهنة، أما الإنسان الروحي فيتطلع إلى وقت الحصاد.

انظر إلى متى (١٦: ١٣-٢٣).
"وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى نَوَاحِي قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ سَأَلَ تَلَامِيذَهُ قَائِلًا: «مَنْ يَقُولُ ٱلنَّاسُ إِنِّي أَنَا ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ؟». فَقَالُوا: «قَوْمٌ: يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانُ، وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا، وَآخَرُونَ: إِرْمِيَا أَوْ وَاحِدٌ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ». قَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟». فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللهِ ٱلْحَيِّ!»." (الآيات ١٣-١٦).كانت هذه لحظة فارقة في مسيرة بطرس، فقد عرّف الربّ تعريفًا صحيحًا. أخطأ جميع الناس، بينما أصاب هو.
"فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ..." (الآية ١٧).ربما لم يشعر بطرس بمثل هذا الشعور من قبل في حياته.
"مِنْ ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ ٱبْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ ٱلشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَٱبْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلًا: «حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لَا يَكُونُ لَكَ هَذَا!». فَٱلْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: «ٱذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ»." (الآيات ٢١-٢٣).يا للعجب! نفس الرجل، في نفس اليوم. لا تغفل عن هذه الحقيقة الصادمة. لا تظن نفسك عاجزًا عن مثل هذا التحوّل المفاجئ والسريع.
طُوبَى لَكَ يا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا (الآية ١٧).
ٱذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! (الآية ٢٣).
أثنى عليه يسوع، ووبخه يسوع. نال مكانته البركة، وكان حاله محرجًا. للأسف، يمكننا جميعًا أن نعترف بأن هناك لحظات نكون فيها على صواب تام، ولحظات أخرى في حياتنا نتصرف فيها وكأننا لم نعرف الرب قط.
انظر إلى كولوسي (١: ١٢-١٣)" **.شَاكِرِينَ ٱلْآبَ ٱلَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ ٱلْقِدِّيسِينَ فِي ٱلنُّورِ** ...لقد هيأ الله أبناءه بالفعل لما يحتاجون إليه لينالوا هذا الميراث ...**ٱلَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ ٱلظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ٱبْنِ مَحَبَّتِهِ** ".أنا بالفعل في الملكوت. هذه هي مكانتي.
يقول كولوسي (٣: ٨-٩) للقراء أنفسهم: "وَأَمَّا ٱلْآنَ (بصيغة المضارع) فَٱطْرَحُوا عَنْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا ٱلْكُلَّ: ٱلْغَضَبَ، ٱلسَّخَطَ، ٱلْخُبْثَ، ٱلتَّجْدِيفَ (وهو يأمر المؤمنين الذين هم في ملكوت الله بالكف عن التجديف على الله) ٱلْكَلَامَ ٱلْقَبِيحَ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ. لَا تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِذْ خَلَعْتُمُ ٱلْإِنْسَانَ ٱلْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ"
عندما تقارن بين كولوسي (١: ١٢-١٣) وكولوسي (٣: ٨-٩) يبدو الأمر كما لو أنك تقرأ عن شخصين مختلفين، مع أنهما نفس

الشخص. إن المعركة العظيمة هي الكفاح من أجل الحياة لكي يعيش الآخرون انظروا إلى ما خلقنا الله عليه، لا إلى ما جمعناه من آدم. يتجلى التناقض بوضوح عند مقارنة رومية (٦: ٦) مع كولوسي (٣: ٥).إذ يقول الكتاب المقدس: "عَالِمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا ٱلْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ ٱلْخَطِيَّةِ، كَيْ لَا نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ." (رومية ٦: ٦).أما أنا، فقد صُلبت معه. يا لها من نعمة "فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ ٱلَّتِي عَلَى ٱلْأَرْضِ: ٱلزِّنَا، ٱلنَّجَاسَةَ، ٱلْهَوَى، ٱلشَّهْوَةَ ٱلرَّدِيَّةَ، ٱلطَّمَعَ -ٱلَّذِي هُوَ عِبَادَةُ ٱلْأَوْثَانِ" (كولوسي ٣: ٥). أما أنا، فلا بد لي أن أعتبر نفسي ميتًا. أنا مصلوب، ولكن عليّ أن أُميت أعضائي. إنه تناقض صارخ.

انظروا إلى متى (٥: ١٤). "أَنْتُمْ نُورُ ٱلْعَالَمِ."فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ ٱلنَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ ٱلْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ." (الآية ١٦).نحن نور. هذه هي المكانة. قد يسطع النور أو لا يسطع. هذه هي الحالة. هذه الآية تجد ما يقابلها في أفسس (٥: ٨). يتفق بولس ومتى تمامًا عندما نقرأ: "لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلًا ظُلْمَةً، وَأَمَّا ٱلْآنَ فَنُورٌ فِي ٱلرَّبِّ. ٱسْلُكُوا كَأَوْلَادِ نُورٍ".

هذه الحقيقة نفسها موجودة في رسالة تسالونيكي الأولى (٥: ٥ و ٩). "جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلَا ظُلْمَةٍ.... حقيقة رائعة تُبيّن مكانتنا..."لِأَنَّ ٱللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لِٱقْتِنَاءِ ٱلْخَلَاصِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ." فمع أنني كما أنا في الآية "٥" يُمكنني أن أعيش مثل الآخرين الذين ليسوا مثلي، أو يُمكنني أن أعيش كما أنا. أنا نور. لكن يُمكنني أن أغمض عيني وأنام كما يفعل الناس الذين يعيشون في الليل.

قارن بين ٢ تيموثاوس (١: ٩) وفيلبي (٢: ١٢). "ٱلَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لَا بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى ٱلْقَصْدِ وَٱلنِّعْمَةِ ٱلَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ ٱلْأَزْمِنَةِ ٱلْأَزَلِيَّةِ" (٢ تيموثاوس ١: ٩). يا له من فرح أن أعرف يقيناً أنني مُخلَّص! "إِذًا يَا أَحِبَّائِي، كَمَا أَطَعْتُمْ كُلَّ حِينٍ، لَيْسَ كَمَا فِي حُضُورِي فَقَطْ، بَلِ ٱلْآنَ بِٱلْأَوْلَى جِدًّا فِي غِيَابِي، تَمِّمُوا خَلَاصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ "(فيلبي ٢: ١٢). هذا الخلاص الذي صنعه الله ومنحه مجاناً يجب العمل عليه لكي يرى الآخرون في جسدي الظاهر ما فعله الله في جسدي الباطن.

قارن بين عبرانيين (١٠: ١٠) و ١ تسالونيكي (٥: ٢٢-٢٣)."فَبِهَذِهِ ٱلْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً." (عبرانيين ١٠: ١٠). هذه بشرى عظيمة. فالمخلصون يتقدسون مرة واحدة، وهذا التكريس دائم. هذه هي المكانة. "ٱمْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شِبْهِ شَرٍّ. وَإِلَهُ ٱلسَّلَامِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِٱلتَّمَامِ. وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلَا لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ."

(١تسالونيكي ٥: ٢٢-٢٣). هنا يصلي الروح القدس أن يتقدس الذين تقدسوا. للقديسين تقديس في نظر الله لا يتغير. إنهم بحاجة إلى التقديس وهم يسيرون أمام الله.

قارن بين فيلبي (٣: ١٥) وعبرانيين (٦: ١-٢). "فَلْيَفْتَكِرْ هَذَا جَمِيعُ ٱلْكَامِلِينَ مِنَّا، وَإِنِ ٱفْتَكَرْتُمْ شَيْئًا بِخِلَافِهِ فَٱللهُ سَيُعْلِنُ لَكُمْ هَذَا أَيْضًا." (فيلبي ٣: ١٥). "لِذَلِكَ وَنَحْنُ تَارِكُونَ كَلَامَ بَدَاءَةِ ٱلْمَسِيحِ، لِنَتَقَدَّمْ إِلَى ٱلْكَمَالِ، غَيْرَ وَاضِعِينَ أَيْضًا أَسَاسَ ٱلتَّوْبَةِ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ ٱلْمَيِّتَةِ، وَٱلْإِيمَانِ بِٱللهِ، تَعْلِيمَ ٱلْمَعْمُودِيَّاتِ، وَوَضْعَ ٱلْأَيَادِي، قِيَامَةَ ٱلْأَمْوَاتِ، وَٱلدَّيْنُونَةَ ٱلْأَبَدِيَّةَ" (عبرانيين ٦: ١-٢). يكتب الروح القدس إلى الذين بلغوا الكمال الأبدي ويقول لهم: استمروا نحو الكمال.

إذا لم يُفهم هذا المبدأ، وهو أن لك مكانة في المسيح وحالة أمام الناس، فإن الكتاب المقدس مليء بالتناقضات. ويكشف الكتاب المقدس الحقيقة حول سبب كون حياتنا في كثير من الأحيان مليئة بالتناقضات.

في رسالة يوحنا الأولى (٢: ٦) يقول الكتاب المقدس: "مَنْ قَالَ: إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ (المكانة) يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هَكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا (الحالة)".

العدد (١١: ١) "وَكَانَ ٱلشَّعْبُ كَأَنَّهُمْ يَشْتَكُونَ شَرًّا فِي أُذُنَيِ ٱلرَّبِّ. وَسَمِعَ ٱلرَّبُّ فَحَمِيَ غَضَبُهُ، فَٱشْتَعَلَتْ فِيهِمْ نَارُ ٱلرَّبِّ وَأَحْرَقَتْ فِي طَرَفِ ٱلْمَحَلَّةِ".

العدد (١١: ٤) "وَٱللَّفِيفُ ٱلَّذِي فِي وَسَطِهِمِ ٱشْتَهَى شَهْوَةً. فَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَيْضًا وَبَكَوْا وَقَالُوا: «مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟"

العدد (١١: ٣٣) "وَإِذْ كَانَ ٱللَّحْمُ بَعْدُ بَيْنَ أَسْنَانِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنْقَطِعَ، حَمِيَ غَضَبُ ٱلرَّبِّ عَلَى ٱلشَّعْبِ، وَضَرَبَ ٱلرَّبُّ ٱلشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً جِدًّا".

العدد (١٢: ١) "وَتَكَلَّمَتْ مَرْيَمُ وَهَارُونُ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ ٱلْمَرْأَةِ ٱلْكُوشِيَّةِ ٱلَّتِي ٱتَّخَذَهَا، لِأَنَّهُ كَانَ قَدِ ٱتَّخَذَ ٱمْرَأَةً كُوشِيَّةً".

العدد (١٢: ٩-١٠) "فَحَمِيَ غَضَبُ ٱلرَّبِّ عَلَيْهِمَا وَمَضَى. فَلَمَّا ٱرْتَفَعَتِ ٱلسَّحَابَةُ عَنِ ٱلْخَيْمَةِ إِذَا مَرْيَمُ بَرْصَاءُ كَٱلثَّلْجِ. فَٱلْتَفَتَ هَارُونُ إِلَى مَرْيَمَ وَإِذَا هِيَ بَرْصَاءُ".

العدد (١٤: ١-٢) "فَرَفَعَتْ كُلُّ ٱلْجَمَاعَةِ صَوْتَهَا وَصَرَخَتْ، وَبَكَى ٱلشَّعْبُ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ. وَتَذَمَّرَ عَلَى مُوسَى وَعَلَى هَارُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لَهُمَا كُلُّ ٱلْجَمَاعَةِ: «لَيْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مُتْنَا فِي هَذَا ٱلْقَفْرِ"!

العدد (١٤: ١٠-١٢) "وَلَكِنْ قَالَ كُلُّ ٱلْجَمَاعَةِ أَنْ يُرْجَمَا بِٱلْحِجَارَةِ. ثُمَّ ظَهَرَ مَجْدُ ٱلرَّبِّ فِي خَيْمَةِ ٱلِٱجْتِمَاعِ لِكُلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: «حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هَذَا ٱلشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لَا يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ ٱلْآيَاتِ ٱلَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ؟ إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِٱلْوَبَإِ وَأُبِيدُهُمْ، وَأُصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ".«

العدد (١٥) كسر السبت يستلزم الرجم حتى الموت.

العدد (١٦) يقود قورح ثورة. يفتح الله الأرض ويبتلعهم جميعاً أحياءً في الجحيم.

العدد (١٧) إسرائيل تتمرد على اختيار الله للكاهن.

العدد (١٩) الشكوى من نقص الماء تثير غضب الله.

العدد (٢١: ٥-٦) "وَتَكَلَّمَ ٱلشَّعْبُ عَلَى ٱللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ؟ لِأَنَّهُ لَا خُبْزَ وَلَا مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا ٱلطَّعَامَ ٱلسَّخِيفَ». فَأَرْسَلَ ٱلرَّبُّ عَلَى ٱلشَّعْبِ ٱلْحَيَّاتِ ٱلْمُحْرِقَةَ، فَلَدَغَتِ ٱلشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ".

يا لها من فوضى! إنه لأمر مروع! يا له من تاريخ مروع!
العدد (٢٣: ٧-١٠) "فَنَطَقَ بِمَثَلِهِ وَقَالَ: «مِنْ أَرَامَ أَتَى بِي بَالاَقُ مَلِكُ مُوآبَ، مِنْ جِبَالِ ٱلْمَشْرِقِ: تَعَالَ ٱلْعَنْ لِي يَعْقُوبَ، وَهَلُمَّ ٱشْتِمْ إِسْرَائِيلَ. كَيْفَ أَلْعَنُ مَنْ لَمْ يَلْعَنْهُ ٱللهُ؟ وَكَيْفَ أَشْتِمُ مَنْ لَمْ يَشْتِمْهُ ٱلرَّبُّ؟ إِنِّي مِنْ رَأْسِ ٱلصُّخُورِ أَرَاهُ، وَمِنَ ٱلآكَامِ أُبْصِرُهُ. هُوَذَا شَعْبٌ يَسْكُنُ وَحْدَهُ، وَبَيْنَ ٱلشُّعُوبِ لاَ يُحْسَبُ. مَنْ أَحْصَى تُرَابَ يَعْقُوبَ وَرُبْعَ إِسْرَائِيلَ بِعَدَدٍ؟ لِتَمُتْ نَفْسِي مَوْتَ ٱلأَبْرَارِ، وَلْتَكُنْ آخِرَتِي كَآخِرَتِهِمْ".«
مستحيل، ومع ذلك فهو موجود.
يحاول مرة أخرى من مكان مختلف.
العدد (٢٣: ١٨-٢١) "فَنَطَقَ بِمَثَلِهِ وَقَالَ: «قُمْ يَا بَالاَقُ وَٱسْمَعْ. اِصْغَ إِلَيَّ يَا ٱبْنَ صِفُّورَ. لَيْسَ ٱللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ٱبْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟ إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أُبَارِكَ. فَإِنَّهُ قَدْ بَارَكَ فَلاَ أَرُدُّهُ. (إن الثبات قائم كليًا على صدق كلام الله، ولا يعتمد على أفعال الإنسان المتقلبة.) لَمْ يُبْصِرْ إِثْمًا فِي يَعْقُوبَ، وَلاَ رَأَى تَعَبًا فِي إِسْرَائِيلَ. ٱلرَّبُّ إِلَهُهُ مَعَهُ، وَهُتَافُ مَلِكٍ فِيهِ".
لا بد أن بلعام فكّر: "هل تمزحون؟" ليس هناك تفسير آخر. كان وضعهم الدنيوي أمام الناس سيئاً للغاية. لكن الله جعل بلعام يُعلن مكانتهم أمامه بناءً على فضله لا على أعمالهم. يستند المسيحي دائمًا إلى فضل الرب يسوع المسيح. أرواحنا في أمان بفضل بره. ما صنعه الله لنا في أرواحنا أبدي، ولا شيء يزيد أو ينقص من تلك النعم والبركات.
يحتاج العالم إلى مسيحيين يسيرون في برهان وقوة الروح القدس. علينا أن نسعى دائمًا لإظهار البر العملي، مُبينين ما يستطيع الله فعله في أجساد من يخضعون لسلطانه. الهدف هو جعل حالتنا أقرب ما يمكن إلى وضعها الحالي.

الفصل الثامن :الخلاص في العهد القديم:

<u>الغرض من هذه الدراسة</u>

يبدو أنه لا يمر أسبوع دون أن أتلقى رسائل من أشخاص يرغبون في معرفة كيف كان الناس ينالون الخلاص في العهد القديم. وبينما أجوب البلاد لإقامة اجتماعات إحياء ديني والمشاركة في مؤتمرات الكتاب المقدس، يُطلب مني غالبًا عقد جلسات أسئلة وأجوبة. وفي مثل هذه المناسبات، لا بد أن يسأل أحدهم عن الخلاص في زمن العهد القديم.

لماذا؟

فكّر معي للحظة. لم يكن لإجابة هذا السؤال أي تأثير على حياة أي إنسان على مدى أكثر من ١٩٠٠عام. لم يتنفس أحد طوال ما يقرب من عشرين قرنًا وهو بحاجة لمعرفة كيف مُنح الخلاص قبل موت المسيح على جبل الجلجلة. فلماذا هذا الفضول إذن؟

الجواب بسيط: الكبرياء.

اسمح لي بلحظة أو اثنتين، وسأزيل تلك النظرة الحائرة من وجهك.

"ٱلْخِصَامُ إِنَّمَا يَصِيرُ بِٱلْكِبْرِيَاءِ، وَمَعَ ٱلْمُتَشَاوِرِينَ حِكْمَةٌ." (أمثال ١٣: ١٠). ثمة فئة في صفوف كنيسة العهد الجديد تخلط بين الفكرانية والعقيدة السليمة، وبين الجدال مع الإخوة والدفاع عن الإيمان. يتوهمون أن ألوهية المسيح وولادته من عذراء عقائد، وأن محبة الجار وتفضيله على الذات أمور ثانوية. إن الكبرياء الذي دفع الشيطان إلى السعي وراء مكانة رفيعة والتباهي بقدراته التي وهبها الله له بدلًا من الله الذي وهبها إياها، يتجلى في أفعال أولئك، ومعظمهم من المخلصين، الذين يستخدمون معرفتهم بالكتاب المقدس ليثبتوا لأنفسهم ولرفاقهم أنهم يحتلون مكانة رفيعة في جسد المسيح.

لعقود من الزمن، كان الدليل على هذا التفوق الوهمي هو الإيمان بكمال نسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس. لم يكن من الصعب إثبات أي فئة من المسيحيين هي الحقيقية الوحيدة، الصادقة، والمؤكدة بما فيه الكفاية. أولئك الذين آمنوا بنسخة الكتاب المقدس المعتمدة لعام ١٦١١(مع أن واحدًا فقط من كل ألف منهم يمتلك نسخة ١٦١١من الكتاب المقدس، فضلًا عن استخدامه)، لم يؤمن بها أولئك الذين وُلدوا من جديد وتلقوا التطهير بالدم. لدينا الكتاب الصحيح؛ نُكمل الصورة.

آه، ولكن ثمة مشكلة الآن. فقد بات الكثير من الوعاظ والكنائس والمنظمات الدينية يعتقدون أن ترجمة الملك جيمس هي كلمة الله المحفوظة باللغة الإنجليزية، حتى باتت لدينا كنائس بمعايير مختلفة، وموسيقى مختلفة، وأسماء طائفية مختلفة، تجتاز جميعها اختبار ترجمة الكتاب المقدس. يا للمصيبة! لم يعد بإمكاننا إثبات أننا الأفضل الآن بعد أن أصبح لدى جميع الآخرين الكتاب الصحيح.

لسدّ هذا الفراغ، أصبح الخلاف الآن يدور حول المعتقدات المتعلقة بالخلاص في العهد القديم. فإذا كنت تؤمن بأن رجال العهد القديم نالوا الخلاص بالنعمة، فقد تُطلق عليك كل الأوصاف البذيئة التي كانت تُطلق سابقًا على من يقرأون من ترجمة الكتاب المقدس الدولية الجديدة.(NIV) أما إذا كنت تؤمن بأن الخلاص في العهد القديم يُنال بالأعمال الصالحة، فأنت مؤمن حقيقي بالكتاب المقدس. كان عليك في السابق التمسك بترجمة الملك جيمس(KJV) لتجنب الافتراء والكذب من إخوانك في المسيح، أما الآن فيجب أن يكون لديك على الأقل خطتان مختلفتان للخلاص لتنجو من الانتقادات.

لنكن صريحين، عندما يسأل أحدهم: "أخي جيمس، كيف كان الناس يخلصون في العهد القديم؟" لا يمكن أن يكون هناك سوى ثلاثة أسباب محتملة للسؤال.

١.الباحث طالب مخلص ومتعمق في دراسة الكتاب المقدس لمن يرغب في فهم أمور الله فهمًا أعمق.

٢.لقد جعل السائل موقفك من الموضوع أساسًا للتواصل. مهما كان اعتقادك بشأن الخلاص الآن، فهو غير مهم. ستُدعى بكل شيء إلا أخًا إن لم تتمسك بخلاص الأعمال كما ورد في العهد القديم.

٣.لدى السائل شخص يمزق كنيسته إرباً إرباً بسبب هذه المسألة ويريد أن يعرف كيف يتعامل مع المشكلة من منظور الكتاب المقدس.

أجد من غير المعقول أن يتفق رجلان على الثالوث، والولادة العذرية، والخلاص الحاضر، وترجمة الملك جيمس، والمجيء الثاني، والاختطاف، وما إلى ذلك، ومع ذلك يسعى رجل واحد إلى تشويه السمعة والخدمة أو أحدهما إذا اختلفا حول كيفية وصول لعازر إلى حضن إبراهيم.

"اِبْتِدَاءُ ٱلْخِصَامِ إِطْلَاقُ ٱلْمَاءِ، فَقَبْلَ أَنْ تَدْفُقَ ٱلْمُخَاصَمَةُ ٱتْرُكْهَا." (أمثال ١٧: ١٤). "شَفَتَا ٱلْجَاهِلِ تُدَاخِلَانِ فِي ٱلْخُصُومَةِ، وَفَمُهُ يَدْعُو بِضَرَبَاتٍ." (أمثال ١٨: ٦).

يشاهد القساوسة في جميع أنحاء البلاد أعضاء الكنيسة وهم يتقاتلون فيما بينهم، لأن ولاءهم لتعاليم معينة يملأهم بازدراء لإخوانهم. لا ينبغي أن يكون الأمر كذلك. "أُطْرُدِ ٱلْمُسْتَهْزِئَ فَيَخْرُجَ ٱلْخِصَامُ، وَيَبْطُلَ ٱلنِّزَاعُ وَٱلْخِزْيُ." (أمثال ٢٢: ١٠).

أؤمن إيمانًا راسخًا بأنّ من يخالفونني الرأي في هذه المسألة هم رجالٌ مؤمنون، وكثيرٌ منهم يبشرون بالإنجيل ويهدون الآخرين إلى المسيح. يقول الكتاب المقدس في رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي (١: ١٦-١٧) "فَهَؤُلَاءِ عَنْ تَحَزُّبٍ يُنَادُونَ بِٱلْمَسِيحِ لَا عَنْ إِخْلَاصٍ، ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يُضِيفُونَ إِلَى وُثُقِي ضِيقًا. وَأُولَئِكَ عَنْ مَحَبَّةٍ، عَالِمِينَ أَنِّي مَوْضُوعٌ لِحِمَايَةِ ٱلْإِنْجِيلِ." من الممكن أن يكون المرء واعظًا للمسيح عنيدًا وغير مخلص، راغبًا في إيذاء أخٍ له يرى الأمور أو يفعلها بشكل مختلف. ولدينا اليوم كثيرون من هؤلاء.

سأجيب على السؤال: "كيف كان الناس يُخلَّصون في العهد القديم؟"، ثم سأمضي في حياتي. بعون الله، سأحبكم وأخدمكم وأعاملكم بلطف واحترام، سواء اتفقتم معي أو اختلفتم في هذه المسألة، لأنه ما لم تستخدموها كنقطة خلاف لتقسيم الإخوة والتباهي، فلا يهم.

وجهتا نظر حول الخلاص في العهد القديم

هناك مفهومان متضاربان بشأن الخلاص في العهد القديم. الموقف الشائع الذي تبناه المعمدانيون وغيرهم من الجماعات الأصولية تاريخيًا هو: "كل من كان قبل الجلجثة يتطلع إلى الصليب، وكل من كان بعدها يتطلع إلى الصليب." قد تختلف الصياغة، لكن القصد واحد.

هناك بعض النقاط التي تستحق الإشادة بهذه الفكرة، ولكن هناك أيضاً العديد من النقاط التي تجعلها غير صحيحة.

أولًا، من الصحيح تمامًا أن الله كان ينتظر الصليب. شهادة يسوع هي روح النبوة (رؤيا ١٩: ١٠). يُنشد الموضوع النبوي برمته بتناغم ثنائي: المجيء الأول ليسوع المسيح ليموت من أجل خطايا العالم، وعودته ليملك في سلطان ومجد.

عندما التقى المشرّع (موسى) والنبي (أيليا) بيسوع على جبل التجلي، استعرضوا خطط عمله على الصليب. يقول لوقا (٩: ٢٨-٣١) "وَبَعْدَ هَذَا ٱلْكَلَامِ بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، أَخَذَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلٍ لِيُصَلِّيَ. وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًّا لَامِعًا. وَإِذَا رَجُلَانِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ، وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا، اللَّذَانِ ظَهَرَا بِمَجْدٍ، وَتَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ ٱلَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يُكَمِّلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ." سواء أكان أحد آخر يفعل ذلك أم لا، كان الرب يتطلع إلى الصليب.

تذكروا أن يسوع قال لتلاميذه غير المؤمنين على طريق عمواس: "فَقَالَ لَهُمَا: «أَيُّهَا ٱلْغَبِيَّانِ وَٱلْبَطِيئَا ٱلْقُلُوبِ فِي ٱلْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ ٱلْأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ ٱلْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟». ثُمَّ ٱبْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ ٱلْأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا ٱلْأُمُورَ ٱلْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ ٱلْكُتُبِ." (لوقا ٢٤: ٢٥-٢٧). وهكذا، بحسب يسوع، أينما نظر المرء من سفر التكوين إلى سفر ملاخي، كان بإمكانه أن يرى حقيقة الإنجيل.

من الواضح أن نصوص العهد القديم كانت تتطلع إلى الصليب. تأمل، على سبيل المثال، في رسالة بطرس الأولى (١: ١٠-١٢) "ٱلْخَلَاصَ ٱلَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ، ٱلَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ ٱلنِّعْمَةِ ٱلَّتِي لِأَجْلِكُمْ، بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا ٱلْوَقْتُ ٱلَّذِي كَانَ يَدِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِآلَامِ ٱلَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَٱلْأَمْجَادِ ٱلَّتِي بَعْدَهَا. ٱلَّذِينَ أُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسَ لِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لَنَا كَانُوا يَخْدِمُونَ بِهَذِهِ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا أَنْتُمُ ٱلْآنَ، بِوَاسِطَةِ ٱلَّذِينَ بَشَّرُوكُمْ فِي ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ ٱلْمُرْسَلِ مِنَ ٱلسَّمَاءِ. ٱلَّتِي تَشْتَهِي ٱلْمَلَائِكَةُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا".

كانت المعاناة والمجد موضوعًا للكتابات النبوية.

انظروا إلى كلمات يسوع المأخوذة من إنجيل يوحنا (٥: ٣٩) "فَتِّشُوا ٱلْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ ٱلَّتِي تَشْهَدُ لِي." الكتب المقدسة الوحيدة التي كان بإمكان ربنا أن يشير إليها هي ما نسميه العهد القديم.

في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥: ٣-٤) يقول عن الإنجيل: "فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي ٱلْأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ ٱلْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ ٱلْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ حَسَبَ ٱلْكُتُبِ أقول مرة أخرى، أي كتب؟ لا بد أن هذا يشير إلى العهد القديم.

ومثال آخر هو رسالة تيموثاوس الثانية (٣: ١٥) حيث نقرأ: "وَأَنَّكَ مُنْذُ ٱلطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ ٱلْكُتُبَ ٱلْمُقَدَّسَةَ، ٱلْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلَاصِ، بِٱلْإِيمَانِ ٱلَّذِي فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ." ويمكن إيجاد الخلاص بالإيمان بالمسيح في الكتب المقدسة التي كانت جدة تيموثاوس تقرأها.

لكن الأمور ليست بهذه البساطة، إذ يكاد يكون من المستحيل العثور على دليل على وجود أي شخص آخر غير الله رأى بوضوح حقائق الإنجيل هذه و"تطلع إلى الصليب." لا داعي للجدال حول فهم الأنبياء لما كتبوه. فالنص المذكور أعلاه من رسالة بطرس الأولى واضحٌ جليّ.

لقد شهد هؤلاء الرجال بأنهم لم يفهموا النصوص المتعلقة بالخلاص من خلال مُخلِّصٍ مُتألم، وأنهم عندما لجأوا إلى الله في هذا الشأن، لم يُعطِهم الفهم المنشود. كانت هناك أمورٌ كُتبت عن صليب المسيح لم تُشرح بوضوحٍ لا لمن كتبوها ولا لمن سمعوها أو قُرّائها.

لو كان هناك من يستحق أو ينبغي أن يتطلع إلى الصليب، لكانوا تلاميذ يسوع. لا نعلم عدد المرات التي تحدث فيها يسوع إليهم عن موته خلال ثلاث سنوات ونصف قضوها معًا، لكن كل حالة مسجلة تكشف الحقيقة نفسها: لم يفهموا ما قيل لهم. لو استطاع الناس سماع الرب يقول: "سأموت في أورشليم"، وردوا: "لا، لن تموت"، لكانوا بالتأكيد لم يتطلعوا إلى الصليب.

لنأخذ، على سبيل المثال، حالة سمعان بطرس. أخبر يسوع بطرس بوضوح تام ما ينتظره في أورشليم، ولم يوافقه بطرس. "مِنْ ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ ٱبْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ ٱلشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَٱبْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلًا: «حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لَا يَكُونُ لَكَ هَذَا!»." (متى ١٦: ٢١-٢٢). من المؤكد أننا لا نستطيع القول إن بطرس كان يتطلع إلى الصليب.

انظروا إلى لوقا (٩: ٤٣-٤٥). "فَبُهِتَ ٱلْجَمِيعُ مِنْ عَظَمَةِ ٱللهِ. وَإِذْ كَانَ ٱلْجَمِيعُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَ يَسُوعُ، قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «ضَعُوا أَنْتُمْ هَذَا ٱلْكَلَامَ فِي آذَانِكُمْ: إِنَّ ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي ٱلنَّاسِ». وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا هَذَا ٱلْقَوْلَ، وَكَانَ مُخْفًى عَنْهُمْ لِكَيْ لَا يَفْهَمُوهُ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ هَذَا ٱلْقَوْلِ." إن عدم فهمهم واضح.

حتى بعد أن شهد التلاميذ موت يسوع، لم يستوعبوا ما قاله لهم. لو أنهم رأوا الحق وآمنوا بكلامه، لكانوا ينتظرون خارج القبر للاحتفال بقيامته. لما كانوا يزورون القبر بخشوع ليفعلوا ما بوسعهم للتخفيف من آثار تحلله.

يقول إنجيل لوقا (٢٤: ١-٩) "ثُمَّ فِي أَوَّلِ ٱلْأُسْبُوعِ، أَوَّلَ ٱلْفَجْرِ، أَتَيْنَ إِلَى ٱلْقَبْرِ حَامِلَاتٍ ٱلْحَنُوطَ ٱلَّذِي أَعْدَدْنَهُ، وَمَعَهُنَّ أُنَاسٌ. فَوَجَدْنَ ٱلْحَجَرَ مُدَحْرَجًا عَنِ ٱلْقَبْرِ، فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ. وَفِيمَا هُنَّ مُحْتَارَاتٌ فِي ذَلِكَ، إِذَا رَجُلَانِ وَقَفَا بِهِنَّ بِثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ. وَإِذْ كُنَّ خَائِفَاتٍ وَمُنَكِّسَاتٍ وُجُوهَهُنَّ إِلَى ٱلْأَرْضِ، قَالَا لَهُنَّ: «لِمَاذَا تَطْلُبْنَ ٱلْحَيَّ بَيْنَ ٱلْأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لَكِنَّهُ قَامَ! ٱذْكُرْنَ كَيْفَ

كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي ٱلْجَلِيلِ قَائِلًا: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ فِي أَيْدِي أُنَاسٍ خُطَاةٍ، وَيُصْلَبَ، وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ يَقُومُ». فَتَذَكَّرْنَ كَلَامَهُ، وَرَجَعْنَ مِنَ ٱلْقَبْرِ، وَأَخْبَرْنَ ٱلْأَحَدَ عَشَرَ وَجَمِيعَ ٱلْبَاقِينَ بِهَذَا كُلِّهِ".

وهذا يتطلب منا رفض النظرية القديمة القائلة بأن الرجال قبل الصليب قد نالوا الخلاص لأنهم كانوا يتطلعون إلى الصليب، وذلك ببساطة لأننا لا نستطيع أن نجد أي مثال على ذلك في كلمة الله.

ولمواجهة هذه الفكرة، أخذ البعض فكرة مبسطة مماثلة وبنوا عليها عقيدة: وهي أن الرجال في العهد القديم كانوا يخلصون من خلال حفظ الشريعة.

على الرغم من أن ثلاثين ثانية من التفكير الصادق والعقلاني ستُظهر حماقة هذا الرأي، إلا أنه لا يزال متمسكاً به بشدة من قبل فئة هامشية داخل المسيحية الأصولية. إذا كان هذا التعليم صحيحاً، فإن نقطتين إضافيتين ستكونان صحيحتين أيضاً:

١.لم يكن لأحد أي فرصة للنجاة لمدة ١٥٠٠عام على الأقل من تاريخ البشرية، لأن الشريعة لم تُعطَ إلا لموسى.

٢.لم يكن لأحد سوى اليهودي أي فرصة للنجاة لمدة ٤٠٠٠عام على الأقل من تاريخ البشرية، لأن الشريعة لم تُعطَ لأي شخص من غير اليهود.

من الواضح أن الشريعة كانت عهدًا وطنيًا بين الله والعبرانيين. يقول سفر التثنية (٤: ٦-٨) "فَٱحْفَظُوا وَٱعْمَلُوا. لِأَنَّ ذَلِكَ حِكْمَتُكُمْ وَفِطْنَتُكُمْ أَمَامَ أَعْيُنِ ٱلشُّعُوبِ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كُلَّ هَذِهِ ٱلْفَرَائِضِ، فَيَقُولُونَ: هَذَا ٱلشَّعْبُ ٱلْعَظِيمُ إِنَّمَا هُوَ شَعْبٌ حَكِيمٌ وَفَطِنٌ. لِأَنَّهُ أَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ آلِهَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْهُ كَٱلرَّبِّ إِلٰهِنَا فِي كُلِّ أَدْعِيَتِنَا إِلَيْهِ؟ وَأَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ عَادِلَةٌ مِثْلُ كُلِّ هَذِهِ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلَّتِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ ٱلْيَوْمَ؟" ويقول رومية (٩: ٣-٥)"فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ ٱلْمَسِيحِ لِأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ ٱلْجَسَدِ، 4ٱلَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلَهُمُ ٱلتَّبَنِّي وَٱلْمَجْدُ وَٱلْعُهُودُ وَٱلِٱشْتِرَاعُ وَٱلْعِبَادَةُ وَٱلْمَوَاعِيدُ، 5وَلَهُمُ ٱلْآبَاءُ، وَمِنْهُمُ ٱلْمَسِيحُ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ، ٱلْكَائِنُ عَلَى ٱلْكُلِّ إِلٰهًا مُبَارَكًا إِلَى ٱلْأَبَدِ. آمِينَ".

ينبغي لهذه الحقائق التي لا يمكن إنكارها أن تمنع أي شخص عاقل من طرح فكرة أن الخلاص قبل الصليب كان يأتي عن طريق الالتزام بالشريعة، ولكن للأسف، يستمر الجدل.

مفتاحان لتحديد طبيعة الخلاص في العهد القديم.

هناك طريقتان بسيطتان لتحديد ما إذا كان الناس قد نالوا الخلاص بحفظهم للشريعة في تلك الأزمنة التي سبقت صلب المسيح. أولًا، يمكننا دراسة تفسير العهد الجديد لشريعة العهد القديم. ثانيًا، يمكننا النظر في مصير أولئك الذين حفظوا الشريعة والذين لم يحفظوها وماتوا قبل أن يضحي يسوع بنفسه على الصليب.

١ .ما يقوله العهد الجديد عن الشريعة.
إن الرسائل التي أوحى بها الروح القدس إلى بولس واضحة جداً جداً بشأن فعالية الشريعة.
أولًا، يُخبرنا الكتاب المقدس بوضوح لا لبس فيه أن الشريعة لا تُبرر من الخطيئة. انظروا جيدًا إلى رسالة رومية (٣: ٢٠-٢٨)" **لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لَا يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ** ...لا شيء أوضح من ذلك ....**لِأَنَّ بِٱلنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ ٱلْخَطِيَّةِ. وَأَمَّا ٱلْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ ٱللهِ بِدُونِ ٱلنَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ ٱلنَّامُوسِ وَٱلْأَنْبِيَاءِ** ...شهد كل من الناموس والأنبياء أنه لا تبرير بالناموس ...**بِرُّ ٱللهِ بِٱلْإِيمَانِ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ. إِذْ ٱلْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ ٱللهِ** ...لا فرق، فالجميع أخطأوا. لا أحد يتبرر بالأعمال. يجب على الجميع ممارسة الإيمان ...**مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِٱلْفِدَاءِ ٱلَّذِي بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي قَدَّمَهُ ٱللهُ كَفَّارَةً بِٱلْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ ٱلصَّفْحِ عَنِ ٱلْخَطَايَا ٱلسَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ ٱللهِ** ...هذه لمحة أولى لما سنوضحه لاحقًا. في الماضي، تعامل الله مع الخطايا بالإمهال. لم تُغفر خطايا الماضي إلا بعد أن يُنسب بر المسيح... .**لِإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ بِيَسُوعَ. فَأَيْنَ ٱلَافْتِخَارُ؟ قَدِ ٱنْتَفَى. بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ ٱلْأَعْمَالِ؟ كَلَّا. بَلْ بِنَامُوسِ ٱلْإِيمَانِ** ...لا يمكن أن يكون هناك فئتان في السماء -حراس الشريعة، يتباهون بكسبهم الحياة الأبدية بالأعمال الصالحة الأعمال ومن آمنوا بيسوع واعتمدوا على استحقاقاته للوصول إلى ذلك. يا له من فكر! كل تفاخر مرفوض، ويسوع المسيح ينال كل المجد (رؤيا ٥: ١٢) .**إِذًا نَحْسِبُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِٱلْإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ** .ويسعدنا أن نتفق مع الروح القدس والرسول في هذا الاستنتاج".
يُشابه ما جاء في سفر أعمال الرسل (١٣: ٣٨-٣٩) هذا المقطع. فبالنظر إلى الماضي، كان بولس يستعرض تاريخ اليهود في ظل الشريعة. مخاطباً رجال إسرائيل، قال: "فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ ٱلْإِخْوَةُ، أَنَّهُ بِهَذَا يُنَادَى لَكُمْ بِغُفْرَانِ ٱلْخَطَايَا، وَبِهَذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بِنَامُوسِ مُوسَى".
كتب الكثير ممن يتمسكون بخطط خلاص متعددة يسعون فيها إلى وضع بولس في تناقض مع بقية الكتاب المقدس. لكنه هنا، وبكل يقين لا لبس فيه، يُعلن ليس أن الناس اليوم لا يمكن تبريرهم بالناموس، بل أن آباءهم لم يكن بإمكانهم التبرير بالناموس في أيامهم. في خطابه، أشار إلى الآباء (الآية ١٧) وأيام العبودية في مصر (الآية ١٧) والذين خرجوا وتيهوا في البرية (الآية ١٨) وأيام يشوع (الآية ١٨) والقضاة (الآية ٢٠) وصموئيل (الآية ٢١) وشاول (الآية ٢١) وداود (الآية ٢٢) ويوحنا المعمدان (الآية ٢٥).يستعرض تاريخ الأمة منذ بدايته وحتى يسوع المسيح، ثم يقول إنهم لم يكونوا ليُبرروا بالناموس أبدًا.
ثانياً لم يستطع الناموس أن يجعل أي شيء أو أي شخص كاملًا لأنه لم يستطع أن يزيل الخطيئة أو الخطايا. في عبرانيين (٧: ١١-١٩) نقرأ" :**فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ ٱلْوَصِيَّةِ ٱلسَّابِقَةِ**)أي الشريعة قبل المسيح (**مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا** ...كيف يُبطل الله شيئًا كان وسيلة الخلاص لآلاف السنين؟... **إِذِ ٱلنَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا. وَلَكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى ٱللهِ** .هنا نؤكد مجددًا على البديهي: هذا ليس بيانًا بصيغة المضارع لعصر الكنيسة أو فترة انتقالية بين الكنيسة العبرية والكنيسة. بل هو نظرة إلى الوراء نحو العصور السابقة، وبيان صريح بأن الشريعة لم تُكمّل شيئًا.
تُذكر هذه الحقيقة نفسها بأسلوبٍ بالغ التأثير في عبرانيين (١٠: ١-٤). تأملوا جيدًا" .**لِأَنَّ ٱلنَّامُوسَ** (الواضحة وضوح الشمس)، إِذْ لَهُ ظِلُّ ٱلْخَيْرَاتِ ٱلْعَتِيدَةِ لَا نَفْسُ صُورَةِ ٱلْأَشْيَاءِ، لَا يَقْدِرُ أَبَدًا (وكلمة "أبدًا" تعني أبدًا ولا يمكن أن تعني غير ذلك) بِنَفْسِ ٱلذَّبَائِحِ (المنصوص عليها في الشريعة) كُلَّ سَنَةٍ، ٱلَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى ٱلدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ. وَإِلَّا، أَفَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ٱلْخَادِمِينَ، وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، لَا يَكُونُ لَهُمْ أَيْضًا ضَمِيرُ خَطَايَا. لَكِنْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا. لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا".
كيف يُعقل أن يُقنع مُعلّمو الكتاب المقدس، الذين يُعتبرون في الأصل مُعتدلين، طلاب الكتاب المقدس، الذين يُعتبرون في الأصل مُعتدلين أيضًا، بأن الناس قبل المسيح كانوا يُخلَّصون من خلال القرابين اللاوية والذبائح الحيوانية، في حين أن كلمة الله تقول إن مثل هذه الممارسات لا يُمكن أن تُزيل خطايا أحد؟ وإذا كان الخلاص في زمن العهد القديم يتحقق بحفظ الشريعة، فإن الله قد سخر من هؤلاء الرجال والنساء، إذ أعطاهم طريقًا للخلاص لا يُمكنهم من خلاله أن يُخلَّصوا أبدًا. أمرٌ مُستهجن!
ثالثًا، يُبيّن الكتاب المقدس أن الشريعة، سواء أُخذت كاملةً أو جزئيًا، لا تُعطي البر. تُعدّ غلاطية (٢: ١٦ و ٢١) من أهمّ النصوص العقائدية في كلمة الرب. تقول" :**إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ. لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ لَا يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا** ...وهذا يعني ما جاء في النص ...**لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ ٱللهِ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِٱلنَّامُوسِ بِرٌّ، فَٱلْمَسِيحُ إِذًا مَاتَ بِلَا سَبَبٍ "!**شهادة الرسول بولس ثابتة لا تُدحض، وقد سجّلها الروح القدس في الكتاب المقدس. قال إن موت يسوع المسيح على الصليب في الجلجثة كان عبثًا (أي فارغًا، لا معنى له، بلا هدف) لو كان بالإمكان نيل البرّ بحفظ الناموس.
تأملوا في هذا يا أصدقائي: لو كان الخلاص يُنال بحفظ الشريعة، لكان الآب قد أرسل الابن ليموت موتًا لا داعي له. هذا ما جاء في

غلاطية (٢: ٢١). ولكن كان موت يسوع ضرورياً، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر أحد.
رابعًا، بما أن الشريعة لم تستطع قط أن تغفر الخطايا، ولم تستطع أن تبرر الإنسان، ولم تستطع أن تمنح البر، فمن الواضح أنها كانت ولا تزال تفتقر إلى القدرة على منح الحياة. يقول غلاطية (٣: ٢١) "فَهَلِ ٱلنَّامُوسُ ضِدُّ مَوَاعِيدِ ٱللهِ؟ حَاشَا! لِأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ، لَكَانَ بِٱلْحَقِيقَةِ ٱلْبِرُّ بِٱلنَّامُوسِ".
من الواضح أنه لم يُنزل الله شريعةً قطّ تُحيي من يلتزم بها. لا أريد أن أكتب بنبرةٍ سلبية أو ناقدة، لكن لا يسعني إلا أن أُبدي دهشتي من أي شخص يقرأ تلك الآية ثم يُعلّم أن أحدًا قد نال الخلاص بالالتزام بمئات الشرائع المعقدة، في حين أنه لا توجد شريعة واحدة في مجمل الشرائع تُحيي من يلتزم بها.
خامساً، في ضوء الحقائق الأربع الأولى المتعلقة بالناموس، تصبح الحقيقة الخامسة بديهية: لا يمكنها أبداً أن تمنح السلام للقلب. إنّ عبرانيين (٩: ٦-١٠) مقطعٌ رائع. يقول: "ثُمَّ إِذْ صَارَتْ هَذِهِ مُهَيَّأَةً (الذبائح بموجب الشريعة) هَكَذَا، يَدْخُلُ ٱلْكَهَنَةُ (المُعيَّنون بالشريعة) إِلَى ٱلْمَسْكَنِ ٱلأَوَّلِ كُلَّ حِينٍ، صَانِعِينَ ٱلْخِدْمَةَ. (كما أمرت به الشريعة.) وَأَمَّا إِلَى ٱلثَّانِي فَرَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ فَقَطْ مَرَّةً فِي ٱلسَّنَةِ، لَيْسَ بِلَا دَمٍ يُقَدِّمُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ جَهَالَاتِ ٱلشَّعْبِ... هنا رئيس الكهنة المُعيَّن من الله يُقدِّم الذبيحة المُعيَّنة من الله في المكان المُعيَّن من الله في اليوم المُعيَّن من الله... مُعْلِنًا ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ بِهَذَا أَنَّ طَرِيقَ ٱلأَقْدَاسِ لَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ، مَا دَامَ ٱلْمَسْكَنُ ٱلأَوَّلُ لَهُ إِقَامَةٌ... يُشير روح الله الحي إلى هذه العبادة ويقول: "افعل كل هذا ولن يُدخلك إلى حضرة الرب." ... ٱلَّذِي هُوَ رَمْزٌ لِلْوَقْتِ ٱلْحَاضِرِ، ٱلَّذِي فِيهِ تُقَدَّمُ قَرَابِينُ وَذَبَائِحُ، لَا يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ ٱلضَّمِيرِ أَنْ تُكَمِّلَ ٱلَّذِي يَخْدِمُ، وَهِيَ قَائِمَةٌ بِأَطْعِمَةٍ وَأَشْرِبَةٍ وَغَسَلَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَفَرَائِضَ جَسَدِيَّةٍ فَقَطْ، مَوْضُوعَةٍ إِلَى وَقْتِ ٱلإِصْلَاحِ".
لنفترض للحظة أن عبارة "الرجال قبل الجلجثة كانوا يُخلِّصون بحفظ الشريعة" لها أساس من الصحة. عندها سنضطر إلى البحث في الكتب المقدسة عن مقدار الامتثال المطلوب للخلاص. هل كان عليهم حفظ الشريعة كلها؟ أم كان عليهم حفظ جزء منها طوال الوقت؟ أم كان عليهم حفظ "٨٥%" منها في "٩٢.٥%" من الوقت؟
لا مجال للشك في هذا الأمر. يقول يعقوب (٢: ١٠-١١) بوضوح: "لِأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ ٱلنَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي ٱلْكُلِّ. لِأَنَّ ٱلَّذِي قَالَ: «لَا تَزْنِ»، قَالَ أَيْضًا: «لَا تَقْتُلْ». فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلَكِنْ قَتَلْتَ، فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّيًا ٱلنَّامُوسَ".
قلّما يوجد أمرٌ أسهل فهمًا. أيها الأحبة، عندما يُجادل رجلٌ يؤمن بعقيدة الخلاص الأبدي المباركة مع رجلٍ يعتقد بإمكانية فقدانه، يُشير إليه الرجل إلى أنه لو كان بالإمكان فقدان الخلاص بالخطيئة، لكانت خطيئة واحدة كافية. وعندما يُحاول رجلٌ هداية خاطئٍ مُتغطرسٍ إلى المسيح، يُشير إليه إلى أن القتل أو الخطف ليسا شرطًا لإدانة المرء؛ فأي خطيئة تكفي. مع ذلك، ينسى بعض هؤلاء الأعزاء هذا المبدأ الأساسي حين يُحاولون تعليم الناس أن الناس قبل موت يسوع كانوا يُخلَّصون بحفظ الشريعة. هذا أمرٌ مُستحيل. لا أحد يستطيع حفظها. يكفي أن تُخالف شريعة واحدة مرة واحدة لتُحاسب على جميعها.
هذا ما استنتجه الرسل في اجتماع أورشليم العظيم المذكور في سفر أعمال الرسل "١٥". "فَٱجْتَمَعَ ٱلرُّسُلُ وَٱلْمَشَايِخُ لِيَنْظُرُوا فِي هَذَا ٱلأَمْرِ. فَبَعْدَ مَا حَصَلَتْ مُبَاحَثَةٌ كَثِيرَةٌ قَامَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ ٱلإِخْوَةُ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ ٱخْتَارَ ٱللهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ ٱلأُمَمُ كَلِمَةَ ٱلإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ. فَٱلآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ ٱللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ ٱلتَّلَامِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلَا نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟" (الآيات ٦-٧ و ١٠). ،ما فهمه قادة الكنيسة الأولى ينبغي أن يفهمه الجميع بسهولة: لم يستطع أحدٌ قط حفظ الشريعة.
هذا ما نعرفه من رسائل العهد الجديد عن شريعة العهد القديم:
–لا يمكن للناموس أن يبرر المذنب.
–لم يستطع الناموس أن يزيل الخطيئة ويجعل المطيع كاملًا.
–لم يستطع الناموس أن يمنح البر.
–لم يكن الناموس قادراً على منح الحياة.
–لا يمكن للناموس أن يمنح السلام لقلب وضمير من يلتزم به.
ما كان الغرض من القانون إذن؟
أ. كان للشريعة التي أنزلها الله على موسى غرضان. أولهما تنظيم شؤون بني إسرائيل في تيههم في البرية، وفي استقرارهم في الأرض الموعودة وامتلاكها. فإذا تأمل المرء ما أنزله الله على جبل سيناء، لوجد أن عقوبة مخالفة الشريعة لم تكن الخلود في الأبدية، بل الموت (للفرد) أو فقدان الأرض (للأمة.) كذلك، فإن جزاء الالتزام بالشريعة ليس الحياة الأبدية في السماء، بل طول العمر على الأرض في صحة وعافية (للفرد)، والسلام والرخاء في الأرض (للأمة).
لكي يُثبت أن رجال العهد القديم كانوا ينجون بحفظ الشريعة، كان لا بد من إيجاد نصوص في الشريعة تعد بمغفرة الذنوب والحياة الأبدية لمن يطيع الوصايا. لكن هذه الوعود غير موجودة.
هذا يفسر لماذا لم يكن التلاميذ يتطلعون إلى الصليب، ولماذا أعرض بنو إسرائيل عن يسوع بعد أن هللوا له عند دخوله المظفر إلى أورشليم. لم يكن أمل بني إسرائيل في مسيح يغفر لهم خطاياهم ليدخلوا الحياة الأبدية، بل في مسيح يُتمم الشريعة بقهر أعدائهم ومنحهم سلامًا وازدهارًا في أرض الميعاد. ولتأكيد هاتين النقطتين بالنصوص المقدسة، سأضطر إلى الاستشهاد بكل ما ورد في سفر الخروج (الإصحاح ١٩)حتى إنجيل لوقا.
لنعد إلى إنجيل لوقا ٢٤.تذكرون أن التلاميذ جاؤوا إلى القبر ذلك الصباح ليمسحوا جسد يسوع. لم يصدقوا كلامه عن قيامته. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، نرى اثنين منهم على طريق عمواس، حزينين على موت الرب وسرقة جسده. والآن، تأملوا في سبب هذا عدم التصديق.

يقول إنجيل لوقا (٢٤: ١٥-٢١) "وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ، ٱقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلَكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ. فَقَالَ لَهُمَا: «مَا هَذَا ٱلْكَلَامُ ٱلَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ؟». فَأَجَابَ أَحَدُهُمَا، ٱلَّذِي ٱسْمُهُ كِلْيُوبَاسُ وَقَالَ لَهُ: «هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحْدَكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمِ ٱلْأُمُورَ ٱلَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هَذِهِ ٱلْأَيَّامِ؟». فَقَالَ لَهُمَا: «وَمَا هِيَ؟». فَقَالَا: «ٱلْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ ٱلنَّاصِرِيِّ، ٱلَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي ٱلْفِعْلِ وَٱلْقَوْلِ أَمَامَ ٱللهِ وَجَمِيعِ ٱلشَّعْبِ. كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ ٱلْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ ٱلْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ. وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو... انظر جيدًا وسترى ما كانوا يثقون به... أَنَّهُ هُوَ ٱلْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ... لم يكونوا يبحثون عن خلاص فردي من الخطيئة، بل عن خلاص وطني من أعدائهم...وَلَكِنْ، مَعَ هَذَا كُلِّهِ، ٱلْيَوْمَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذَلِكَ".

وهكذا نرى أن أولئك الذين عرفوا الشريعة وأملوا في مجيء المسيح فهموا أن الشريعة لم تكن تعلم الخلاص الفردي بل الهوية الوطنية والحفاظ عليها.

ب. أما الغاية الثانية للشريعة فهي خدمة مقاصد الله فيما يتعلق بخلاص الخطاة. فمع أن الشريعة لا تستطيع أن تخلص أحداً، إلا أنها تعمل على هداية الإنسان إلى الخلاص من خلال إخضاعه لثقل أحكامها العادلة، وكشف استحالة بلوغه الصلاح بالأعمال الصالحة.

لقد أبرزت الشريعة بوضوح دوافع الضمير الإنساني، وقرارات الحكومات البشرية المتعددة، وتصريحات الله التشريعية النادرة. عرّفت الشريعة الخطيئة تعريفًا دقيقًا، وبذلك أظهرت أن جميع الناس خطاة. لطالما فهم الناس أنفسهم على أنهم خطاة بمعنى عام وغامض، ولكن مع نزول الشريعة، تم تحديد كل معصية على وجه التحديد وإدانتها.

"فَمَاذَا نَقُولُ؟ هَلِ ٱلنَّامُوسُ خَطِيَّةٌ؟ حَاشَا! بَلْ لَمْ أَعْرِفِ ٱلْخَطِيَّةَ إِلَّا بِٱلنَّامُوسِ. فَإِنَّنِي لَمْ أَعْرِفِ ٱلشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ ٱلنَّامُوسُ: «لَا تَشْتَهِ». وَلَكِنَّ ٱلْخَطِيَّةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِٱلْوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِيَّ كُلَّ شَهْوَةٍ. لِأَنْ بِدُونِ ٱلنَّامُوسِ ٱلْخَطِيَّةُ مَيِّتَةٌ. أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ بِدُونِ ٱلنَّامُوسِ عَائِشًا قَبْلًا. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَتِ ٱلْوَصِيَّةُ عَاشَتِ ٱلْخَطِيَّةُ، فَمُتُّ أَنَا، فَوُجِدَتِ ٱلْوَصِيَّةُ ٱلَّتِي لِلْحَيَاةِ هِيَ نَفْسُهَا لِي لِلْمَوْتِ." (رومية ٧: ٧-١٠).

إنّ أوامر الله المحددة، كما وردت في الشريعة، كشفت للإنسان حقيقة قلبه. هذا الكشف قضى على أي أمل في الحياة الأبدية. أقول الحياة الأبدية، لأننا نقرأ في النص "مُت وللموت"، ومع ذلك فإنّ الإشارة هنا إلى إنسان كان يمشي ويتكلم ويتنفس. لا بدّ أن الموت الذي أحدثته الشريعة يشير إلى الموت الروحي. وهكذا، بينما كان العبراني قبل موت المسيح يسعى للعيش وفقًا لشريعة موسى ليتمتع بنعم الله المادية الدنيوية، كان يُدرك مرارًا، إن لم يكن دائمًا، أنه لا يستطيع الالتزام بجميع الوصايا.

في هذه المرحلة، كان بإمكانه اتباع الشريعة وتقديم الذبائح المقررة في أيام محددة لإظهار ندمه على بعض الخطايا. لكن، كما يخبرنا العبرانيون "٧" و "١٠"، في اليوم التالي مباشرة، كان الرجل يعود إلى الخطيئة ويدرك أنه مهما قدم من ذبائح، سيظل خاطئًا أمام الله القدوس. فرغم كل جهوده، كانت الشريعة تهلكه مرة أخرى.

كان البشر خطاة منذ آدم، بالطبع، لكن الشريعة منحت الخطيئة قوة جديدة. كانت بمثابة القبضة داخل القفاز؛ السهم الموضوع على القوس. يقول الكتاب المقدس في رسالة كورنثوس الأولى (١٥: ٥٦) "أَمَّا شَوْكَةُ ٱلْمَوْتِ فَهِيَ ٱلْخَطِيَّةُ، وَقُوَّةُ ٱلْخَطِيَّةِ هِيَ ٱلنَّامُوسُ".

على مدى مئات السنين، كان الرجال يعلمون أنهم لا يرتقون إلى مستوى مجد إله عادل، ولكن عندما نزل موسى من الجبل حاملًا تفاصيل ما يطلبه الرب، أصبحت الخطيئة واسعة النطاق، وقوية للغاية، وواضحة للغاية لدرجة أن قوتها الحقيقية قد انكشفت.

إن شريعة الله المقدسة والعادلة والجيدة لا يمكنها أن تُظهر للإنسان طريق الحياة والخلاص؛ بل يمكنها فقط أن تعلمه أنه مذنب.

"فَهَلِ ٱلنَّامُوسُ ضِدُّ مَوَاعِيدِ ٱللهِ؟ حَاشَا! لِأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ، لَكَانَ بِٱلْحَقِيقَةِ ٱلْبِرُّ بِٱلنَّامُوسِ. لَكِنَّ ٱلْكِتَابَ أَغْلَقَ عَلَى ٱلْكُلِّ تَحْتَ ٱلْخَطِيَّةِ، لِيُعْطَى ٱلْمَوْعِدُ مِنْ إِيمَانِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. وَلَكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ ٱلْإِيمَانُ كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ، مُغْلَقًا عَلَيْنَا إِلَى ٱلْإِيمَانِ ٱلْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ. إِذًا قَدْ كَانَ ٱلنَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى ٱلْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِٱلْإِيمَانِ." (غلاطية ٣: ٢١-٢٤). كل ذبيحة، وكل قربان، وكل قراءة للوصايا، وكل محاولة لإصلاح الذات، تعلم المرء نفس الدرس: أنت مذنب!

"لذلك، لن يتبرر أحدٌ أمام الله بأعمال الناموس، لأن الناموس يُعرّفنا بالخطيئة" (رومية ٣: ٢١). والقول بأن الرجال والنساء قبل المسيح كانوا يُخلَّصون بحفظ الناموس يُظهر جهلًا فادحاً بهدف الله من إنزال الناموس.

لو أراد أحد الكاثوليك أو أسقفي أو سبتي اليوم أن يُعلّم إنسانًا أنه يجب عليه الالتزام بالشريعة لينال الخلاص، لاستشهد المتشدد أو المؤمن بالكتاب المقدس بالآيات المذكورة أعلاه ليُثبت أن الشريعة لا علاقة لها بالخلاص. مع ذلك، يتجاهل بعض هؤلاء الإخوة الأعزاء هذه الآيات تمامًا عندما يسعون إلى إحداث انقسام في الكنيسة أو صداقة بسبب مسألة الخلاص في العهد القديم. ما هو صحيح اليوم كان صحيحًا آنذاك: الخلاص لا يتحقق بأعمال الشريعة.

يوجد فحص شامل لطبيعة ووظيفة القانون في رسالة تيموثاوس الأولى (١: ٥-١١).

"وَأَمَّا غَايَةُ ٱلْوَصِيَّةِ ...لا تزال الوصية قائمة، لذا فإن الفكرة هنا هي الغاية: إلى أين يُفترض أن تقودك هذه الوصية؟... **فَهِيَ ٱلْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلَا رِيَاءٍ** ...إذن فالغاية المرجوة هي المحبة والإيمان... **.ٱلْأُمُورُ ٱلَّتِي إِذْ زَاغَ قَوْمٌ عَنْهَا، ٱنْحَرَفُوا إِلَى كَلَامٍ بَاطِلٍ. يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا مُعَلِّمِي ٱلنَّامُوسِ، وَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ، وَلَا مَا يُقَرِّرُونَهُ** ....حذر الله من أناس يسعون إلى أن يكونوا معلمين للشريعة وهم لا يعرفون لماذا أُنزلت الشريعة أو ما كان المقصود منها ...**وَلَكِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ ٱلنَّامُوسَ صَالِحٌ**)كما وجدنا في رسالة رومية (**إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْتَعْمِلُهُ نَامُوسِيًّا**)أي للغرض المقصود **(عَالِمًا هَذَا: أَنَّ ٱلنَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ لِلْبَارِّ، بَلْ لِلْأَثَمَةِ وَٱلْمُتَمَرِّدِينَ، لِلْفُجَّارِ وَٱلْخُطَاةِ، لِلدَّنِسِينَ وَٱلْمُسْتَبِيحِينَ، لِقَاتِلِي ٱلْآبَاءِ وَقَاتِلِي ٱلْأُمَّهَاتِ، لِقَاتِلِي ٱلنَّاسِ، لِلزُّنَاةِ، لِمُضَاجِعِي ٱلذُّكُورِ، لِسَارِقِي ٱلنَّاسِ، لِلْكَذَّابِينَ، لِلْحَانِثِينَ، وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخَرُ يُقَاوِمُ ٱلتَّعْلِيمَ ٱلصَّحِيحَ** ...أُعطيت الشريعة لتحديد الخطيئة وتعريفها ومعالجة عواقبها... **.حَسَبَ إِنْجِيلِ مَجْدِ ٱللهِ ٱلْمُبَارَكِ ٱلَّذِي أُؤْتُمِنْتُ أَنَا عَلَيْهِ "**.انظر إلى هذا يا صديقي. الشريعة

والإنجيل متوافقان. ليسا متعارضين، أنها لا تعلم أحدهما يُعلن الخلاص بالنعمة والآخر يُكافئ الخلاص بالأعمال الصالحة. بل كلاهما يكشف الخطيئة ويُجبر الخاطئ العاجز على التضرع إلى رحمة الله.

٢ .ماذا حدث لقديسي العهد القديم؟

بعد ذلك، يجب أن ننظر في مصير الرجال في زمن العهد القديم الذين ماتوا وهم في منزلة حسنة عند الله. يجب أن ندرس ما الذي استحقوا به هذه المكانة، وإلى أين ذهب هؤلاء الأفراد بعد موتهم.
إنّ المرجع الأنسب هو رسالة العبرانيين "١١" حيث يُبيّن لنا الروح القدس اختياراته لأفضل الأفضل، أولئك الذين ماتوا في رضا الرب. من الضروري أن ندرس هذا الفصل دراسة متأنية. وعندما نفعل ذلك، تتضح لنا الحقائق التالية:
أ. يجب على المرء أن يمارس الإيمان لكي يرضي الله (الآية ٦).
ب. مات هؤلاء جميعًا على الإيمان (الآية ١٣)مما يؤكد أن حياة المرء بأكملها يمكن أن تتغير بالإيمان بالله.
ج. في القائمة لدينا:
١.هابيل، وإينوخ، ونوح، وإبراهيم، وسارة، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، الذين عاشوا وماتوا قبل الشريعة.
٢.موسى، وجدعون، وباراق، وشمشون، ويفتاح، وداود، وصموئيل، الذين عاشوا تحت الشريعة.
٣.راحاب، التي عاشت خارج الشريعة (أممية).
د. لم تُعش حياة هؤلاء الرجال والنساء وفقًا لشريعة الله. فكر في هؤلاء الذين تم ذكرهم كأمثلة على الذين أرضوا الله (الآية ٦).
١.نوح – سكير.
٢.إبراهيم – كاذب.
٣.إسحاق – كاذب.
٤.موسى – قاتل.
٥.راحاب – الزانية
٦.شمشون – زاني.
٧.داود – زانٍ وقاتل.
لا يمكن بأي حال من الأحوال النظر إلى قائمة الأسماء في رسالة العبرانيين ١١واستنتاج أن الله يشير إلى رجال نالوا الحياة الأبدية بحفظهم للشريعة أو بأعمالهم الصالحة. كل واحد من هؤلاء مات على الإيمان وقبله الله على هذا الأساس.
لا نجد فقط أن هؤلاء ماتوا على الإيمان، بل يجب علينا أن نتراجع ونتعجب من حقيقة أنهم لم يذهبوا إلى السماء أو يدخلوا في حضرة الرب عندما ماتوا.
تأمل الحقائق التالية.
"فِي ٱلْإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلَاءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا ٱلْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيَّوْهَا، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلَاءُ عَلَى ٱلْأَرْضِ." (عبرانيين ١١: ١٣).كانت وعودهم متعلقة بأمور دنيوية، ولم يُختبر تحققها في حياتهم. لكن الآيتين (٣٩-٤٠) تضيفان: "فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ، مَشْهُودًا لَهُمْ بِٱلْإِيمَانِ، لَمْ يَنَالُوا ٱلْمَوْعِدَ، إِذْ سَبَقَ ٱللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئًا أَفْضَلَ، لِكَيْ لَا يُكْمَلُوا بِدُونِنَا." هذا الوعد الزمني مُصاغ بصيغة المفرد -وعد واحد. مع أن هؤلاء ماتوا على الإيمان، لم يستطيعوا نيل جزاء إيمانهم كاملًا إلا في وقتٍ يُمكنهم فيه معرفة الكمال. ولأن الكمال، كما رأينا، لا يتحقق بالناموس، فقد اضطروا للانتظار حتى ظهور رجاء أفضل؛ رجاء يشملنا.
مات لعازر المذكور في إنجيل لوقا "١٦" وهو مؤمن. نعلم ذلك لأنه لم يدخل نار جهنم مثل الرجل الغني. ومع ذلك، لم يجد نفسه مفارقًا ليكون مع الرب. "فَمَاتَ ٱلْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ ٱلْمَلَائِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ."(لوقا ١٦: ٢٢). لقد تعزّى (الآية ٢٥) لكنه لم يكن في حضرة الله.
عندما كان بطرس يُبيّن لأقاربه الفرق بين الملك العظيم داود والرب يسوع المسيح الأعظم، استند إلى معرفته بالذين ماتوا على الإيمان في زمن العهد القديم، وذكّر سامعيه بأن داود لم يصعد إلى السماء عند موته. يقول سفر أعمال الرسل (٢: ٣٣-٣٥) "وَإِذِ ٱرْتَفَعَ بِيَمِينِ ٱللهِ، وَأَخَذَ مَوْعِدَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ مِنَ ٱلْآبِ، سَكَبَ هَذَا ٱلَّذِي أَنْتُمُ ٱلْآنَ تُبْصِرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ. لِأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى ٱلسَّمَاوَاتِ. وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ: قَالَ ٱلرَّبُّ لِرَبِّي: ٱجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ." ويزداد هذا القول وضوحاً عندما نتذكر أن داود وُعد برحمة أكيدة (أعمال الرسل ١٣: ٣٤).
كيف أشار الكتاب المقدس إلى موت المؤمنين قبل إتمام عمل المسيح على الصليب؟ ليس باعتبارهم رحيلًا ليكونوا مع الرب، بل باعتبارهم "انضموا إلى آبائهم." وقد وردت صيغة ما من هذه العبارة إحدى عشرة مرة من سفر التكوين إلى سفر العدد.
بعد كفارة المسيح الكاملة عن الخطايا، ثمة توقع مختلف تمامًا للمؤمن المولود من جديد. فنحن واثقون، بل راغبون في أن نغيب عن الجسد، وأن نكون حاضرين مع الرب (كورنثوس الثانية ٥: ٨).
لدينا رجاءٌ في رؤية فادينا، الرب يسوع المسيح، عند إسلمتنا الروح (رومية ٨: ٢٢-٢٥) أو عند مجيء يسوع لكنيسته (تيطس ٢: ١٣). لا يوجد في النصوص الموجهة لكنيسة العهد الجديد ما يشير إلى ذهابنا إلى مكان راحة أو انتقال أو انتظار، كما كان حال الذين ماتوا على الإيمان قبل تضحية يسوع. بل يُؤكد لنا في كل مكان أننا سنكون مع مخلصنا لحظة انتهاء هذه الحياة.
تجدر الإشارة إلى أن المؤمنين كانوا يحملون هذا الرجاء نفسه منذ أقدم العصور. فقد أعلن أيوب: "أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ،

وَٱلْآخِرَ عَلَى ٱلْأَرْضِ يَقُومُ، وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هَذَا، وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى ٱللهَ. ٱلَّذِي أَرَاهُ أَنَا لِنَفْسِي، وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرُ. إِلَى ذَلِكَ تَتُوقُ كُلْيَتَايَ فِي جَوْفِي." (أيوب ١٩: ٢٥-٢٧). في أقدم أسفار الكتاب المقدس، عبّر هذا الرجل عن إيمانه بـ:

–مخلص.
–الذي كان يعيش آنذاك.
–الذي سيأتي إلى الأرض لاحقًا.
–أنه (أيوب) سيموت.
–وتأكلها الديدان.
–ومع ذلك، سيقوم من الموت.
–في جسده.
–أنه سيرى الله فاديه وجهاً لوجه.

هذا رجل عاش ومات وفقاً لتعريف الرجاء الوارد في رسالة رومية "٨".ومع ذلك، عندما مات، لم يستطع دخول السماء. لأن الطريق إلى قدس الأقداس لم يكن قد ظهر بعد (عبرانيين ٩ :٨).

مات أيوب وآلاف مثله على الإيمان (عبرانيين ١١) ولم ينالوا تحقيق رجائهم. ومثل لعازر، دُعوا أسرى الرجاء (زكريا ٩: ١٢) وظلوا في الأسر (وإن كان أسرًا جميلًا، يُسمى الفردوس وحضن إبراهيم) حتى موت يسوع المسيح ودفنه وقيامته وصعوده. حينها فقط رُفعوا إلى حضرة الرب في السماء. "صَعِدْتَ إِلَى ٱلْعَلَاءِ. سَبَيْتَ سَبْيًا. قَبِلْتَ عَطَايَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ، وَأَيْضًا ٱلْمُتَمَرِّدِينَ لِلسَّكَنِ أَيُّهَا ٱلرَّبُّ ٱلْإِلَهُ." (مزمور ٦٨: ١٨). لذلك يقول: "جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ ٱلْوَاحِدِ." (أفسس ٤: ٨).

الآن لا خلاف يُذكر حول هذه الأمور. لا بد لي أن أسألكم: إذا كان الناس قبل الجلجثة قد نالوا الخلاص بطريقة أخرى غير دم الرب يسوع المسيح المسفوك وعمله الكامل، فكيف لم يتمكنوا من دخول السماء حتى أخذهم المسيح القائم من بين الأموات؟ من الواضح أن الالتزام بالوصايا أو القوانين أو أي نظام آخر من الأعمال الصالحة لم يكن كافيًا لدخول الإنسان إلى السماء آنذاك.

في الملخص العظيم للخلاص بالنعمة من خلال الإيمان بعمل الرب يسوع المسيح الكامل ودمه المسفوك، كما ورد في رسالة رومية "٣" نجد عبارة وثيقة الصلة بموضوعنا: "مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِٱلْفِدَاءِ ٱلَّذِي بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي قَدَّمَهُ ٱللهُ كَفَّارَةً بِٱلْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ ٱلصَّفْحِ عَنِ ٱلْخَطَايَا ٱلسَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ ٱللهِ" (الآيات ٢٤-٢٥).هنا يُخبرنا أن الكفارة (الدفع الكامل) التي قُدمت عن الخطايا التي ارتُكبت قبل ذهاب يسوع إلى الصليب قد قدمها المسيح على جبل الجلجلة. هنا يُخبرنا أن الرجال والنساء قبل موت يسوع قد نُجّوا من عذاب جهنم بسبب إمهال الله (إذ أخلى عنهم العقاب المستحق.) يُخبرنا الروح القدس في هذا المقطع أن الأساس العادل الذي استند إليه الله لتبرير الخطاة، سواء عاشوا وماتوا قبل صلب يسوع أو بعده، هو الكفارة التي قدمها الحمل على الصليب.

ثلاث حالات توضح طبيعة خلاص العهد القديم.

لقد ركزنا حتى الآن على بيان كيف لم يكن الناس قبل الصليب مُخلَّصين. والآن حان الوقت للنظر في الطريقة التي وجد بها الناس الحياة الأبدية قبل موت الرب يسوع ودفنه وقيامته.
سندرس بعناية ما يقوله الكتاب المقدس عن ثلاثة رجال: إبراهيم، وداود، وبولس. الأول قبل الشريعة؛ والثاني عاش في ظل الشريعة؛ والثالث شهد الانتقال من عصر الشريعة إلى عصر الكنيسة.

١.إبراهيم
نقرأ هذه الكلمات المتعلقة بإبراهيم في رسالة رومية "٤."
"فَمَاذَا نَقُولُ إِنَّ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ وَجَدَ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ؟ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ تَبَرَّرَ بِٱلْأَعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَى ٱللهِ." (الآيتان ١-٢).هناك تبرير بالأعمال، ولكنه يتعلق بما هو ظاهر للعيان. هذا التبرير ليس خلاصًا، ولا يُعد بالضرورة دليلًا على الخلاص، كما سنرى لاحقًا.
"لِأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ ٱلْكِتَابُ؟ «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِٱللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا»." (الآية ٣).هذا برٌّ يُنسب إلى رجل لم يفعل شيئًا سوى تصديق كلام الله.
"أَمَّا ٱلَّذِي يَعْمَلُ فَلَا تُحْسَبُ لَهُ ٱلْأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ. وَأَمَّا ٱلَّذِي لَا يَعْمَلُ، وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِٱلَّذِي يُبَرِّرُ ٱلْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا." (الآيات ٤-٥). وفي هذا يُضرب مثال إبراهيم لقراء رسالة رومية، كدليل على الطريق الذي سيخلصهم الله به إن آمنوا.
"أَفَهَذَا ٱلتَّطْوِيبُ هُوَ عَلَى ٱلْخِتَانِ فَقَطْ أَمْ عَلَى ٱلْغُرْلَةِ أَيْضًا؟ لِأَنَّنَا نَقُولُ: إِنَّهُ حُسِبَ لِإِبْرَاهِيمَ ٱلْإِيمَانُ بِرًّا. (ليس بسبب بره، بل ليُحسب له كبرًا.) فَكَيْفَ حُسِبَ؟ أَوَهُوَ فِي ٱلْخِتَانِ (بموجب أعمال الله)، أَمْ فِي ٱلْغُرْلَةِ؟ لَيْسَ فِي ٱلْخِتَانِ، بَلْ فِي ٱلْغُرْلَةِ! وَأَخَذَ عَلَامَةَ ٱلْخِتَانِ خَتْمًا لِبِرِّ ٱلْإِيمَانِ ٱلَّذِي كَانَ فِي ٱلْغُرْلَةِ، لِيَكُونَ أَبًا لِجَمِيعِ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي ٱلْغُرْلَةِ، كَيْ يُحْسَبَ لَهُمْ أَيْضًا ٱلْبِرُّ." (الآيات ٩-١١). وهكذا يتضح أن إبراهيم لم يكن استثناءً بل كان النموذج الأمثل. فكل من يؤمن بالله يُحسب له البر دون أعمال.
"وَأَبًا لِلْخِتَانِ لِلَّذِينَ لَيْسُوا مِنَ ٱلْخِتَانِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يَسْلُكُونَ فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي كَانَ وَهُوَ فِي ٱلْغُرْلَةِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ بِٱلنَّامُوسِ كَانَ ٱلْوَعْدُ لِإِبْرَاهِيمَ أَوْ لِنَسْلِهِ أَنْ يَكُونَ وَارِثًا لِلْعَالَمِ، بَلْ بِبِرِّ ٱلْإِيمَانِ." (الآيات ١٢-١٣).نرى أن الوعود التي نالها لاحقًا لم تكن مكافآت مستحقة على أعمال صالحة، بل بركات مُنحت لرجل آمن بالله.
"لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ ٱلَّذِينَ مِنَ ٱلنَّامُوسِ هُمْ وَرَثَةً، فَقَدْ تَعَطَّلَ ٱلْإِيمَانُ وَبَطَلَ ٱلْوَعْدُ:" (الآية ١٤).هنا يُعلن الروح القدس أنه لا يمكن أن يكون هناك نظام يُمنح بموجبه الخلاص والحياة لمن لديهم مزيج معين من الإيمان والالتزام بالشريعة.
"لِأَنَّ ٱلنَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا، إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضًا تَعَدٍّ." (الآية ١٥).وكما رأينا سابقًا في دراستنا، فإن الشريعة لا تملك إلا الإدانة، ولا تملك القدرة على الخلاص.
"لِهَذَا هُوَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ ٱلنِّعْمَةِ، لِيَكُونَ ٱلْوَعْدُ وَطِيدًا لِجَمِيعِ ٱلنَّسْلِ. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ ٱلنَّامُوسِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، ٱلَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا." (الآية ١٦).
إن المثال الوارد في رسالة رومية في العهد الجديد، والذي يُبين كيف يُخلص الناس في هذا العصر بالنعمة من خلال الإيمان، هو مثال رجل وُلد وعاش ومات قبل نزول الشريعة. لقد آمن بالوحي الذي أنزله الله عليه، واستجابةً لهذا الإيمان، حُسبت له البر بالنعمة من الرب. قلّما نجد في الكتاب المقدس ما هو أسهل فهمًا من هذا.
والآن دعونا نفحص غلاطية "٣" حيث يتم شرح نفس الحقيقة في رسالة بولسية أخرى.
"كَمَا «آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِٱللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا». ٱعْلَمُوا إِذًا أَنَّ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنَ ٱلْإِيمَانِ أُولَئِكَ هُمْ بَنُو إِبْرَاهِيمَ. 8وَٱلْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ ٱللهَ بِٱلْإِيمَانِ يُبَرِّرُ ٱلْأُمَمَ، (غير اليهود الذين لا يتبعون الشريعة)." (الآيات ٦ – ٨أ) فلا تنخدعوا بمن يبالغون في تقدير بولس أكثر من ابن الله. لقد عرف بولس الإنجيل، وليس في هذا ما يسمح لأحد أن يفسّر الإنجيل إلا على أنه البشارة التي أنزلها الله على الإنسان.
"سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ ٱلْأُمَمِ». إِذًا ٱلَّذِينَ هُمْ مِنَ ٱلْإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُؤْمِنِ. لِأَنَّ جَمِيعَ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ" (الآيات ٨ب – ١٠أ) لا بد لي من تكرار هذا لأن الله يكرره. فالناموس لا يُنجي الإنسان، بل يُهلكه.
"لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ ٱلنَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»." (الآية ١٠ب).هذا الجدل العقيم حول الشريعة الأخلاقية مقابل الشريعة المدنية مقابل الشريعة الطقسية هو عبث لا أساس له من الكتاب المقدس. قال الله إن على الإنسان أن يعمل بكل ما هو مكتوب في الشريعة باستمرار، وإلا فهو ملعون. لا يمكن لأحد أن يقرأ هذا بصدق ويتصور أن الالتزام بالشريعة أو الأعمال الصالحة قد يكون له أي دور في الخلاص!
"وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِٱلنَّامُوسِ عِنْدَ ٱللهِ فَظَاهِرٌ، لِأَنَّ «ٱلْبَارَّ بِٱلْإِيمَانِ يَحْيَا»." (الآية ١١).وهذا كفيلٌ بحسم الأمر نهائيًا. (وهو كذلك لمن يؤمنون بكلمة الله.) ولا يمكن تحريف كلام الله وحصر النقاش في شريعة موسى بدلًا من مجمل وصايا الله، لأن إبراهيم عاش ومات قبل أن يكتب يهوه شيئًا على ألواح من حجر.
"وَلَكِنَّ ٱلنَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ، بَلِ «ٱلْإِنْسَانُ ٱلَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا». ٱلْمَسِيحُ ٱفْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ ٱلنَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ». لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلْأُمَمِ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِٱلْإِيمَانِ مَوْعِدَ ٱلرُّوحِ. أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ، بِحَسَبِ ٱلْإِنْسَانِ أَقُولُ: لَيْسَ أَحَدٌ يُبْطِلُ عَهْدًا قَدْ تَمَكَّنَ وَلَوْ مِنْ إِنْسَانٍ، أَوْ يَزِيدُ عَلَيْهِ. وَأَمَّا ٱلْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لَا يَقُولُ: «وَفِي ٱلْأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمَسِيحُ. وَإِنَّمَا أَقُولُ هَذَا: إِنَّ ٱلنَّامُوسَ ٱلَّذِي صَارَ بَعْدَ أَرْبَعِمِئَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، لَا يَنْسَخُ عَهْدًا قَدْ سَبَقَ فَتَمَكَّنَ مِنَ ٱللهِ نَحْوَ ٱلْمَسِيحِ حَتَّى يُبَطِّلَ ٱلْمَوْعِدَ." (الآيات ١٢-١٧).

يُخبرنا الروح القدس هنا بما يلي:
١.لا يغير الناموس حقيقة أن الله سيحسب البر للرجل الذي يضع ثقته فيما قاله الله.
٢.تم تأكيد عهد الخلاص هذا بالنعمة من خلال الإيمان في المسيح.
قبل أكثر من أربعة قرون من لقاء الله بموسى على جبل سيناء، أوضح للجميع أنه سيمنح الخطاة البر إذا آمنوا به، ولكن هذه المعاملة لا يمكن أن تكتمل دون أن يتم الوفاء الكامل بمطالب الله من قبل الرب يسوع المسيح.
"لِأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ ٱلْوِرَاثَةُ مِنَ ٱلنَّامُوسِ، فَلَمْ تَكُنْ أَيْضًا مِنْ مَوْعِدٍ. وَلَكِنَّ ٱللهَ وَهَبَهَا لِإِبْرَاهِيمَ بِمَوْعِدٍ." (الآية ١٨). وهكذا كان البر المنسوب عهدًا بين الله والإنسان، والشرط الوحيد لنيل بركات هذا العهد هو الإيمان بما قاله الله. وكان المسيح طرفًا في هذا العهد، ولا يمكن تأكيده إلا فيه. وجاء الناموس لاحقًا ولم يُغيّر العهد بأي شكل من الأشكال.
في رسالة غلاطية "٤" لدينا معلومات إضافية عن الدور الذي لعبته الشريعة في الخلاص.
"قُولُوا لِي، أَنْتُمُ ٱلَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ: أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ ٱلنَّامُوسَ؟ فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ ٱبْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ ٱلْجَارِيَةِ وَٱلْآخَرُ مِنَ ٱلْحُرَّةِ. لَكِنَّ ٱلَّذِي مِنَ ٱلْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ، وَأَمَّا ٱلَّذِي مِنَ ٱلْحُرَّةِ فَبِٱلْمَوْعِدِ. وَكُلُّ ذَلِكَ رَمْزٌ، لِأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا ٱلْعَهْدَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، ٱلْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ، ٱلَّذِي هُوَ هَاجَرُ. لِأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي ٱلْعَرَبِيَّةِ. وَلَكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ ٱلْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ ٱلْعُلْيَا، ٱلَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا، فَهِيَ حُرَّةٌ."(الآيات ٢١-٢٦).لم يكن بإمكان القانون أن يحرر المرء، بل كان بإمكانه فقط أن يوقعه في العبودية.
"لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «ٱفْرَحِي أَيَّتُهَا ٱلْعَاقِرُ ٱلَّتِي لَمْ تَلِدْ. اِهْتِفِي وَٱصْرُخِي أَيَّتُهَا ٱلَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ، فَإِنَّ أَوْلَادَ ٱلْمُوحِشَةِ أَكْثَرُ مِنَ ٱلَّتِي لَهَا زَوْجٌ». وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ فَنَظِيرُ إِسْحَاقَ، أَوْلَادُ ٱلْمَوْعِدِ. وَلَكِنْ كَمَا كَانَ حِينَئِذٍ ٱلَّذِي وُلِدَ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ يَضْطَهِدُ ٱلَّذِي حَسَبَ ٱلرُّوحِ، هَكَذَا ٱلْآنَ أَيْضًا. لَكِنْ مَاذَا يَقُولُ ٱلْكِتَابُ؟ «ٱطْرُدِ ٱلْجَارِيَةَ وَٱبْنَهَا، لِأَنَّهُ لَا يَرِثُ ٱبْنُ ٱلْجَارِيَةِ مَعَ ٱبْنِ ٱلْحُرَّةِ». إِذًا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ لَسْنَا أَوْلَادَ جَارِيَةٍ بَلْ أَوْلَادُ ٱلْحُرَّةِ." (الآيات ٢٧-٣١).بفضل الله، أنا شريك في العهد الذي يحرر الإنسان، وهو أمر لم تستطع الشريعة تحقيقه قط.

٢ .داود
والآن ننتقل إلى قصة الملك داود المذهلة. جميعنا نعرف حكايات بطولاته، وكيف قتل باسم الرب أسدًا ودبًا وجبارًا. ونعلم أيضًا كيف قاوم شاول وقاتل ببسالة من أجل إسرائيل وقتل عشرات الآلاف من رجاله. ولكن بعد ذلك جاء ذلك اللقاء المروع مع بثشبع. لن نتطرق إلى التفاصيل هنا، ولكن باختصار، زنى داود ببثشبع ثم دبر لقتل زوجها.
هذا كله مهم في دراستنا، فلو قرأ المرء الشريعة المنقوشة على الحجر بإصبع الله قراءة متأنية، لوجد أنه لم تُقدَّم أي ذبيحة لتغطية الخطيئتين اللتين ارتكبهما الملك داود. فالزنا والقتل لا يُعاقب عليهما إلا بالموت. ولا يوجد في الشريعة أي سبيل للتكفير عن هاتين الجريمتين.
اقرأ بعناية صلاة التوبة العظيمة لداود، المسجلة في المزمور "٥١."
اِرْحَمْنِي يَا ٱللهُ ...إذا كان الخلاص قبل الصليب قائماً على حفظ الشريعة، فهذا دعاء باطل. ولكن إذا كان الله رحيماً ويغفر برحمته، فحينئذٍ يكون هناك أمل في مثل هذا الأمر.
حَسَبَ رَحْمَتِكَ ...ليس أوامر أو قرارات بل محبة ولطف.
حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ ٱمْحُ مَعَاصِيَّ .(الآية ١). يطلب داود من الله أن يغفر له ذنوبه استنادًا إلى النعمة وحدها.
ٱغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي .(الآية ٢).لم يكن يُقدّم قربانًا ولم يكن يُطيع أي شريعة. كان يطلب من الله أن يغسله ويطهره دون أي عمل صالح.
"لِأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيَّ، وَخَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِمًا. إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَٱلشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ ".(الآيتان ٣-٤).هنا اعتراف صادق وندم على الخطيئة، ولكن هل يكفي ذلك؟ لاحظ أيضًا ظهور مسألة التبرير مرة أخرى في موضع لا يمكن أن تعني فيه الخلاص من الخطيئة. هنا، الله هو من يُبرِّر.
"هَأَنَذَا بِٱلْإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِٱلْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي. هَا قَدْ سُرِرْتَ بِٱلْحَقِّ فِي ٱلْبَاطِنِ، فَفِي ٱلسَّرِيرَةِ تُعَرِّفُنِي حِكْمَةً ".(الآيات ٥-٦).لقد سحق ذنب داود، وأتمّت الشريعة عقوبتها. أدرك الملك أنه كان غارقًا في الخطيئة قبل أن يرى امرأة تستحم. وبينما يسترجع حياته، لا يرى فيها إلا الخطيئة من بدايتها إلى نهايتها.
"طَهِّرْنِي بِٱلزُّوفَا فَأَطْهُرَ. ٱغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ ٱلثَّلْجِ ".(الآية ٧).هنا يُعبّر الرجل عن إيمانه بأن الله قادر على تطهيره تمامًا دون أي مساعدة من الشريعة. إنه يسعى بجرأة إلى التطهير دون الحاجة إلى أي قربان من قرابين اللاويين.
"أَسْمِعْنِي سُرُورًا وَفَرَحًا، فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ سَحَقْتَهَا. ٱسْتُرْ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ، وَٱمْحُ كُلَّ آثَامِي.قَلْبًا نَقِيًّا ٱخْلُقْ فِيَّ يَا ٱللهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي. لَا تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ ٱلْقُدُّوسَ لَا تَنْزِعْهُ مِنِّي. رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلَاصِكَ، وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ ٱعْضُدْنِي ".(٨-١٢).من البداية إلى النهاية، هذا نداء إلى إله كل نعمة. لا يوجد هنا أي ذكر لما سيفعله داود من أجل الله؛ بل مجرد دعاء إلى الله أن يفعل من أجله.
"فَأُعَلِّمَ ٱلْأَثَمَةَ طُرُقَكَ، وَٱلْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ ".(الآية ١٣).وهكذا نرى أن رجلًا خاضعاً للشريعة يطلب الخلاص بمعزل عنها، ويعلن أن هذا الخلاص سيكون وسيلة لتعليم العصاة الآخرين طريق الله إلى التوبة. تأمل في هذا من فضلك.
"نَجِّنِي مِنَ ٱلدِّمَاءِ يَا ٱللهُ، إِلَهَ خَلَاصِي، فَيُسَبِّحَ لِسَانِي بِرَّكَ ".(الآية ١٤). ها هو ذا. داود يطلب البرّ المنسوب إلى إبراهيم الذي منحه

الله إياه. هو لا يطلب من الله أن يجعله بارا، بل يطلب برّ الله.
"يَا رَبُّ ٱفْتَحْ شَفَتَيَّ، فَيُخْبِرَ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ. لِأَنَّكَ لَا تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلَّا فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لَا تَرْضَى".(الآيات ١٥-١٦).ها هو ذا! واضح وضوح الشمس! لا يُمكن إنكاره! هذا الرجل، الذي يعيش تحت الشريعة، قد استنتج أنه لا توجد ذبيحة تُرضي متطلبات الله القدوس العادل. إنه يُراهن بروحه الأبدية على أمل أن الله يُفضّل قلب الإنسان على ماله أو خدمته. إنه مُستعد لتقديم أي ذبيحة يطلبها الله، لكنه يعلم أنه لا توجد ذبيحة تُكفّر عن ذنوبه الفظيعة. إنه يضع كل رجائه في رضا الله بإيمان بسيط.
"ذَبَائِحُ ٱللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. ٱلْقَلْبُ ٱلْمُنْكَسِرُ وَٱلْمُنْسَحِقُ يَا ٱللهُ لَا تَحْتَقِرُهُ".(الآية ١٧).وهكذا، يُخبرنا كلام الله أن الله لا يقبل إلا ذبيحة واحدة للخلاص بموجب الشريعة. إنها الذبيحة الوحيدة التي تُكفّر عن الخطيئة. إنها القلب المنكسر والمتواضع، المتوكل على رحمة الله الكريم.
"أَحْسِنْ بِرِضَاكَ إِلَى صِهْيَوْنَ. ٱبْنِ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ. حِينَئِذٍ تُسَرُّ بِذَبَائِحِ ٱلْبِرِّ، مُحْرَقَةٍ وَتَقْدِمَةٍ تَامَّةٍ. حِينَئِذٍ يُصْعِدُونَ عَلَى مَذْبَحِكَ عُجُولًا".(الآيات ١٨-١٩).لا تغفلوا هذه الحقيقة الجوهرية، أيها الأحباء. كانت الذبائح المذكورة في الشريعة قرابين طوعية من أولئك الذين سبق لهم أن توكلوا على الرب لغفران الخطايا. هل يجد الله أي سرور في القرابين المفروضة شرعاً إذا تم تقديم القربان بشكل صحيح؟
تخيّل رجلين يأتيان إلى خيمة الاجتماع يوم السبت. أحدهما يحمل خروفًا ومكونات لتقدمة طعام، ويأمل أن يكون هذا الخروف وهذه التقدمة كافيين ليحصل أخيرًا على بعض السلام في قلبه. إنه يتوق بشدة لإبهار الله بطاعته لينال الحياة. لكنه هالك لا محالة. أما الآخر، فيحمل خروفًا ومكونات لتقدمة طعام، ويحضرها شكرًا لله على الخلاص الذي أنعم به عليه مجانًا. هذا الرجل وتقدمته مقبولان عند الله.
انظر إلى رجلين يدخلان الكنيسة صباح يوم الأحد. أحدهما يضع نقوده في صندوق التبرعات، ويرنّم في الجوقة، ويخدم في لجنة مساعدة كبار السن. يفعل كل هذه الأعمال الصالحة على أمل أن تنال منه الحياة الأبدية. لكن مصيره الهلاك. أما الآخر، فيضع نقوده في صندوق التبرعات، ويرنّم في الجوقة، ويخدم في لجنة مساعدة كبار السن. يفعل كل هذه الأعمال الصالحة شكرًا لله على الخلاص الذي منحه إياه مجانًا. هذا الرجل، وتبرعه، مقبولان عند الله.
ثم نستمتع بتعليق الله على صلاة داود في المزمور "٥١".نفرح لرؤية أن الرب لم يوبخ الإنسان الساقط لعدم سعيه للخلاص من خلال الشريعة، بل منح التائب برحمته الغفران الذي سعى إليه بصدق.
شهد داود في المزامير (٣٢: ١-٥)**"طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ**)بدون ذبيحة حيوانية(، **وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ)** .من الواضح أن ذلك ليس بسبب أعمال صالحة (**.طُوبَى لِرَجُلٍ لَا يَحْسِبُ لَهُ ٱلرَّبُّ خَطِيَّةً** ...المسألة ليست فيما فعله الإنسان أو لم يفعله، بل فيما إذا كان الله يختار أن يحاسبه على جرائمه... .**وَلَا فِي رُوحِهِ غِشٌّ.لَمَّا سَكَتُّ بَلِيَتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي ٱلْيَوْمَ كُلَّهُ، لِأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَارًا وَلَيْلًا. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ ٱلْقَيْظِ. سِلَاهْ. أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلَا أَكْتُمُ إِثْمِي** ....انظر كيف تعمل الشريعة في إظهار ذنب الإنسان وحثّه على التوبة ... .**قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي. سِلَاهْ".**
–سمعوا كلمة الله وآمنوا بها.
–القلب المكسور والشعور بالذنب.
–دعوة متواضعة إلى الرب.
–الخطيئة غير المنسوبة.
–تم منح العفو.
–الأعمال الصالحة ليست عاملًا في الصفقة.
يُوجد تعليق الروح القدس على هذا الأمر في رسالة رومية (٤: ٥-٨). "وَأَمَّا ٱلَّذِي لَا يَعْمَلُ، وَلٰكِنْ يُؤْمِنُ بِٱلَّذِي يُبَرِّرُ ٱلْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا. كَمَا يَقُولُ دَاوُدُ أَيْضًا فِي تَطْوِيبِ ٱلْإِنْسَانِ ٱلَّذِي يَحْسِبُ لَهُ ٱللهُ بِرًّا بِدُونِ أَعْمَالٍ: «طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ. طُوبَى لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي لَا يَحْسِبُ لَهُ ٱلرَّبُّ خَطِيَّةً".«
من الواضح لأولئك الذين يؤمنون بالكتب المقدسة أن كلًا من العهد القديم والعهد الجديد يعلنان أن الخلاص قبل الصليب كان مسألة بر منسوب، يُمنح مجاناً لأولئك الذين يضعون إيمانهم في الرب وأن هذه الهبة تُمنح بدون أعمال.
لماذا إذن يُبيّن العهد الجديد بوضوح أن إبراهيم (لوقا ١٦) وداود (أعمال الرسل ٢) لم يصعدا إلى السماء بعد موتهما؟ لأن يسوع المسيح هو الطريق والحق والحياة، ولا يأتي أحد إلى الآب إلا به (يوحنا ١٤: ٦). "«ٱلْحَقَّ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ ٱلَّذِي لَا يَدْخُلُ مِنَ ٱلْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ ٱلْخِرَافِ، بَلْ يَطْلَعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَذَاكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ." (يوحنا ١٠: ١).
مات هؤلاء الرجال على الإيمان، ولذلك لم يُحكم عليهم بالهلاك الأبدي. لكنهم اضطروا للانتظار حتى يُطهرهم دم يسوع المسيح ليتمكنوا من دخول حضرة الرب. لقد غُفرت ذنوبهم، وسُترت، لكن تلك الذنوب لم تُكفّر، كما تقتضي عدالة الله وقدسه.
ومن اللافت للنظر أن صلاة داود في المزمور ٥١ مذكورة في رسالة العبرانيين ١٠ في هذا السياق بالذات.
يقول العبرانيون (١٠: ١-١٠) "لِأَنَّ ٱلنَّامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ ٱلْخَيْرَاتِ ٱلْعَتِيدَةِ لَا نَفْسُ صُورَةِ ٱلْأَشْيَاءِ، لَا يَقْدِرُ أَبَدًا بِنَفْسِ ٱلذَّبَائِحِ كُلَّ سَنَةٍ، ٱلَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى ٱلدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ. وَإِلَّا، أَفَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ٱلْخَادِمِينَ، وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، لَا يَكُونُ لَهُمْ أَيْضًا ضَمِيرُ خَطَايَا." وكما أوضحنا مرارًا، فإن هذه القرابين لم تكن سوى رمزٍ للتكفير الضروري، لا جوهره. ولو قدمها المرء بانتظام كل عام، لما استطاعت أن تُرضي الله أو تُرضي قلب الإنسان.
"لٰكِنْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا." يُذكّرنا عشاء الرب (كورنثوس الأولى ١١) بأن كفارة خطايانا قد دُفعت بالكامل. أما ذبائح العهد

القديم فكانت تُذكّر من يُقدّمون هذه القرابين بأن خطاياهم ما زالت قائمة.
"لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا." مستحيل! لم يكن موت يسوع طريقًا آخر للخلاص، أو طريقًا أسهل، أو أي فكرة تجديفية أخرى طرحها رجال الدين والمفسرون. أعمال الإنسان الصالحة لا تمحو خطاياه.
"لِذَلِكَ (لأن جميع الخطايا كان لا بد من كفارة لها قبل أن يُغفر لأي خاطئ) عِنْدَ دُخُولِهِ (جاء يسوع) إِلَى ٱلْعَالَمِ يَقُولُ: «ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلَكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ.... لا سُرّة، ولا سُرّة محدودة، ولا سُرّة جزئية – لم تسره على الإطلاق! ... وَلَكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ. ثُمَّ قُلْتُ: هَأَنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ ٱلْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لِأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا ٱللهُ». إِذْ يَقُولُ آنِفًا: «إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلَا سُرِرْتَ بِهَا». ٱلَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ ٱلنَّامُوسِ. ثُمَّ قَالَ: «هَأَنَذَا أَجِيءُ لِأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا ٱللهُ»." كانت مشيئة الله أن تُكفّر الخطايا، ولا شيء سوى دم يسوع المسيح الثمين يُمكن أن يُكفّر عنها.
"يَنْزِعُ ٱلْأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ ٱلثَّانِيَ. فَبِهَذِهِ ٱلْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً." كان موت الرب الفدائي على الصليب كفارة لجميع خطايا جميع الخطاة إلى الأبد.
وهكذا نرى أنه كما أن البر المنسوب إلى إبراهيم تطلب أن تكون المعاملة في المسيح، فإن الغفران الكريم الذي مُنح لداود تطلب تقديم جسد يسوع المسيح قبل أن يتم التمتع بكامل بركته.
ما يدركه القليلون هو أن ديباجة الشريعة هي شهادة من الله بأن الخلاص سيكون مسألة نعمة ورحمة وأن التطهير الكامل من ذنب الخطيئة سينتظر يومًا في المستقبل.
يُعدّ سفر الخروج (٣٤: ٤-٧) مقطعًا رائعًا من الكتاب المقدس. هنا يقول الرب إن موسى "فَنَحَتَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ كَٱلْأَوَّلَيْنِ. وَبَكَّرَ مُوسَى فِي ٱلصَّبَاحِ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلِ سِينَاءَ كَمَا أَمَرَهُ ٱلرَّبُّ، وَأَخَذَ فِي يَدِهِ لَوْحَيِ ٱلْحَجَرِ.فَنَزَلَ ٱلرَّبُّ فِي ٱلسَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ. فَٱجْتَازَ ٱلرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى ٱلرَّبُّ: «ٱلرَّبُّ إِلَهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ ٱلْغَضَبِ وَكَثِيرُ ٱلْإِحْسَانِ وَٱلْوَفَاءِ. حَافِظُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ ٱلْإِثْمِ وَٱلْمَعْصِيَةِ وَٱلْخَطِيَّةِ. وَلَكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ ٱلْآبَاءِ فِي ٱلْأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ ٱلْأَبْنَاءِ، فِي ٱلْجِيلِ ٱلثَّالِثِ وَٱلرَّابِعِ".«
لهذا السبب انتظر إبراهيم بعد موته، وانتظر داود ولعازر بعد موتهما، ولهذا السبب لم تستطع قبور العديد من القديسين تحرير أسرى رجائهم. كان الله يغفر الذنوب، ولكن بدون فداءٍ عنها، لم يكن ليمحو سجل المذنب. لم يُدفع هذا الفداء عن طريق الذبائح قبل أو في ظل شريعة موسى، وإلا لكان الطريق إلى السماء قد فُتح. لقد دُفع الفداء، وأتمه الرب يسوع المسيح على الصليب. حينها فقط، وبموجب ذلك، طُهر المذنبون الذين غُفرت ذنوبهم، ليصعدوا مع يسوع إلى المدينة التي كانوا ينتظرونها.

قبل الخوض في حالة بولس، اسمحوا لي أن أذكر مثالين آخرين لرجلين نالا الحياة من الله كعطية من نعمته بمعزل عن حفظ الشريعة. لا نعرف أسماءهما، لكننا نفخر بتدبير الرب لكليهما.
يُناقش المثال الأول في إنجيل لوقا (١٨: ١٠-١٤). "«إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى ٱلْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَٱلْآخَرُ عَشَّارٌ. أَمَّا ٱلْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هَكَذَا: ٱللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي ٱلنَّاسِ ٱلْخَاطِفِينَ ٱلظَّالِمِينَ ٱلزُّنَاةِ، وَلَا مِثْلَ هَذَا ٱلْعَشَّارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي ٱلْأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. وَأَمَّا ٱلْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لَا يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلًا: ٱللَّهُمَّ ٱرْحَمْنِي، أَنَا ٱلْخَاطِئَ. أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَاكَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ".«
أما الرجل الثاني، فقد عاد إلى بيته مع الرب يسوع المسيح، مُعلنًا أنه رجل بارّ لمجرد توسله إلى الله طلبًا للرحمة. حدث هذا قبل موت يسوع على الصليب، ولذلك، مُنحت هذه البركة لرجل كان يعيش تحت الشريعة. من الواضح أنه أُعلن بارًا دون الشريعة بنعمة الرب.
وبالمثل، يقف الخاطئ المتواضع بشجاعة في وجه كل طريق زائف للخلاص. اختر أي طائفة أو دين يسعى لجعل الأعمال الصالحة أو النبيلة جزءًا من متطلبات الله، وسيثبت اللص المحتضر زيفها جميعًا. سواء أكانت كنيسة المسيح أو الكاثوليكية الرومانية تطالب بالمعمودية بالماء، أو المورمون أو شهود يهوه يطالبون بالخدمة المخلصة، أو البروتستانت أو المسلمون يطالبون بالعضوية، أو المعمدانيون المستقلون يدافعون عن عقيدة الخلاص بالإيمان والأعمال، فإن اللص على الصليب يدحضها جميعًا.
لم يُقدّم هذا الرجل أي قربان، ولم يُكفّر عن ذنوبه، ولم يعترف لأي كاهن، ولم يتعمّد، ولم ينضم إلى أي كنيسة، ولم يُعوّض عن ذنوبه، ولم يفعل أي عمل صالح. كان يموت جزاءً لجرائمه ضد الله والإنسان، وسيموت قبل غروب الشمس.
"ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: «ٱذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي ٱلْفِرْدَوْسِ»." (لوقا ٢٣: ٤٢-٤٣).
يا له من كتاب! هللويا! لقد مُنحت الحياة مجانًا لرجل لم يفعل شيئًا سوى الدعاء باسم الرب. وبما أن هذا الرجل مات قبل قيامة يسوع، فلم يُوعد السماء، بل بالنقل إلى الفردوس. يا له من كتاب!

٣.شاول الطرسوسي
لنتأمل الآن في حالة الرسول بولس الفريدة؛ في الواقع حالة شاول الطرسوسي. شهادته عن الخلاص مألوفة لدى معظم القراء، ويمكن إيجادها في سفر أعمال الرسل "٩".ولكن لأغراض دراستنا، نريد أن ننظر في شهادته عن حالته قبل اهتدائه.
هذا موجود في رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي (٣: ٤-٩).
"مَعَ أَنَّ لِي أَنْ أَتَّكِلَ عَلَى ٱلْجَسَدِ أَيْضًا. إِنْ ظَنَّ وَاحِدٌ آخَرُ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى ٱلْجَسَدِ فَأَنَا بِٱلْأَوْلَى." (الآية ٤).لم يُلهم الروح القدس هذا

الرجل ليكذب ثم يُسجل كذبته في الكتاب المقدس. ها هو رجل اختاره الرب لنستمع إلى شهادة شخص كان لديه سببٌ أكبر للاعتماد على التزامه بالشريعة للخلاص من أي إنسان آخر.

"مِنْ جِهَةِ ٱلْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ ٱلْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ ٱلنَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ." (الآية ٥). من بين جميع شعوب الأرض، اختار الله شعبًا واحدًا: إسرائيل. كان شاول واحدًا منهم. من بين جميع الأسباط في تلك الأمة، بقي سبطان وفيين للرب لفترة طويلة بعد أن ارتد الآخرون: يهوذا وبنيامين. كان شاول واحدًا منهم. من بين جميع الطوائف داخل اليهودية، تمسكت طائفة واحدة بتفسير حرفي صارم للكتب المقدسة: الفريسيون. كان شاول واحدًا منهم.

مع ذلك، تأمل هذه الملاحظة الإضافية من سفر أعمال الرسل (٢٦: ٤-٥). "فَسِيرَتِي مُنْذُ حَدَاثَتِي ٱلَّتِي مِنَ ٱلْبُدَاءَةِ كَانَتْ بَيْنَ أُمَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ يَعْرِفُهَا جَمِيعُ ٱلْيَهُودِ، عَالِمِينَ بِي مِنَ ٱلْأَوَّلِ، إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَشْهَدُوا، أَنِّي حَسَبَ مَذْهَبِ عِبَادَتِنَا ٱلْأَضْيَقِ عِشْتُ فَرِّيسِيًّا." لم يكن يعرف الشريعة فحسب، بل عاشها أيضًا. لم يكن يكتفي بالعيش وفقًا لأدقّ تفسيراتها، بل فعل ذلك منذ صغره. لم يكتفِ بالتباهي بذلك، بل تجرأ على استدعاء كل من عرفه أو عرفه ليشهد، واثقًا من أنهم سيؤيدون ادعاءاته.

"مِنْ جِهَةِ ٱلْغَيْرَةِ: مُضْطَهِدُ ٱلْكَنِيسَةِ." (الآية ٦أ.) هذا ليس دليلًا ضد شهادته، بل هو نقطة قوة بالغة الأهمية لصالحه. فبحسب سفر التثنية "١٣" إذا ادعى يسوع أنه الله (وقد فعل) وإذا صنع معجزات لإثبات ادعائه (وقد فعل) وإذا كان يجذب التلاميذ إليه (وقد فعل.) كان مصيره الموت، وكذلك مصير جميع أتباعه. وحده شاول الطرسوسي كان يتمتع بمستوى من الإخلاص للشريعة ولله، وللوطن، ما دفعه إلى تنفيذ مثل هذا المرسوم القاسي. ومهما بدا الأمر صادمًا لكثير من المسيحيين، فإن ما فعله شاول في هجماته على الكنيسة كان طاعةً، وإن كان ذلك شرطًا عظيمًا: إن لم يكن يسوع المسيح هو الله. أما قادة إسرائيل الآخرون فكانوا مترددين أو متخاذلين، بينما لم يكن شاول كذلك.

"مِنْ جِهَةِ ٱلْبِرِّ ٱلَّذِي فِي ٱلنَّامُوسِ: بِلَا لَوْمٍ." (الآية ٦ب) ها هو ذا رجل عاش وفقًا للشريعة منذ صغره، وحجز لنفسه مكانةً بين أشدّ فرق الفريسيين تشددًا، واستطاع أن يشهد بموافقة الرب أنه بلا لوم فيما يتعلق بالشريعة. البرّ ليس هو نفسه الخلو من الخطيئة. البرّ يتعلق بالبرّ الظاهر للعيان. الفكرة هي أنك دائمًا، في نظر الجميع، ملتزم بالوصايا. وقد بلغ والدا يوحنا المعمدان نفس هذا المستوى الرفيع (لوقا ١: ٦).

"لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ ٱلْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ ٱلْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ ٱلْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي ٱلَّذِي مِنَ ٱلنَّامُوسِ، بَلِ ٱلَّذِي بِإِيمَانِ ٱلْمَسِيحِ، ٱلْبِرُّ ٱلَّذِي مِنَ ٱللهِ بِٱلْإِيمَانِ." (الآيات ٧-٩). يذكر في شهادته ثلاثة أنواع من البر. أولًا، البرّ الذي في الناموس، الذي التزم به. ثانيًا، برّ الناموس (أي ما يمكن أن يصنعه الإنسان ظاهريًا) الذي ناله. ثالثًا، برّ الله، الذي لا يُنال إلا بالإيمان بيسوع المسيح.

لو كان بإمكان أي إنسان أن يدخل الجنة بفضل استحقاقه أو بفضل التزامه بالشريعة، لكان شاول الطرسوسي، كما يقول الروح القدس. لكن عندما وضع الشكلين الأولين من البر جنبًا إلى جنب مع ما يطلبه الله، اعتبر الأولين نفاية وتركهما جميعًا ليقبل الرب يسوع المسيح. لقد كان أكثر الرجال طاعةً ممن عاشوا تحت الشريعة يعتبر إن البر الذي حصل عليه بذلك هو قمامة لا قيمة لها مقارنة بما عُرض عليه من خلال الإيمان بالمسيح يسوع.

يؤكد هذا المنطق ما جاء في رسالة رومية (١٠: ١-٤).هنا، يستخدم الله بولس ليقول" **:أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ، إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلْبَتِي إِلَى ٱللهِ لِأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلَاصِ. لِأَنِّي أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ غَيْرَةً لِلهِ، وَلَكِنْ لَيْسَ حَسَبَ ٱلْمَعْرِفَةِ** ....حالته تمامًا ...**لِأَنَّهُمْ إِذْ كَانُوا يَجْهَلُونَ بِرَّ ٱللهِ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يُثْبِتُوا بِرَّ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يُخْضَعُوا لِبِرِّ ٱللهِ** ....هنا تُعرض أنواع البر المختلفة جنبًا إلى جنب كما في حالة بولس ...**لِأَنَّ غَايَةَ ٱلنَّامُوسِ هِيَ: ٱلْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ".**

وكما رأينا طوال دراستنا، لم تكن الشريعة غاية في حد ذاتها، بل كان الهدف منها أن تدفع الإنسان إلى أقصى حدود قدراته حتى يسلم روحه إلى نعمة الرب ورحمته وفضله.

فلنستمع إلى خاتمة الأمر.

١.لقد نجا الناس لقرون قبل نزول الشريعة. لم ينجُ هؤلاء الرجال بأعمالهم الصالحة، بل بإيمانهم بما أوحى به الله إليهم.

٢.نال الناس الخلاص بعد نزول الشريعة بإيمانهم بما أوحى الله إليهم. وهذا واضح، إذ يذكر الكتاب المقدس رجالًا غُفرت ذنوبهم دون ذبائح، ورجالًا أُدينوا رغم تقديمهم لها.

٣.لا تدع رسائل العهد الجديد مجالًا للشك في غاية الشريعة وعجزها عن تخليص الناس من خطاياهم.

٤.أولئك الذين ماتوا على الإيمان قبل تضحية يسوع المسيح على جبل الجلجلة لم يذهبوا إلى الجحيم، لكنهم لم يتمكنوا من دخول السماء. كانوا ينتظرون بسلام دمه الثمين ليطهرهم ويسمح لهم بالدخول إلى حضرة الرب.

اعتبارات إضافية

١.رجال يقدمون القرابين ويرفضها الله.

في هذا الوقت، اسمحوا لي أن أريكم، مع القليل من التعليق، مقاطع حيث قدم الرجال القرابين المنصوص عليها في الشريعة، ورفض الله كلًا من الذبيحة ومن قدمها لأن حالة القلب لم تكن سليمة أمامه.

يقول إشعياء (١: ١٠-١٥) "اِسْمَعُوا كَلاَمَ ٱلرَّبِّ يَا قُضَاةَ سَدُومَ! أَصْغُوا إِلَى شَرِيعَةِ إِلَهِنَا يَا شَعْبَ عَمُورَةَ: (المقصود هنا إسرائيل) «لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ. ٱتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ، وَبِدَمِ عُجُولٍ وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ. حِينَمَا تَأْتُونَ لِتَظْهَرُوا أَمَامِي، مَنْ طَلَبَ هَذَا مِنْ أَيْدِيكُمْ أَنْ تَدُوسُوا دُورِي؟ لَا تَعُودُوا تَأْتُونَ بِتَقْدِمَةٍ بَاطِلَةٍ. ٱلْبَخُورُ هُوَ مَكْرَهَةٌ لِي. رَأْسُ ٱلشَّهْرِ وَٱلسَّبْتُ وَنِدَاءُ ٱلْمَحْفَلِ. لَسْتُ أُطِيقُ ٱلإِثْمَ وَٱلاِعْتِكَافَ. رُؤُوسُ شُهُورِكُمْ وَأَعْيَادُكُمْ بَغَضَتْهَا نَفْسِي. صَارَتْ عَلَيَّ ثِقْلاً. مَلِلْتُ حَمْلَهَا. فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ ٱلصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا".

هذا يُذكّرنا بأولى القرابين التي قدّمها البشر لله. مع أنّه قد أُثير الكثير حول تقديم هابيل قربانًا من الدم، وتقديم قايين للخضراوات، إلا أنّه لم يُشر الله في أيّ موضع من الكتاب المقدّس إلى أنّ هذه هي المسألة. يُركّز كُلّ من سفر التكوين والرسالة إلى العبرانيين على النقطة الجوهرية وهي حالة القلب. تأمّل جيدًا.

"وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ ٱلرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ (أولًا) وَقُرْبَانِهِ، (ثانيًا) وَلَكِنْ إِلَى قَايِينَ (أولًا) وَقُرْبَانِهِ (ثانيًا) لَمْ يَنْظُرْ. فَٱغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ." (تكوين ٤: ٤-٥). كان قلب هابيل سليمًا، فقبل قربانه. أما قلب قايين فكان خاطئًا، فبطل قربانه.

يقول الرب في تعليقه على هذا الأمر في رسالة العبرانيين (١١: ٤) ما يلي: "بِٱلإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ. فَبِهِ شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ (أولًا) إِذْ شَهِدَ ٱللهُ لِقَرَابِينِهِ. (ثانياً) وَبِهِ، وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمُ بَعْدُ"!

لا أقصد للحظة أن أقول إن ذبيحة الدم التي قدمها هابيل لم تكن صحيحة، فقد قدمها بإيمان (عبرانيين ١١: ٧) وهذا الإيمان نابع من كلام الله لآدم (رومية ١٠: ١٧). ولكني أقرأ النصوص المذكورة أعلاه كما هي مكتوبة لنرى أن الذبيحة الصحيحة تتطلب أيضًا قلبًا سليمًا من مقدمها. هذا هو سبب صدور تصريحات مثل ما يلي.

»"إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً، وَمَعْرِفَةَ ٱللهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ." (هوشع ٦:٦).

"اِسْمَعِي أَيَّتُهَا ٱلأَرْضُ: هَأَنَذَا جَالِبٌ شَرًّا عَلَى هَذَا ٱلشَّعْبِ ثَمَرَ أَفْكَارِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَصْغَوْا لِكَلاَمِي، وَشَرِيعَتِي رَفَضُوهَا. لِمَاذَا يَأْتِي لِي ٱللُّبَانُ مِنْ شَبَا، وَقَصَبُ ٱلذَّرِيرَةِ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ؟ مُحْرَقَاتُكُمْ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ، وَذَبَائِحُكُمْ لَا تَلَذُّ لِي." (إرميا ٦: ١٩-٢٠).

»"هَلُمَّ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، وَأْذْنِبُوا إِلَى ٱلْجِلْجَالِ، وَأَكْثِرُوا ٱلذُّنُوبَ، وَأَحْضِرُوا كُلَّ صَبَاحٍ ذَبَائِحَكُمْ، وَكُلَّ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ عُشُورَكُمْ. وَأَوْقِدُوا مِنَ ٱلْخَمِيرِ تَقْدِمَةَ شُكْرٍ، وَنَادُوا بِنَوَافِلَ وَسَمِّعُوا، لأَنَّكُمْ هَكَذَا أَحْبَبْتُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ.«وَأَنَا أَيْضًا أَعْطَيْتُكُمْ نَظَافَةَ ٱلأَسْنَانِ فِي جَمِيعِ مُدُنِكُمْ، وَعَوَزَ ٱلْخُبْزِ فِي جَمِيعِ أَمَاكِنِكُمْ، فَلَمْ تَرْجِعُوا إِلَيَّ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ." (عاموس ٤: ٤-٦).

"أَكْتُبُ لَهُ كَثْرَةَ شَرَائِعِي، فَهِيَ تُحْسَبُ أَجْنَبِيَّةً. أَمَّا ذَبَائِحُ تَقْدِمَاتِي فَيَذْبَحُونَ لَحْمًا وَيَأْكُلُونَ. ٱلرَّبُّ لَا يَرْتَضِيهَا. ٱلآنَ يَذْكُرُ إِثْمَهُمْ وَيُعَاقِبُ خَطِيَّتَهُمْ. إِنَّهُمْ إِلَى مِصْرَ يَرْجِعُونَ. وَقَدْ نَسِيَ إِسْرَائِيلُ صَانِعَهُ وَبَنَى قُصُورًا، وَكَثَّرَ يَهُوذَا مُدُنًا حَصِينَةً. لَكِنِّي أُرْسِلُ عَلَى مُدُنِهِ نَارًا فَتَأْكُلُ قُصُورَهُ»." (هوشع ٨: ١٢-١٤).

لا تتجاهل الآيات المذكورة آنفاً، بل اقرأها بتأنٍّ. فكثيراً ما نرى أن التضحية بدون قلب منكسر وخاشع لا تُكسب المرء أجراً عند الله.

لا شك أن ميخا رأى ما رآه داود؛ أن السبيل الوحيد للخاطئ للتقرب إلى الله هو التواضع وطلب الرحمة. "بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى ٱلرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلَهِ ٱلْعَلِيِّ؟ هَلْ أَتَقَدَّمُ بِمُحْرَقَاتٍ، بِعُجُولٍ أَبْنَاءِ سَنَةٍ؟ هَلْ يُسَرُّ ٱلرَّبُّ بِأُلُوفِ ٱلْكِبَاشِ، بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ؟ هَلْ أُعْطِي بِكْرِي عَنْ مَعْصِيَتِي، ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي؟ قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ ٱلرَّبُّ، إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ ٱلْحَقَّ وَتُحِبَّ ٱلرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلَهِكَ." (ميخا ٦: ٦-٨).

قبل أن ننتقل إلى النقطة التالية، دعوني أُعرّفكم برجلٍ في العهد الجديد، قبل الصليب، وصل إلى هذا الفهم نفسه. مع أنه لم يكن قد عمل بعدُ بإيمانٍ وفقًا للنور الذي أُعطي له، إلا أنه رأى بالتأكيد الحقيقة التي كنا نتحدث عنها.

في إنجيل مرقس (١٢: ٢٨-٣٤) يقول الكتاب المقدس: "فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ ٱلْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ ٱلْكُلِّ؟». فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ ٱلْوَصَايَا هِيَ: ٱسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. ٱلرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ ٱلرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ ٱلْوَصِيَّةُ ٱلأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ». فَقَالَ لَهُ ٱلْكَاتِبُ: «جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِٱلْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ ٱللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ ٱلْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ ٱلْفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ ٱلنَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ ٱلْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ ٱلْقَرِيبِ كَٱلنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ ٱلْمُحْرَقَاتِ وَٱلذَّبَائِحِ». فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ، قَالَ لَهُ: «لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ ٱللهِ». وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدُ ذَلِكَ أَنْ يَسْأَلَهُ"!

٢.الرجال الذين نالوا الخلاص قبل موت يسوع على الصليب.

دون تعليق، دعوني أذكر بعض المقاطع التي يُقال فيها إن الرجال والنساء قد نالوا الخلاص أو غُفرت ذنوبهم قبل موت يسوع المسيح ودفنه وقيامته. مع أن هؤلاء لم يولدوا من جديد، ولم يعتمدوا بالروح القدس في جسد المسيح، ولم يصبحوا جزءًا من الكنيسة، إلا أنهم نالوا الخلاص.

"مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكِ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا ٱلْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَٱلَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلًا». ثُمَّ قَالَ لَهَا: «مَغْفُورَةٌ لَكِ

خَطَايَاكِ». فَٱبْتَدَأَ ٱلْمُتَّكِئُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: «مَنْ هَذَا ٱلَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضًا؟». فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، اِذْهَبِي بِسَلَامٍ». " (لوقا ٧: ٤٧-٥٠).

"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَبْصِرْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ». وَفِي ٱلْحَالِ أَبْصَرَ، وَتَبِعَهُ وَهُوَ يُمَجِّدُ ٱللهَ. وَجَمِيعُ ٱلشَّعْبِ إِذْ رَأَوْا سَبَّحُوا ٱللهَ." (لوقا ١٨: ٤٢-٤٣).

"وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحًا عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «ثِقْ يا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ ٱلْكَتَبَةِ قَدْ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: «هَذَا يُجَدِّفُ!». فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِٱلشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيُّمَا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَٱمْشِ؟ وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِٱبْنِ ٱلْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى ٱلْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ ٱلْخَطَايَا». حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «قُمِ ٱحْمِلْ فِرَاشَكَ وَٱذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!»." (متى ٩: ٢-٦).

تزداد هذه النصوص المقدسة إثارةً للإعجاب عندما نتذكر أن كل مرضٍ أو علةٍ ظهرت في بني إسرائيل كانت دليلًا على عدم التزامهم بالشريعة. فقد وعد الله بني إسرائيل بأنه إن أطاعوا أوامره، فلن يُصيبهم أي مرض (خروج ١٥: ٢٦ \\ تثنية ٧: ١٥). وبالمثل، حُذِّروا من أن عدم الالتزام بالشريعة سيؤدي إلى ظهور أمراض جسدية (تثنية ٢٨: ٦٠). في اثنين من النصوص المذكورة أعلاه، نرى أفرادًا كانت أمراضهم دليلًا على عدم التزامهم بالشريعة، ونراهم يُغفر لهم ذنوبهم لأنهم آمنوا بالرب.

التبرير أمام الرجال.

إنّ الحجة الوحيدة التي تبدو قوية ضد ما طرحناه في هذا الفصل هي حالة تبرير إبراهيم بالأعمال في رسالة يعقوب ٢.وقد شكّلت هذه الفقرة البسيطة معضلةً لكثير من دارسي الكتاب المقدس على مرّ السنين. فالكثير ممن يتمسكون بالفكرة الخاطئة القائلة بأن موت الرب يسوع لم يكن ضروريًا لأن الناس كانوا سابقًا ينالون الأبدية بالأعمال الصالحة، لا يكتفون بالإشارة إلى هذا الجزء من الكتاب المقدس كدليل، بل يشنون هجومًا على شخصيتك وذكائك وسمعتك إذا خالفتهم في تفسيرهم لهذه الفقرة.

أحد الإخوة المخلصين في المسيح، وهو عضو في نفس الجماعة التي أنتمي إليها، شجبني من على منبره، وحذر الطلاب في معهده من الاقتراب مني، وقال إنني "غبي ولا أعرف شيئًا عن الكتاب المقدس" لأنني لم أعتبر رسالة يعقوب ٢ دليلًا على الخلاص بالأعمال في العهد القديم.

حسنًا، قد أكون غبيًا أو لا، وقد لا أعرف الكثير عن الكتاب المقدس، لكنني أعرف كيف أقارن النصوص وأحللها قبل استخلاص أي استنتاجات. فلنجرب ذلك.

يقول يعقوب (٢: ١٧-٢٤) ما يلي.

"هَكَذَا ٱلْإِيمَانُ أَيْضًا، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ، مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ. لَكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: «أَنْتَ لَكَ إِيمَانٌ، وَأَنَا لِي أَعْمَالٌ...." (الآيات ١٧-١٨أ).

إذن، المسألة ليست فيما يملكه المرء، بل فيما يدّعي امتلاكه.

"أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ، وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي»." (الآية ١٨ب). فيجيب الكاتب: "لا تقل ذلك، بل أرني." لم يقل أرني الله، بل قال أرني أنا. فالحديث يدور حول ما يراه الناس.

"أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ ٱللهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ. وَٱلشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ! وَلَكِنْ هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ ٱلْبَاطِلُ أَنَّ ٱلْإِيمَانَ بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ؟ أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِٱلْأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ٱبْنَهُ عَلَى ٱلْمَذْبَحِ؟" (الآيات ١٩-٢١).لقد أعلن الله برّ إبراهيم في سفر التكوين ١٥.وقد رأينا في مواضع عديدة من الكتاب المقدس أن الروح القدس يُعلن برّ إبراهيم لأنه آمن بالله فيما يتعلق بالأرض والأبناء. فما هو هذا التبرير المذكور في رسالة يعقوب ٢؟ إنه أمرٌ يُراد توضيحه، إن الرجل الذي يتبرر في نظر الله قد يتبرر أيضاً في نظر الناس.

"فَتَرَى أَنَّ ٱلْإِيمَانَ عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِٱلْأَعْمَالِ أُكْمِلَ ٱلْإِيمَانُ، (اكتمل) وَتَمَّ ٱلْكِتَابُ ٱلْقَائِلُ: «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِٱللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا»، وَدُعِيَ خَلِيلَ ٱللهِ. (حُسب له البر بالإيمان، والصداقة بالأعمال.) تَرَوْنَ إِذًا أَنَّهُ بِٱلْأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ ٱلْإِنْسَانُ، لَا بِٱلْإِيمَانِ وَحْدَهُ." (الآيات ٢٢-٢٤). المقصود أن يهوه قد حُسب البر لإبراهيم في سفر التكوين ١٥عندما آمن بالله. في الفصول التالية، لا يوجد ما يدل في سلوك إبراهيم على أنه كان يعيش بالإيمان بالله. لم يكتمل إيمانه ولم يكن واضحًا للآخرين إلا بعد تقديم إسحاق قربانًا على جبل المريا.

الآن، لا أجرؤ على اعتبار ذلك تفسيراً شخصياً، لكننا سنسمح لنصوص كتابية أخرى أن تثبت صحة هذا الرأي.

يقول الكتاب المقدس عن الرب يسوع المسيح: "لِأَنَّهُ جَعَلَ ٱلَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لِأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ ٱللهِ فِيهِ." (كورنثوس الثانية ٥: ٢١). لم يرتكب يسوع المسيح أي خطيئة، وبالتأكيد لم يكن بحاجة إلى الخلاص.

ومع ذلك، يقول تيموثاوس الأولى (٣: ١٦) "وَبِٱلْإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ ٱلتَّقْوَى: ٱللهُ ظَهَرَ فِي ٱلْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي ٱلرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلَائِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ ٱلْأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي ٱلْعَالَمِ، رُفِعَ فِي ٱلْمَجْدِ".

لقد بُرِّرَ الرب يسوع المسيح. أي أنه أُعلنَ بارا من قِبَل الذين لاحظوا أعماله الصالحة. وهذا لا يعني بالضرورة أنه نال الخلاص أو أنه حظي برضا الله منذ قيامه بعمل صالح ما.

فكما اكتمل إيمان إبراهيم ببره الظاهر الذي يمكن ملاحظته، كذلك يقول كلام الله عن الرب يسوع: "وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ ٱلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلَاصٍ أَبَدِيٍّ" (عبرانيين ٥: ٩).

بالإضافة إلى ذلك، دعونا نعود معًا إلى صلاة داود العظيمة في المزمور "٥١" ونتأمل في الكلمات التي وردت عن الروح القدس وهو يخاطب الله الآب: "إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَٱلشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ." (مزمور ٥١: ٤). لا يشك أَحَدٌ بِالْأَبِ أنه لَمْ يَكُنْ مُخْلِصًا أَوْ لَمْ يَكُنْ بارا إِلى أن غفر لِداود. من الواضح أن العبارة تُشير إلى أن إلهًا كان دائمًا عادلًا قد أظهر عدله في نظر البشر نتيجةً لعملٍ قام به.

وبالمثل، تأمل في هذه الكلمات من إنجيل لوقا (٧: ٢٩). "وَجَمِيعُ ٱلشَّعْبِ إِذْ سَمِعُوا وَٱلْعَشَّارُونَ بَرَّرُوا ٱللهَ مُعْتَمِدِينَ بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا".

في المرة القادمة التي يخبرك فيها أحدهم أن إبراهيم نال الخلاص بالأعمال ويحاول إثبات ذلك بالرجوع إلى رسالة يعقوب "٢" فاسأله إن كان الله الآب والله الابن قد نالا الخلاص بالأعمال. كلا، بل كان الثلاثة أبرارًا قبل ظهور برّهم، وهو ما دفع الناظرين إلى تبريرهم (أي إعلانهم أبرارًا). بالعودة إلى رسالة يعقوب ٢ نتساءل لماذا نادرًا ما يذكر أولئك الذين يجادلون بأن الخلاص بالأعمال قبل الشريعة، بتفسيرهم الخاطئ للجزء المتعلق بإبراهيم، الشخصية الأخرى المذكورة كمثال. يقول يعقوب (٢: ٢٥) "كَذَلِكَ رَاحَابُ ٱلزَّانِيَةُ أَيْضًا، أَمَا تَبَرَّرَتْ بِٱلْأَعْمَالِ، إِذْ قَبِلَتِ ٱلرُّسُلَ وَأَخْرَجَتْهُمْ فِي طَرِيقٍ آخَرَ؟"

يخبرنا سفر العبرانيين (١١: ٣١) أن هذه المرأة الأممية الساقطة، التي كانت تكسب رزقها بأبشع الطرق الممكنة، فعلت عملًا بالإيمان يُعدّ مثالًا يُحتذى به، تماماً كما فعل إبراهيم حين همّ بتقديم ابنه إسحاق قرباناً. ولكن من الأجدر بنا أن نتأمل في دوافعها من خلال الكتاب المقدس.

يسجل سفر يشوع (٢: ١٠-١٤) أقوال هذه المرأة. "لِأَنَّنَا قَدْ سَمِعْنَا كَيْفَ يَبَّسَ ٱلرَّبُّ مِيَاهَ بَحْرِ سُوفَ قُدَّامَكُمْ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَمَا عَمِلْتُمُوهُ بِمَلِكَيِ ٱلْأَمُورِيِّينَ ٱللَّذَيْنِ فِي عَبْرِ ٱلْأُرْدُنِّ: سِيحُونَ وَعُوجَ، ٱللَّذَيْنِ حَرَّمْتُمُوهُمَا." (الآية ١٠).تشهد هذه المرأة أنها سمعت

بشارة ما فعله الله في فداء شعبه، وآمنت به.
"سَمِعْنَا فَذَابَتْ قُلُوبُنَا وَلَمْ تَبْقَ بَعْدُ رُوحٌ فِي إِنْسَانٍ بِسَبَبِكُمْ، لِأَنَّ ٱلرَّبَّ إِلَهَكُمْ هُوَ ٱللهُ فِي ٱلسَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَعَلَى ٱلْأَرْضِ مِنْ تَحْتُ." (الآية ١١).تشهد هذه المرأة، المنتمية إلى أمة ملعونة، جميعهم مُعرَّضون للإبادة، بأنها تؤمن بإله واحد، هو إله العبرانيين.
"فَٱلْآنَ ٱحْلِفَا لِي بِٱلرَّبِّ وَأَعْطِيَانِي عَلَامَةَ أَمَانَةٍ -لِأَبِّي قَدْ عَمِلْتُ مَعَكُمَا مَعْرُوفًا- بِأَنْ تَعْمَلَا أَنْتُمَا أَيْضًا مَعَ بَيْتِ أَبِي مَعْرُوفًا. وَتَسْتَحْيِيَا أَبِي وَأُمِّي وَإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَكُلَّ مَا لَهُمْ وَتُخَلِّصَا أَنْفُسَنَا مِنَ ٱلْمَوْتِ»." (الآيات ١٢-١٣).تشهد أنها تعلم أن الله سيمنح شعبه نصرًا كاملًا عندما يصلون إلى أرض كنعان.
"فَقَالَ لَهَا ٱلرَّجُلَانِ: «نَفْسُنَا عِوَضُكُمْ لِلْمَوْتِ إِنْ لَمْ تُفْشُوا أَمْرَنَا هَذَا. وَيَكُونُ إِذَا أَعْطَانَا ٱلرَّبُّ ٱلْأَرْضَ أَنَّنَا نَعْمَلُ مَعَكِ مَعْرُوفًا وَأَمَانَةً»." (الآية ١٤).قبل وصول الجواسيس بوقتٍ طويل، سمعت هذه المرأة الغريبة عن الأمم عن الله، وسمعتَ عن أعماله، وصدّقت ما قيل، واعترفت به إلهًا لها، وصدّقتها نبوءات أفعاله المستقبلية. لكن هذا الإيمان بالله لن يُنجيها من الغزو الإسرائيلي. كان عليها أن تفعل شيئًا يراه الناس لتُثبت لهم إيمانها بالله. وهذا ما فعلته عندما أخفت الجواسيس. عرفوا من خلال أعمالها أنها تثق بإلههم، وكوفئت على ذلك.

بعض التخمين

مع اقترابنا من نهاية دراستنا، اسمحوا لي أن أضيف شيئًا من باب التسلية فقط. ما يلي ليس إلا مجرد اقتراح. لا أطرحه كأمرٍ مُلزم، بل هو مجرد فضول شخصي لا توجد بشأنه إجابة قاطعة.

هل كان الحاكم الشاب الثري شاول الطرسوسي؟

سأقوم فيما يلي بسرد لقاء يسوع مع هذا الشخص المذهل، وسأضع في جميع أنحاء رواية الكتاب المقدس إشارات مرجعية حيث تتطابق تلك الأشياء المنطوقة مع الشهادات التي قدمها بولس.

لنقرأ من إنجيل لوقا (١٨: ١٨-٢٤).

"وَسَأَلَهُ رَئِيسٌ قَائِلًا:" ... كان الفريسيون والصدوقيون حكام إسرائيل (يوحنا ٣: ١ \\ أعمال ٤: ٨) وكان شاول فريسيًا (أعمال ٢٣: ٦ \\ ٢٦: ٥).

"قَائِلًا: «أَيُّهَا ٱلْمُعَلِّمُ ٱلصَّالِحُ"... كانت الأخلاق الحميدة سمة مميزة لبولس (أعمال الرسل ٢٤: ٣ \\ ٢٦: ٢٥) وفي المرة الوحيدة التي فشل فيها في ذلك، اعتذر على الفور (أعمال الرسل٢٣: ٥).

"مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ ٱلْحَيَاةَ ٱلْأَبَدِيَّةَ؟»" (الآية ١٨).كان هذا رجلًا يؤمن بالحياة الأبدية ومستعداً للعمل ليرثها. كان فهم شاول للخلاص أنه يُكافأ من يُقدمون لله خدمةً فوريةً ليلًا ونهاراً (أعمال الرسل ٢٦: ٦-٧).

"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ ٱللهُ." (الآية ١٩).لا يُعدّ هذا إنكارًا لألوهية يسوع، بل فرصةً للحاكم ليعترف بنقص صلاحه ويشهد على إيمانه بألوهية المسيح.

"أَنْتَ تَعْرِفُ ٱلْوَصَايَا:"... شهد يسوع أن هذا الرجل كان مُلِما إلمامًا تاما بالشريعة. وشهد بولس أنه تدرّب على يد غمالائيل، وتلقّى تعليمًا وفقًا لمنهج شريعة الآباء، وأن معلمه كان عالمًا في الشريعة، وله مكانة مرموقة بين الناس، وأن تعليمه كان متوافقًا مع أشدّ طوائف ديننا تشدّدًا (أعمال الرسل ٢٢: ٣ \\ ٥: ٣٤ \\ ٢٦: ٥). لا شكّ أن شاول كان على دراية بالوصايا.

"لَا تَزْنِ. لَا تَقْتُلْ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِٱلزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ». فَقَالَ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي». فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ قَالَ لَهُ: «يُعْوِزُكَ أَيْضًا شَيْءٌ:" (الآيات ٢٠- ٢٢أ).لطالما استغربتُ أن يسوع لم يوبخ هذا الادعاء الجريء. يبدو أن الرب قد قبل شهادة هذا الرجل. لا أجد إلا رجلًا آخر، إن كان غيره، أدلى بمثل هذا الادعاء الجريء وحظي بتأييد المسيح.

قال بولس في أعمال الرسل (٢٦: ٤-٥) "فَسِيرَتِي مُنْذُ حَدَاثَتِي ٱلَّتِي مِنَ ٱلْبُدَاءَةِ كَانَتْ بَيْنَ أُمَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ يَعْرِفُهَا جَمِيعُ ٱلْيَهُودِ، عَالِمِينَ بِي مِنَ ٱلْأَوَّلِ، إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَشْهَدُوا، أَنِّي حَسَبَ مَذْهَبِ عِبَادَتِنَا ٱلْأَضْيَقِ عِشْتُ فَرِّيسِيًّا".

وفي رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي (٣: ٤-٦) نقرأ: "مَعَ أَنَّ لِي أَنْ أَتَّكِلَ عَلَى ٱلْجَسَدِ أَيْضًا. إِنْ ظَنَّ وَاحِدٌ آخَرُ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى ٱلْجَسَدِ فَأَنَا بِٱلْأَوْلَى. مِنْ جِهَةِ ٱلْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ ٱلْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ ٱلنَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ. مِنْ جِهَةِ ٱلْغَيْرَةِ: مُضْطَهِدُ ٱلْكَنِيسَةِ. مِنْ جِهَةِ ٱلْبِرِّ ٱلَّذِي فِي ٱلنَّامُوسِ: بِلَا لَوْمٍ." قال بولس إنه عاش وفقًا لوصايا الشريعة بطريقة يمكنك أن تسأل من عرفوه، وسيؤكدون كلامه. وكما رأينا، هذا هو معنى بلا لوم.

في الواقع، شهد يسوع أن بولس كان أمينًا حتى قبل أن ينال الخلاص، وأن سماته الشخصية كانت عاملًا في اختيار الرب له للخدمة. يقول الكتاب المقدس في رسالة تيموثاوس الأولى (١: ١٢) "وَأَنَا أَشْكُرُ ٱلْمَسِيحَ يَسُوعَ رَبَّنَا ٱلَّذِي قَوَّانِي، أَنَّهُ حَسِبَنِي أَمِينًا (أولًا) إِذْ جَعَلَنِي لِلْخِدْمَةِ (ثانيًا)".

"بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَزِّعْ عَلَى ٱلْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي ٱلسَّمَاءِ، وَتَعَالَ ٱتْبَعْنِي». " (الآية ٢٢ب).أخبر يسوع هذا الرجل أنه ينقصه شيء واحد. ردًا على سؤاله: ماذا يجب أن أفعل؟، سرد يسوع تلك الوصايا العشر المتعلقة بمحبة القريب كنفسك. وتجاوز الوصايا الأربع الأولى المتعلقة بمحبة الله، لأنه من الواضح أن هذا الرجل كان يلتزم بها. ولكن عندما قال الحاكم إنه يلتزم بجميع الوصايا المتعلقة بالآخرين، منحه يسوع فرصة لإثبات ذلك. أعطِ كل ما تملك للآخرين.

إذن، ما هو الشيء الوحيد المطلوب؟ اتبعني.

"فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ حَزِنَ، لِأَنَّهُ كَانَ غَنِيًّا جِدًّا." (الآية ٢٣).لم يكن غضبًا، بل حزنًا. لقد رغب حقًا في الحياة الأبدية. لقد أحب نفسه أكثر من غيره. كان سيخسر الحياة الأبدية إن لم يختر يسوع. أراد الحياة الأبدية، لكن ليس بتلك الشروط فانصرف.

والآن، فكّر معي في الحقائق التالية المتعلقة ببولس. عندما واجهه يسوع على طريق دمشق، قال له: "«أَنَا يَسُوعُ ٱلَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَن تَرْفُسَ مَنَاخِسَ»." (أعمال الرسل ٩: ٥). كان هناك شيء ما يُقلق الرجل، وكان يجد صعوبة في مقاومته.

قارن ذلك بالكلمات التي استخدمها يسوع عندما انصرف الحاكم الغني. ولما رأى يسوع حزنه الشديد، قال: "فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ قَدْ حَزِنَ، قَالَ: «مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي ٱلْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ ٱللهِ!" (الآية ٢٤).

عندما اهتدى بولس، شهد بأنه كان يحفظ الشريعة، لكنه اضطر إلى اعتبارها كلها بلا قيمة، ووضع إيمانه وثقته في يسوع المسيح. قال: "لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ ٱلْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ ٱلْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ ٱلْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي ٱلَّذِي مِنَ ٱلنَّامُوسِ، بَلِ ٱلَّذِي بِإِيمَانِ ٱلْمَسِيحِ، ٱلْبِرُّ ٱلَّذِي مِنَ ٱللهِ بِٱلْإِيمَانِ. لِأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلَامِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ" (فيلبي ٣: ٧-١٠).

لا أستطيع أن أقول على وجه اليقين أن بولس هو الحاكم الشاب الغني، ولكن إذا كان ذلك الشاب قد اهتدى فيما بعد، لكانت هذه بالتأكيد شهادته.

وهناك نقطة إضافية تستحق التأمل هنا. عندما جاء الحاكم إلى يسوع قال: ماذا أفعل؟ (الآية ١٨) فأجاب يسوع: شيء واحد... (الآية

٢٢).
عندما استذكر بولس حياته، أقرّ بأنه قد يئس من الخلاص بالأعمال أو الشريعة، وأنه الآن قد اتّبع نهجًا جديدًا في الحياة الدنيا والآخرة. "أيها الإخوة، لا أعتبر نفسي قد أدركتُ كل شيء، ولكني أفعل شيئًا واحدًا: أنسى ما هو وراء، وأتطلع إلى ما هو أمام، وأسعى نحو الهدف لنيل جائزة الدعوة السامية التي دعاني الله إليها في المسيح يسوع" (فيلبي ٣: ١٣-١٤).
وفي وقت لاحق، سأل رجل بولس: مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ؟ فأجاب: آمِنْ بِٱلرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ (أعمال الرسل ١٦: ٣٠-٣١).

إذا كان بولس هو الحاكم، فقد تعلم الدرس.